العلاقات العراقية الروسية
١٩٩١ – ٢٠٠٣
دراسة تحليلية

العلاقات العراقية الروسية

١٩٩١ – ٢٠٠٣

دراسة تحليلية

مازن سهمي السعدي

باشراف

الدكتور وائل محمد إسماعيل

العلاقات العراقية الروسية
١٩٩١ – ٢٠٠٣
دراسة تحليلية

تأليف

مازن سهمي السعدي

المطبعة

محمد صادق الهاشمي
(قاسم هاشم مولى)

المطبعة

الساقي

التصميم والمتابعة الفنية

علي حسين مطر

الناشر

مركز العراق للدراسات
www. markazaliraq. net
info@ markazaliraq. net

٢٠١٥م-١٤٣٦هـ
الطبعة الأولى
٣٠٠٠ نسخة

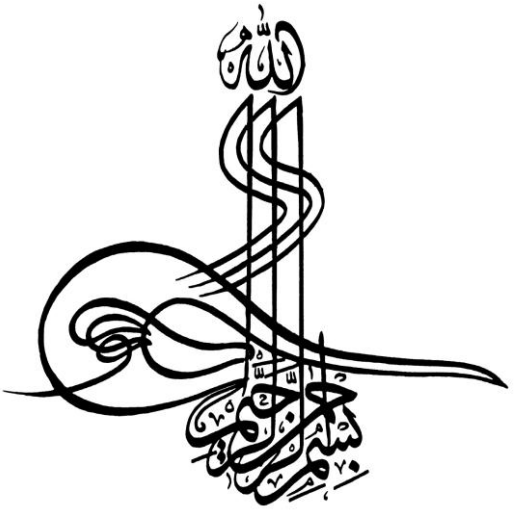

المحتويات

المحتويات ٧

المقدمة ١١

الغاية من البحث: ١٩

فرضية البحث: ٢٠

منهجية البحث: ٢٠

إشكالية البحث: ٢٠

الفصل الأول

مراحل العلاقة جذور العلاقة

المبحث الأول: من بداية الاهتمام الروسي الى عام ١٩٥٨ ..... **٢٥**

المبحث الثاني: العلاقات بين العراق والاتحاد السوفيتي الممتدة من عام ١٩٥٨ ولغاية عام ١٩٩١ ... **٤٦**

١ـ الفترة الممتدة من عام ١٩٥٨ ولغاية عام ١٩٦٨ ..... ٦٥

٢ـ الفترة من عام ١٩٦٨ ولغاية عام ١٩٨٠ ..... ٦٦

٣ـ الفترة من عام ١٩٨٠ الى عام ١٩٩١ ..... ٦٧

الفصل الثاني

العوامل الداخلية المؤثرة على صانع القرار السياسي في روسيا الاتحادية

المبحث الاول: الهياكل الدستورية (الرسمية) والمؤسسات غير الرسمية على صانع القرار السياسي في روسيا الاتحادية **٧٣**

أولاً: الهياكل الدستورية في صناعة القرار السياسي ٧٣

١ـ رئيس الدولة ٧٣

٢ـ الحكومة (السلطة التنفيذية)..... ٨٠
٣ـ البرلمان (السلطة التشريعية)..... ٨١
ثانياً: المؤسسات غير الرسمية المؤثرة على صانع القرار السياسي في روسيا الاتحادية ٨٣
١ـ النخب والأحزاب السياسية..... ٨٣
أ) الإصلاحيون (الراديكاليون)..... ٨٣
ب) القومين المحافظون والشيوعيون..... ٨٤
ج) الاتجاه الوسط ٨٦
٢ـ جماعة الضغط او المصالح..... ٨٧
٣ـ الصحافة..... ٩١
٤ـ الرأي العام..... ٩٢
٥ـ الكنيسة..... ٩٣
المبحث الثاني: المؤثرات الداخلية على السياسة الخارجية في روسيا الاتحادية..... ٩٧
١ـ الأزمة الاقتصادية..... ٩٧
٢ـ الأزمة الشيشانية..... ١٢٠

الفصل الثالث

العوامل الخارجية المؤثرة على السياسة الخارجية في روسيا الاتحادية

العوامل الخارجية المؤثرة على السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية ١٣٢
١ـ طبيعة العلاقات الروسية الأمريكية ١٣٢
٢ـ روسيا الاتحادية والحلف شمال الاطلسي (الناتو)..... ١٤٢
٣ـ نزاع روسيا الاتحادية واليابان حول جزر الكوريل..... ١٤٩

الفصل الرابع

العلاقات بين العراق وروسيا الاتحادية

المبحث الاول: الأسباب والدوافع التي دعت روسيا بالتوجه نحو العراق من الناحية الأمنية والاقتصادية والجغرافية والسياسية..... ١٥٩

١ـ الدوافع الجغرافية والأمنية..... ١٥٩
٢ـ الدوافع الاقتصادية..... ١٦٣
المبحث الثاني: مدى تاثير قرارات مجلس الامن على علاقة العراق مع روسيا الاتحادية..... ١٦٦
المبحث الثالث: العلاقات التجارية بين العراق وروسيا الاتحادية ضمن اتفاقية النفط مقابل الغذاء والحاجات الانسانية..... ١٨٤
الخاتمة..... ١٩٩
اولا: تحليلاتنا وتقييمنا لعلاقة الدولتان قبل فترة البحث..... ٢٠٠
ثانيا: ما نعتقده وما نراه لطبيعة علاقة الدولتين في فترة البحث..... ٢٠١
المصادر..... ٢٠٧
اولا ـ الكتب..... ٢٠٧
ثانياً: الرسائل والاطاريح..... ٢١٠
ثالثاً: المجلات والدوريات..... ٢١١
رابعا ـ الصحف ووكالات الانباء..... ٢١٤
خامسا: اوراق ودراسات..... ٢١٥
سادساً: مواقع المصادر على شبكة الانترنيت..... ٢١٥
سابعاً: نشرات وتقارير..... ٢١٨

المقدمة

تعددت مفاهيم العلاقات الدولية بتعدد الباحثين والدراسين لها، فالبعض عدّها صراعات او تحالفات واحلاف واخرون عدوها سياسية او بروتوكولية، وجاء هذا التباين بالفهم لتعدد المناهج المتعمدة في دراسة العلاقات الدولية، اذ ان هذه المناهج قد قسمت من اغلب الدراسين على مدرستين هما المدرسة التقليدية وتسند على الوقائع التاريخية والتكيف القانوني وقوة الدولة والمصالح القومية والاخرى المردسة المعاصرة وتستند على المنهج التحليلي اذ برزت الحاجة لاساليب ورؤى جديدة لتحليل المعطيات نتيجة للتطور الكبير في وسائل الاتصالات اتساع التقدم التكنولوجي وقد نال جل الاهتمام الجانب العسكري بالدرجة الرئيسة وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية وذلك لطبيعة التغيرات التي تصيب الإمكانيات العسكرية. ثم مالبثت ان اصاب بعض التغير في الاولويات بهد ظهور قضايا جديدة يتطلب من الجميع الاتفاق على طريق معالجتها مثل ازدياد السكان والامراض الفتاكة والامية والامن الغذائي العالمي والغلاف الجوي والموارد الطبيعية وتلوث البيئة وحقوق الاقليات وحماية حقوق الاطفال وقضايا المراة والعمال وغيرها من القضايا التي تطفو بين الحين والاخر على السطح.

ان العلاقات الدولية منذ ظهورها الاول في بلاد الرافدين والحضارات القديمة متمثلة بعلاقات دول المدن الى يومنا هذا (البعض اعتبروا ان مفهوم العلاقات الدولية قد وضع من قبل الفليلسوف الانكليزي جيريمي بنتام ١٧٤٨ ـ ١٨٣١) مرت بالعديد من

المراحل وفي كل مرحلة يحاول المفكرون ان يضعوا تعريفا وفهما جديدا بسبب ان تلك العلاقات تستطيع ان تحتوي اغلب المتغيرات التي تؤثر فيها، لهذا نرى تعدد المدارس والمناهج الداخلة في دراسة العلاقات الدولية. من الصعوبة بمكان ان نحدد تعريفا دقيقا للعلاقات الدولية ما لم نكن ملمين بعلم التاريخ وعلم والنفس والسياسة والاقتصاد ومناهج العلوم الانسانية جميعها ليتسنى الوصول الى فهم العلاقات بين الدولة في الحاضر والمستقبل رغم ان علم العلاقات الدولية لا يمكن البت بها او الوصول الى درجة اليقين كباقي العلوم البحتة. وقد خرجت العديد من النظريات الفلسفية التي تحدثت عن العلاقات الدولية وان هذه النظريات وضعت المعايير التي تستند اليها العلاقات، فهوبز جعل من الدولة القوية المستقلة صاحبة القرار وهي التي تقرر ما تفعله من عدمه فكلما كانت الدولة قوية تستطيع ان تفرض التوازن مع الدول الاخرى، والدولة القوية تكون مهابة ومرهوبة لا يمكن مواجهتها او التجاوز عليها وكلما كانت ضعيفة اصبحت مطمعا للدول. وعليه فان هوبز لايقيم للقانون او الاخلاق اهمية بعلاقات الدول. اما الفليلسوف الالماني كانت فيعتقد ان اساس العلاقات بين الدول هو الحق والقانون (أي ما يجب ان يكون) وان العلاقات الدولية لا يمكن ان تنتظم ما لم يكن قانونا دوليا ينظم تلك العلاقات ويعتبر هذا القانون الكفيل بعدم حصول تجاوزات من دولة لاخرى، ويقال ان الافكار (الكانتية) ادت بالتالي الى تشكيل عصبة الامم ومن بعدها الامم المتحدة. وما زالت العلاقات الدولية تتقاذف بها كل الاراء بين القوة والقانون وامام هذه التجاذبات برزت تساؤلات اهمها هل العلاقات بين الدول تخضع لقوانين متعارف عليها ام انها تخضع لارادة الدول بين قوي وضعيف ام انها انتقائية او عشوائية وتعسفية؟.

نستطيع القول ان العلاقات الدولية مرت باكثر من مرحلة وكما اسلفنا ولكل مرحلة ظروفها التي تضفي عليها التزاماتها، ولا يسعني التبحر في المراحل السحيقة لعلاقات

الدول ولغرض الوصول الى رأى او تصور معين يمكن ان نحصر مراحل العلاقات الدولية ونوجزها بين الحرب العالمية الاولى الى يومنا الراهن، ونعتقد ان طيلة الفترة الممتدة تلك لم تكن الدول قد حسمت الأسس التي تقيم علاقاتها مع بعضها فالدول غير القادرة على الدفاع عن حقوقها تسعى الى تعزيز دور القانون والاخلاق كأساس لإقامة العلاقات بين الدول، اما الدول التي ليست لديها القدرة على الدفاع عن نفسها فحسب بل تسعى الى مطامع او مصالح على حساب الدولة الأخرى فنراها لا تعبه بالقانون ولا بالأخلاق، ورب سائل يسأل اين يمكن ان نجد القانون الدولي؟ هل نستطيع ان نتداوله وهل يوجد قانون من دول محاكم وأية محاكم يلجأ اليها الراغبون فقط في التقاضي بها؟ . وان كانت هذه الدولة او تلك تلجأ بين الحين والاخر للمنظمات والمحاكم الدولية فليس سوى لعدم قدرتها الحصول على استحقاقاتها او بمعنى أدق لضعفها وعدم تمكنها من الدفاع عن حقوقها.

ما اريد قوله ان العلاقات الدولية وان تعدد المراحل التي مرت بها الا اننا نستطيع ان نؤشر ان التوافق والتصارع بين الدول قائم على معرفة كل دولة بقدرات الاخرى وان كانت تقيم علاقاتها على اساس غير ذلك نعتقد انها تحيد عن الصواب فالتاريخ غير البعيد يذهب بنا نحو ما ذهبنا اليه فالحرب العالمية الاولى لم تكن اسبابها سوى تصارع وتعارض مصالح الدول القوية آنذاك وعند نهاية الحرب اجمعت الامم ان السبيل الاوحد لعدم تكرار الحروب الفتاكة هي باستحداث منظمة دولية فكانت عصبة الامم التي شكلها المنتصرون والذين كانوا يهدفون الى الحفاظ على ما حققوه بتلك الحرب ثم ما لبث العالم ان انحدر نحو حرب جديدة وكانت من اهم اسبابها هو فشل المنظمة من اداء دورها في كبح تطلع بعض الطامعين او رفع الظلم عن البعض الاخر وعند نهاية الحرب اتجه مرة اخرى المنتصرون بتشكيل منظمة دولية فكانت الامم المتحدة وهذه الاخيرة لم تكن قادرة

على كبح الدول الطامعة بالاخرين فنرى بعد هذا التاريخ قد اندلعت العديد من الحروب التي كانت نتاج طبيعي لحرب بين القوى المتصارعة فالحرب الكورية وغزو افغانستان من قبل الاتحاد السوفيتي وتعدد الغزوات الامريكية في دول امريكيا الوسطى جميعها لم تكن هناك من رادع قانوني للدولة التي اعتدت على الاخرى، ورب سائل يسال كيف استطاعت المنظمة الدولية من اخراج العراق بعد اجتياحه للكويت عام ١٩٩١ نقول ان موضوع العراق لم يكن سوى تمرير اهداف دولية في زمن معين متخذة من المنظمة الدولية غطاءا على تحقيقها. وعلى العموم ان المجتمع الدولي متمثلاً بحكومات الدول راح يصف العلاقات الدولية باوصاف وعناوين براقة ليجعل منها صرحا محترما مادام منافع هذه الدول مستمرة بالتدفق وفي حال ظهور ما يعيق تدفق تلك المصالح فانها لن تتاخر في ركلها متخذة اكثر من تبرير بداع انها تدافع عن حقوقها فهتلر اجتاح الجيك بحجة الدفاع عن المجال الحيوي الألماني والولايات المتحدة مرة تجتاح دولة بزعم ان رئيسها يتاجر بالمخدرات واخرى تدافع عن امنها بالضربة الاستباقية ومرة بمحاربة الارهاب وستطلع العديد من تسويق التبريرات وليس بالضرورة ان تكون مقنعة من عدمها، او تحمل حقوقا او طغيانا.

خلاصة القول ان العلاقات الدولية وان تعددت المفاهيم والمصطلاحات على تعريفها الا ان الدول تتصرف وفق مبدا القوة وحسب وان من يرى خلاف ذلك انما يناقض الواقع، فجميع الدول تسعى الى بناء دولهم ومجتمعاتهم من خلال البرامج التنموية وزيادة قدرتها الدفاعية والتسليحية والتي تصب في النهاية في حصانة الدولة لكي تكون منيعة من أي تدخل خارجي، ان سياسات الدول متمثلة ببرامجها وعلى مختلف المجالات ما هي الا لسد المنافذ التي قد تكون سبيلا لتدخل الاخرين بها، وكلما كانت الدولة مقصرة في بناء مجتمعها كلما كانت مطمعا للاخرين والتاريخ والطبيعة خير شاهدين على ذلك ومثل تلك

الدول حالهم حال الحيوان الضعيف عندما يفرز ريح الخوف ليعرفه الحيوان المفترس من دون سواه.

وحيث ان موضوع بحثنا هو العلاقات العراقية الروسية خلال فترة ما بين ١٩٩١ ـ ٢٠٠٣ فان تلك الحقبة القصيرة من العلاقات مهمة جدا لانها محصورة بين متغيرين مؤثرين على العلاقات بين الدولتين لاسيما بعد حربين وحصار قاس استهدفتا قدرات العراق والوصول به الى احتلاله.

فعلاقات روسيا بالعراق تتميز في انهما لايستويان في العلاقة فروسيا الاتحادية دولة كبرى والعراق دولة متوسطة نسبيا وبالتالي عدم تكافؤ العلاقة ولاسيما ان فترة الدراسة تتناول الضغوط الدولية التي تعرض لها العراق بعد عام ١٩٩٠ الا ان واقع العلاقة يكشف عن متغيرات داخلية ودولية اثرت بالعلاقة. عليه فقد اوجزنا البحث بأربعة فصول، اذ جاء الفصل الاول بمبحثين تناول الاول منه جذور العلاقة بين البلدين لغاية عام ١٩٥٨ وحاولنا ان نظهر مدى الرغبة الروسية بالوصول الى العراق لتجد لها اطلالة على مياه الخليج التي طالما سعت للوصول اليها، اما المبحث الثاني فتناولنا به طبيعة العلاقة بين مورث روسيا الاتحادية وهو الاتحاد السوفيتي مع العراق وبقدر معين استطعنا ان نبين مظاهر تلك العلاقة ومجالاتها ومدى تاثيرها على صانع القرار السياسي في كلا الدولتين.

اما الفصل الثاني فقد تناولنا فيه المؤثرات الداخلية وتاثيرها على صانع القرار السياسي في روسيا الاتحادية وقد قسمنا هذا الفصل على مبحثين جاء في الاول المؤثرات الداخلية متمثلة بالمؤثرات الدستورية والمؤسسات غير الدستورية او غير الرسمية ومدى تاثيرها على صانع القرار السياسي في روسيا وقد اوجزناه في محورين رئيسين اولها المؤسسات الدستورية ومنها الرئيس والسلطة التنفيذية (الحكومة) والبرلمان اما المحور الاخر فقد عنى بالمؤسسات غير الرسمية وقد تضمن الأحزاب على اختلاف توجهاتها وجماعات

الضغط متمثلة بالكارتلات النفطية والشركات الصناعية وبخاصة الصناعة العسكرية وكذلك تضمن ايضا دور الراي العام والصحافة والكنيسة. ونعتقد ان صلاحيات الرئيس واسعة اذ يستطيع ان يعطل اغلب اعمال المؤسسات الدستورية في ادارة البلاد. اما المبحث الثاني فقد تضمن المؤثرات الداخلية متمثلة بالمشاكل الداخلية التي تعاني منها روسيا وقد اوجزناها بمشكلتين رئيسيتين اولها المشكلة الاقتصادية التي امتدت من العهد السوفيتي الى الدولة الروسيية وحاولنا ان نظهر طبيعة تلك الازمة واسبابها وبيان مؤشراتها وتاثيرها على صانع القرار السياسي ومدى التداخل بين التطلعات لعدوة روسيا التاريخية وبين عمق الازمة وتاثيرها على الحياة العامة في المجتمع الروسي. كما حاولنا ومن خلال البيانات ان نبين ان الازمة الاقتصادية يمكن تجاوزها ان احسنت السلطة ادارة البلاد كما كشفنا الدور الذي مارسه الرئيس فلاديمير بوتين وكيف استطاع من تخفيف وقع العقوبات والتمكن من السيطرة على العديد من المشاكل عبر اتخاذه العديد من الاجراءات الادارية والقانونية التي تهدف الى تجاوز هذه الازمة، من خلال حصولنا على بعض البيانات التي تظهر ارتفاع درجة النماء في روسيا. اما الموضوع الاخر الذي عد احد المؤثرات الداخلية في روسيا في الحرب في الشيشان حاولنا فيه الكشف عن تاريخ الازمة الشيشانية والتداخل الدولي في هذه الازمة وعن الاجراءات التي اتخذتها الحكومة الروسية من تخفيف وقع تلك الحرب على الراي العام الدولي واستطاعت ان تحّيد الحرب بعدها حربا على الارهاب وجعلتها محل مساومة لتصفية المشاكل العالقة بينها والولايات المتحدة.

اما الفصل الثالث فقد اوردنا به المؤثرات الخارجية على صانع القرار السياسي في روسيا الاتحادية وتضمن ثلاثة مباحث اولها كانت طبيعة العلاقات الروسية مع الولايات المتحدة ومدى تاثيرها على استقلال القرار السياسي في روسيا، ونعتقد ان علاقات البلدين

مرت بين جذب وشد ففي بداية عهد الدولة الروسية بعد الاستقلال تظهر العلاقة على انها علاقة تابع بمتبوع وذهبت روسيا بعيدا مع ما ترسمه الولايات المتحدة في وضع خارطة للعالم ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، لكن روسيا لم تجن ما كانت تامله من السير على الخطى الامريكية فبدا التململ والرغبة بالابتعاد عن الولايات المتحدة بعد خيبة الامل في تقديم المساعدات المالية لتجاوز ازمتها الاقتصادية، ونعتقد ان علاقة الدولتين قد لا ترتقي الى ما كانت عليه في الحقبة السوفيتية في اجواء الحرب الباردة لكن علاقتهما اليوم وفي المستقبل لن تكون بحال افضل او اكثر توافقا في العديد من القضايا الدولية بل قد يصل الامر الى التعارض والتصادم وهذا ما تسعى اليه الدولتان وبخاصة روسيا بعد اعلانها على حصولها على سلاح فائق القدرة لمواجهة السلاح الامريكي. اما المبحث الثاني فقد اظهر المؤثر الخارجي الاخر على السياسة الروسية وهو علاقة روسيا بحلف شمال الاطلسي والقلق الذي ينتاب روسيا من زحف الحلف نحو دول اوربا الشرقية وصولا الى بعض الدول التي نالت استقلالها من بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، وحاولنا ان نبين علاقة الحلف بروسيا من خلال التسلسل الزمني لعلاقتهما وهواجس دول الحلف من روسيا وبخاصة روسيا المستقبل، كما نعتقد ان دول الحلف لا ترغب باستعداء روسيا وهذا ما نلاحظه في الانفتاح الاوربي على روسيا وبخاصة في قطاع الاستثمار كما نرى ان الدول المهمة في الحلف مثل المانيا وفرنسا وقعت على معاهدات واتفاقيات بينهما لغرض تعزيز الشراكة في القارة الاوربية.

اما المبحث الثالث فقد عنى بالمؤثر الثالث الذي له تاثير على السياسة الروسية وهو مشكلة جزر الكوريل المتنازع عليها بين روسيا واليابان، أولينا فيه اظهار تاريخ النزاع وقانونية مطالبة اليابان في استرجاعها واهمية الجزر بالنسبة لكلا الدولتين وافاق مستقبل الجزر.

اما الفصل الرابع فتناولنا فيه العلاقات بين العراق وروسيا الاتحادية وقد توزع على ثلاثة مباحث افردنا في الاول منها البحث عن اجابات لتساؤلات لماذا العلاقة بين الدولتين من مختلف النواح الاقتصادية والأمنية والجغرافية والسياسية وتأثير تلك الأسباب على طبيعة العلاقة.

اما في المبحث الآخر فقد تناولنا اثر القرارات الدولية على علاقة العراق بروسيا وحاولنا ان نصل الى طبيعة التوجهات الروسية حيال العراق من خلال طرحنا لعدد من الاستفسارات ونحن نعتقد ان روسيا تعاملت مع القضية العراقية وفق اسلوب تكتيكي او مرحلي، فتباينت مواقفها بين جرأة المجازفة حين تعيد قراءة قرارات مجلس الامن المتعلقة بتسيير الرحلات الجوية الى العراق وبين مواقف تكون مبتعدة عن العراق بطريقة او باخرى. فكلما واجهت مشاكل مع الولايات المتحدة كلما القت بظلالها على تعاملها مع العراق. كما حاولنا ان نظهر ان سعي العراق لاعادة علاقته مع روسيا لم تكن مشفوعة بعلاقته التاريخية معها فحسب بل ان العراق قد افرز القوى القادرة على كبح اندفاع الولايات المتحدة اتجاهه ونعتقد ان السلطة في العراق ادركت الخارطة السياسية العالمية لكن نعتقد ان ادراكها جاء متاخرا وغير ذي نفع.

اما المبحث الثالث فقد أوجزناه بأوجه التعاون او التبادل التجاري بين العراق وروسيا في المجالات التي فتحت للعراق وفق اتفاقية النفط مقابل الغذاء. وحاولنا ان نظهر ان السلطة في العراق ارادت ان تنفذ من خلال تلك الاتفاقية الى عالم اوسع، ونرى ان العراق حاول ان يجر الدول لاتخاذ موقفٍ منحازٍ له امام العقوبات شاهرا عمق المعانات للشعب العراقي من جهة ومن اخرى مرغبا بثرواته لتلك الدول عارفا ومدركا ان تلك الدول ان اظهرت تعاطفا معه انما طمعا بأمواله، هذا الإدراك جاء مغايرا لإدراك سابق نعتقده كان خاطئا.

الغاية من البحث:

كما أسلفنا ان العلاقات الدولية قد تعددت المفاهيم حول تعريفها نظرا لقدرتها على التعامل والتفاعل مع المتغيرات التي تشهدها الدول على المستوى الداخلي والعالمي واهم تلك العوامل هي السياسية والاقتصادية التي لا يمكن الفصل بين تاثير احداها على الاخر، لذا فان البحث يكتسب من الاهمية حيث نعتقد انه من الدراسات التي حاولنا الوصول الى طبيعة العلاقة بين دولتي البحث من خلال التحليل الأكاديمي المعزز بالبيانات والنصوص دون التوصل الى افاق العلاقة بينهما لاكثر من سبب يقف في مقدمتها ان التغير الذي أصاب السلطة في العراق قد رفعت عنها الالتزامات الدولية التي أثقلت السلطة السابقة وبالتالي فان علاقتها مع روسيا او سواها سيتخذ اسلوبا اخر نعتقد انها تبتعد عن الخضوع للمساومة او للمكاسب السياسية بقدر ما تكون العلاقات التي تستند على المصالح المشتركة دليلا وسبيلا لإقامة علاقة تكافؤية.

من الضرورة البيان ان كلا من العراق وروسيا قد مرا بأوضاع تقترب فيما بينهما من حيث التوقيت وطبيعة المشاكل التي حلت بهما فضلا عن ذلك ان كلا الدولتين كانا يعدون من المعارضين للسياسة الامريكية ولو بنسب مختلفة بين العراق وروسيا بحكم وضعي الدولتين وطبقا للالتزامات التي تحملاها طوعا او كرها.

ان الفترة التي حددها البحث تعد من الفترات المهمة والحاسمة ليس في علاقة الدولتين فحسب بل عبر العلاقات الدولية عموما ففي بداية العقد الاخير من القرن الماضي حدث تغير كبير على المستوى العالمي هو انهيار المعسكر الاشتراكي وانهاء الحرب البادرة التي كانت بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبذات التوقيت فان العراق الحليف الاستراتيجي للاتحاد السوفيتي ارتكب خرقا وخطأ كبيرا بغزوه للكويت وبغض النظر عن الحجج التي ادعى بها فانه لم يستطع قراءة المتغيرات بشكل ينم عن إدراك وفهم ومعرفة وما لم يكن غير ذلك فانه قد أحسن التوقيت!!.

فرضية البحث:

تفترض الدراسة في فرضيتها ان العلاقات العراقية الروسية كانت اشبه بعلاقات عدم الثقة والشك المتبادل خلال فترة الدراسة ذلك لان العراق كان بتوجهاته معادياً للغرب وللولايات المتحدة. روسيا الاتحادية وقبلها الاتحاد السوفيتي قبل انهياره كانا يحملان ارث علاقة تقليدية مع دول العالم الثالث وحالة الفكاك التي كانت كل من الاتحاد السوفيتي وروسيا الاتحادية فيما بعد وهي التخلي عن التزاماته تجاه حلفاء الامس والبحث عن مقتربات تنتشل الوضع الداخلي عبر علاقة تكافؤية مع الغرب وان كانت على حساب حلفائها واصدقائها.

اعتمد البحث على جملة من الاسئلة حاولنا ان نجد لها إجابات وتحليلات منطلقاً من واقع الحاية السياسية في كلا الدولتين ومدى تأثرها بالمتغيرات الداخلية والدولية وقدرة العراق وروسيا على المناورة في تحقيق اهدافهما أمام العديد من الالتزامات التي عرقلت أرادتهما. ويبقى السؤال الأكثر أهمية ما هي أوجه العلاقات وطبيعتها بين العراق وروسيا ومدى قدرة الدولتين في التأثير بعلاقتهما على الساحة الدولية؟

منهجية البحث:

بما ان الدراسة تتناول موضوع في الدراسات الانسانية فان المنهج الوصفي غلب في ثنايا البحث وكذلك المنهج التحليلي ثم المنهج الذي يوصف في اثر المتغيرات على العلاقات بين طرفي العلاقة هو المنهج التحليل النظمي.

إشكالية البحث:

نعتقد ان البحث قد تجاوز العديد من الكوابح والقواطع التي كانت توضع للباحثين، ونستطيع القول اننا كانت لدينا فسحة كبيرة من غبداء الرأي والتحليل الحر من دون محاباة

او ميل او خشية عدم الرضا من طرف او أخر او من دون إيحاء بالملاءات من هنا او هناك. ونعتقد ان بحثنا يتفرد عن سواه بالتوقيت وبالموضوع فمازال العراق شاغل العالم بمشاكله رغم انها مشاكل جلها هو من الماضي القريب اما الموضوع فاننا نعده ساخنا وحاولنا ان نظهره بشكل نعتقد انه اقرب الى الحقيقة. ومع ذلك فقد واجهتنا شحة في المصادر التي سعينا الى حصولها وبخاصة الوثائق والبيانات التي تظهر حجم العلاقة في مختلف القطاعات ولم نجد من يصغي الينا فالسفارة الروسية في بغداد ابدت تحفظاً غريباً على طلباتنا اما مكتباتنا وارشيفنا فذهب الى النار التي التهمتها مع بغداد.

الفصل الأول
مراحل العلاقة
(جذور العلاقة)

المبحث الأول

من بداية الاهتمام الروسي الى عام ١٩٥٨

يمتد الاهتمام الروسي بالعراق منذ أمد بعيد، لما يتميز من موقع على الخليج العربي (المياه الدافئة) حيث ان روسيا سعت دوما للوصول الى هذه المياه بسبب عدم وجود منفذٍ بحريٍّ على البحار الصالحة للملاحة، فمعظم موانئها غير صالحة للعمل معظم أوقات السنة. فشواطئها التي تطل على المحيط المتجمد الشمالي هي غير صالحة للملاحة بسبب تجمدها، والحال ينطبق على مينائها المطل على بحر اليابان، اما التي تطل على البحر الأسود والبلطيق فهما من البحار المغلقة وتقع تحت سيطرة دولة ثانية تتحكم بالمرور بها[1].

---

(١) د. سمعان بطرس فرج الله، العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين، الجزء الأول، ١٩٧٤، ص٥٣.

* بطرس الأكبر تولى الحكم في التاسعة من عمره مع شقيقه ثم استلم الحكم لوحده عام ١٦٩٦، يعتبر هذا الحاكم منشأ روسيا الجديدة وبجراءة عظيمة حيث نقل المجتمع الروسي من الهمجية والتخلف الى الحضارة والتمدن خلال عشرين سنة. ويعتبر بطرس من الملوك المستبدة في التاريخ وقد جمع بيده السلطة السياسية والدينية ليضمن لشعبه اهنأ حياة واصبح يمثل رغبات دولته وكان كبير الطموح وبعث المجد الروماني. هاجم الترك في جزيرة القرم وأمله الوصول الى القسطنطينية. انشأ أسطولا بحرياً كبيراً وكان هذا غايته الكبرى لتحقيق سيطرته على البحر الأسود وبحر البلطيق. كان حازماً وبلا تردد في اتخاذ قراراته اتجاه خصومه حتى نال من ابنه. وهو من ابرع السياسيين ويتمتع بعقل ثاقباً ومدركاً للمرامي السياسية ويحسن اغتنام الفرص من خصومه. الدكتور نجيب الارمنازي، السياسة الدولية واشهر رجالها، القسم الأول، دمشق ١٩٥٠ ص٦٣ وما بعدها.

فالقياصرة كانوا يأملون بالوصول الى المياه الدافئة عبر توسعهم نحو الجنوب وقد كان (بطرس الأكبر)* (١٦٧٧ـ ١٦٩٨) يركز اهتمامه على البحر الأسود كمنفذ للوصول الى المياه الدافئة من خلال المضايق التركية[١].

ولهذا الحاكم (القيصر) وصية يوصي بها شعبه قائلاً: (تقدموا ما استطعتم نحو الإستانة والهند، ان من يحكمها سيكون سيد العالم بلا منازع، ولتحقيق ذلك اشهروا الحرب المتواصلة على تركيا وإيران، وإذا ما سرى الانحلال في ايران فتوغلوا فيها حتى تبلغوا سواحل الخليج... ثم واصلوا السير نحو الهند محط كنز العالم)[٢].

أما (كترينا الثانية)* والتي حكمت روسيا ما بين (١٧٢٩ـ١٧٩٦) عملت لتحقيق الأمل في الوصول على المياه الدافئة في المحيط الهندي والخليج العربي[٣].

كما حضت منطقة الخليج العربي باهتمام واضح من قبل روسيا القيصرية في القرن الثامن عشر لوضعها الجيوستراتيجي الذي يعد أحد محاور اهتمامها، حيث كان من بين أهداف سياستها الخارجية هو توسيع امتدادها الجغرافي لحدود إمبراطوريتها باتجاه الجنوب وصولاً إلى ما يعرف بالمياه الدافئة[٤].

---

(١) د. حميدة سميسم. (روسيا والموقف من العراق في ام المعارك) بحث منشور ضمن كتائب العرب والقوى العظمى / العرب وروسيا سلسلة المائدة الحرة ـ ٢٠. بيت الحكمة ١٩٩٨ اذار. ص٥٠.

(٢) د. غانم محمد صالح، روسيا والخليج العربي، بحث منشور ضمن كتاب العرب والقوى العظمى، (العرب وروسيا) سلسلة المائدة الحرة. ٢٠ بيت الحكمة، اذار ١٩٩٨ ص٨٢٨١.

* كاترين الثانية هي من قياصرة روسيا، ألمانية الأصل تعد مؤسسة الإمبراطورية الروسية، تتميز بعبقرية بالغة، واسعة المطامع. للمزيد يمكن مراجعة د. نجيب الارمنتازي، السياسة الدولية واشهر رجالها، القسم الاول، مصدر سابق، ص٧١ وما بعدها.

(٣) د. حميدة سميسم، روسيا والموقف من العراق في ام المعارك، مصدر سابق ٥٠.

(٤) د. عبدالقادر محمد فهمي، روسيا الاتحادية والوطن العربي دراسة مقارنة للسلوك السياسي السوفيتي. الروسي تجاه الوطن العربي، بحث منشور ضمن كتاب العرب والقوى العظمى العرب وروسيا، بيت الحكمة، آذار ١٩٩٨. ص١٩.

فضلا على اهتمام التجار والشركات الروسية بالعراق، حيث بدأوا يسيرون رحلاتهم إليه منذ عام ١٩٠١ من خلال مدينة البصرة وبذات الاتجاه فان روسيا القيصرية بدأت تنافس الدول الأجنبية التي لها تواجد واحتكارات في العراق مثل النمسا وبخاصة في توريد الأخشاب اليه، الى جانب ذلك ان السندات الروسية أصبحت تمثل العملة المعتمدة في العراق بعد فقدان قيمة العملة العثمانية التي كان يطرحها البنك العثماني في العراق عام ١٨٩٤[١].

على الرغم من ان العراق عند نهاية القرن التاسع عشر لم يكن من الدول المستقلة الا ان روسيا القيصرية قد افتتحت قنصلية لها في مدينة البصرة وكان القنصل هو المستعرب (اداموف). وفي عام ١٩٠٩ اهتم (لينين)[٢] بالعراق والمنطقة بتحليلاته حول سعي بريطانيا للسيطرة على الإمارات الخليجية وكذلك بالمعاهدة ألا نكو الألمانية حول تقسيم العراق الى مناطق نفوذ لهم عام ١٩١٣[٣].

ونجد الموقف الروسي واضحا في مشروع خط سكة الحديد بغداد. برلين الذي

---

(١) الكسندر اداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم محمد التكريتي، مركز دراسات الخليج العربي، الجزء الثاني، ١٩٨٩ ص٤.

(٢) هو فلاديمير ابليتش لينين ولد سنة ١٨٧٠ وبدأ نشاطه السياسي وهو طالب في كلية الحقوق وبسبب نشاطه فصل ثم اعيد الى كلية أخرى، عمل فترة بالمحاماة، تعرف على شخصيات تتبنى الأفكار الاشتراكية الثورية، تعرض لعدة مرات الى النفي، حرر جريدة اسكرا الثورية، تزعم الكتلة الثورية المسماة البلشفيك. اشترك في ثورة ١٩٠٥ التي باءت بالفشل. عاد الى روسيا وبدأ الثورة الروسية عام ١٩١٧ ثم تولى رئاسة الدولة وعقد صلحا مع المانيا ليتفرغ الى تثبيت قواعد الحكم الجديد وصد تيار التدخل الغربي الذي نتج عن نشوب حرب أهلية امتدت حتى عام ١٩٢١. تبنى تشريعات بدلت صورة الحياة في روسيا. استطاع تحويل روسيا من دولة زراعية الى صناعية. نظم الكومنترن. توفي عام ١٩٢٤، احمد عطية الله، القاموس السياسي ١٩٦٨، ص١٠٨٦.

(٣) بوندا رينسكي، سياستان إزاء العالم العربي، دار التقدم، موسكو، ١٩٧٥ ص٢٦٥.

عارضت إنشاءه لاسباب اقتصادية وسياسية، فادعت ان الخط المزمع إنشاءه سوف يؤثر على الثورة التي تجنيها من مصادر بترولها في الجنوب بعد ان تستغل الموارد البترولية في مدينة الموصل العراقية. كما ان إنشاء مثل هذا المشروع غير مرغوب فيه لانه سيجعل من جارتها في الجنوب وتقصد الدولة العثمانية دولة تتمتع بالقدرة على مجابهتها في حالة قيام حرب[١].

وظلت الدولة الروسية تتربص لأية فرصة تجعلها تقترب من العراق، وقد سنحت لها هذه الفرصة عند نهاية الدولة العثمانية، فقد قامت القوات الروسية بدخول الأراضي العراقية من جهة الشرق وعند مدينة خانقين، ففي نيسان من عام ١٩١٧ احتلت هذه القوات تلك المدينة حال انسحاب القوات العثمانية منها وكانت معظم القوات الروسية تتألف من الخيالة القوزاق القساة وقد عانى أهل خانقين من تصرفات القوات الروسية، حيث كانوا ينهبون أموال الناسوحوائجهم ويجبرونهم على قبول النقود الروسية هابطة القيمة[٢].

لكن يبقى غاية اهتمام القياصرة هو الوصول الى المضايق التركية التي تضفي الى البحر الأبيض المتوسط وهذا ما نجده في معاهدة (سايكس بيكو)[٣] عام ١٩١٦ حين كانت دولة الروس أحد أطراف هذه المعاهدة مع كل من فرنسا وبريطانيا والتي كان بموجبها اقتسام

---

(١) د. سمعان بطرس فرج الله، العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين، مصدر سابق، ص١٤٠-١٤١.

(٢) باقر ياسين، تاريخ العنف الدموي في العراق، ١٩٩٩ ص٢٩٤.

(٣) معاهدة سرية بين بريطانيا وفرنسان بشأن تقسيم الولايات العثمانية في الشرق الأوسط بينهما. ينسب اسمها الى كل من ممثلي الدولتين وهما مارك سايكس البريطاني وجورج بيكو الفرنسي. تم توقيع عليها عام ١٩١٦ وبقي امرها سراً حتى عام ١٩١٧ حين وقعت صورة من نصوصها بأيدي القوات الألمانية. وبعد الثورة الروسية اذاع الشيوعيين للوثائق والمعاهدات السرية التي وجدت في محفوظات وزارة الخارجية الروسية ابان الحكم القيصري باعتبار روسيا حليفة لكل من بريطانيا وفرنسا حينذاك.

ممتلكاتالدولة العثمانية بعد مفاوضات دامت بين تلك الدول طالبت روسيا بمد سيطرتها الى كردستان والى ما وراء ولاية الموصل، لكن في نهاية التقسيم وافقت الدول المعنية بتوسيع روسيا من جنوب البحر الأسود الى غرب ديار بكر[١]. هذا المعادة التي كشف عنها القادة السوفيت عقب ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ والتي كانت تتضمن في بنودها الأمور التالية:

١ـ إعطاء الشاطئ السوري ولنان الى فرنسا.

٢ـ إعطاء البصرة وضواحيها الى بريطانيا.

٣ـ إنشاء دولة عربية شبه مستقلة في المنطقة الواقعة بين هاتين المنطقتين على ان يخضع نصفها الغربي للنفوذ الفرنسي ونصفها الشرقي لبريطانيا.

٤ـ تدويل فلسطين.

٥ـ إعلان الاسكندرونة ميناء حر.

٦ـ إخضاع المضايق التركية واستنبول وأرمينية الى الحكم الروسي[٢]. ونستطيع ان نؤشر الاهتمام السوفيتي في العراق الى عام ١٩٢٠ حين عقد مؤتمر باكو حيث ظهرت نداءات تحرض. فلاحي العراق وسوريا والجزيرة العربية. بالتمرد العصيان وإعلان الثورة على بريطانيا وفرنسا وتشكيل أحزاب شيوعية ترتبط بالشيوعية الأممية وان تلتزم بقراراتها[٣]. وما جاء بالمصادر السوفيتية ان الحكومة التي تشكلت في العراق عقب ثورة

---

(١) اديت وائي وايف بيزوز، العراق دراسة في علاقته الخارجية وتطوراته الداخلية (١٩٢٥ ـ ١٩٧٥) ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩، الجزء الاول، ص٩١.

(٢) د. رياض الصمد ـ العلاقات الدولية في القرن العشرين، الجزء الاول بدون مكان وتاريخ للطبع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص٧٩–٨٠.

(٣) سمير عبد الكريم، أضواء على الحركة الشيوعية في العراق، دار المرصاد، الجزء الأول، ١٩٧٩، ص٢٠.

عام ١٩٢٠ قد سعت الى إقامة علاقة مع الاتحاد السوفيتي، ويفيد القنصل السوفيتي في تركيا ان ممثلا عن حكومة العراق وصل الى تركيا لغرض إقامة علاقات مع بلاده[١].

هذا الاهتمام لا يمكن بمكان ان نذهب للقول باعتباره جزءً من علاقات دولية ذلك لان العلاقات الدولية تقوم بين وحدتين سياسيتين كاملتي الأهلية وبناء عليه فلا يمكن ان نبدأ بتاريخ هذه العلاقة الا في حالة تمتع الدولتين بالاستقلال الكامل.

وعلى الرغم من ان العراق قام فيه نظام وطني عام ١٩٢١ الا انه لم تبد الدولة السوفيتية باي رد يدعو ان يكون بادرة لبدأ العلاقات[٢].

في عام ١٩١٧ حدث تغير في نظام الحكم في روسيا وعلى اثر ذلك فقد تغيرت السياسة الخارجية ولم تبد اهتماما واضحا بالشؤون الخارجية حيث كانت تسعى الى تحقيق مكاسب داخلية كما كان القادة الجدد يأملون في نجاح ثورتهم على نطاق عالمي[٣].

ربما لان الروس في هذه الفترة كانوا قد خرجوا للتو من حرب أهلية بين الجيش الأحمر والجيوش البيضاء المدعومة من الموالين للقيصر إضافة الى قوات خارجية عدوة للبلاشفة[٤].

إضافة الى ذلك فان الجيش الروسي كان منشغلا بمحاربة الحلفاء الذين توسعوا داخل الأراضي الروسية عام ١٩١٨ واستمر التطهير الروسي والتوسع لضم الجمهوريات الأخرى المحاذية لروسيا حتى عام ١٩٢٢ أعلن ولادة الاتحاد السوفيتي والذي لم ينل

---

(١) د. حميدة سميسم، روسيا والموقف من العراق في ام المعارك، مصدر سابق، ص٥٣.

(٢) والتر لاكور، الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط، تعريب لجنة من الأساتذة الجامعيين، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٥٩ ص٧٧.

(٣) خالد محمد القاسمي، الخليج العربي في السياسة الدولية، الامارات، دار الشباب للنشر والترجمة، ١٩٨٦، ص١٤٠.

(٤) موسوعة التاريخ، قرص مدمج صدر عن مؤسسة "*Multimedia Laleh Compyter Ine.*"

الاعتراف من أوربا وأمريكيا حتى وقت متأخر حيث اعترفت الولايات المتحدة به عام ١٩٣٩.

فضلا عن ذلك ان القادة الروس يدركون جيدا ان التعرض للدول في المقاطعات التي يسيطرون عليها مثل بريطانيا في العراق سيجلب لهم الأزمات لضعف قدراتهم في مواجهة تلك الدول في ذلك الحين.

نال العراق استقلاله الرسمي في تشرين الاول من عام ١٩٣٢ بعد فترة الانتداب البريطاني بموجب قرارات عصبة الأمم عام ١٩٢١. وبهذا قد اصبح مؤهلاً قانونيا لان يقيم علاقات مع دول العالم ويرتبط بها.

ومع ذلك لم تبادر كلا الدولتين الى إقامة أية علاقة لاسباب داخلية، فالعراق وبعد الاستقلال ارتبط بمعاهدة مع بريطانيا أثقلت من حركته وقراراه السياسي على الصعيد الدولي [١]. وتعد معاهدة ١٩٣٠[٢] من ابرز المعاهدات التي أعطت لبريطانيا الدور الكبير للسيطرة على السياسة العراقية وجعلت من العراق تابعاً لسياستها[٣].

---

(١) عبد المناف شكري جاسم، العلاقة العراقية السوفيتية، ١٩٤٤ ـ شباط ١٩٦٣، رسالة ماجستير منشورة، مطبعة جميل، الطبعة الثانية، بغداد ١٩٨٠ ص٨١.

(٢) تم توقيع المعاهدة بتاريخ ١٩٣٠/٦/٦٠ واهم ما تضمنته

١. تحالف الدولتين بملء ارادتهما

٢. تعهد العراق بالسماح للقوات البريطانية باستعمال اراضيها في حالة الحرب

٣. منح العراق لبريطانيا قاعدتين جويتين دائمتين هما الشعبية قرب البصرة والحبانية

٤. مدة الاتفاقية ٢٥ سنة.

للمزيد انظر محمود الدرة، الحرب العراقية البريطانية ١٩٤١، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، بيروت ١٩٦٩، ص١٤٨.

(٣) د. وميض جمال عمر نظمي و د. الدكتور شفيق عبد الرزاق و د. غانم محمد صالح، التطور السياسي المعاصر في العراق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ١٩٨٢ بغداد، ص٣١.

في عام ١٩٣٤ رفضت الحكومة العراقية طلباً من الاتحاد السوفيتي بإقامة علاقات دبلوماسية بين الدولتين بزعم ان مثل هذه العلاقة سوف تؤدي الى بث الدعاية الشيوعية في العراق[١]. مع تكرار محاولة إقناع الحكومة العراقية بإقامة علاقة.

وما أورده رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد عام ١٩٥٦ مايلي (في عام ١٩٣٤ وأثناء حضوري اجتماع عصبة الأمم الذي عقد في تلك السنة قابلني الرفيق لاتفينوف وزير خارجية الاتحاد السوفيتي آنذاك وممثلها في الاجتماع وفاتحني في ضرورة تبادل التمثيل الدبلوماسي بين العراق والاتحاد السوفيتي فأجبته بان ضرورة تبادل التمثيل الدبلوماسي بين أي بلد وآخر تعززها المصالح المشتركة بين البلدين كوجود علاقات تجارية واقتصادية بينهما او وجود رعايا لاحد البلدين في البلد الآخر وجميع مثل هذه العوامل غير موجودة في العراق وروسيا الشيوعية وعليه فان تأسيس تمثيل سياسي بين البلدين في مثل هذه الظروف لا معنى له اللهم الا اذا كان الغرض منه بث الدعاية الشيوعية في العراق مما ينجم عنه حتما إثارة القلاقل والاضطرابات في بلادنا بالنظر الى مناقضة المبادئ الشيوعية لعاداتنا وتقاليدنا وديننا وسيؤدي الى تردي العلاقات بين البلدين)[٢].

واعتبر الاتحاد السوفيتي ان الانقلاب الذي حدث في العراق عام ١٩٣٦ بقيادة بكر صدقي هو حركة لها السند والدعم من الجيش الوطني ولها أهدافها التي تتمثل بإنهاء الإقطاع في العراق وكذلك محاربة خطر الفاشية وهي تستهدي بالمبادئ الاشتراكية[٣].

اما على الجانب الروسي ففي هذه الفترة انكفأ القادة السوفيت على إصلاح ما دمرته

---

(١) عبد المناف شكري جاسم، العلاقات العراقية السوفيتية، مصدر سابق ص٢٦-٢٧.

(٢) نقلا عن عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء السادس، بيروت ١٩٨٧، ص٨٧.

(٣) والتر لاكور، الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط، مصدر سابق ص١٤٧-١٤٨.

الحرب العالمية الأولى واعادة بناء دولتهم وفق التصورات الماركسية الشيوعية.

وظل اهتمام السوفيت ينصب على القارة الاوربية والولايات المتحدة.

ذلك لان الاتحاد السوفيتي تعرض الى جملة من المواقف من قبل الدول الليبرالية وتعددت هذه المواقف بين استعمال السلاح والتدخل المباشر والعزل السياسي والاقتصادي التي تهدف جميعها الى إسقاط النظام البلشفي[١].

أبدى الاتحاد السوفيتي رغبته بإقامة علاقات ودية مع العراق عام ١٩٤٠ عندما اجتمع المفوض العراقي في تركيا مع السفير السوفيتي في أنقرة وعندما نقلت هذه الرغبة الى الحكومة العراقية لم ترض بريطانيا واتخذت منها سببا للاصطدام[٢].

ولم يشر أثناء هذه الفترة ما يدلل على وجود أية صيغة من العلاقة. حتى عام ١٩٤١ خلال حركة الظباط وتشكيل حكومة الدفاع الوطني برئاسة الكيلاني [٣] عندما حاولوا قادة هذه الحركة استغلال الوضع الدولي والتخلص من الهيمنة البريطانية على سياسية العراق وبادروا الى الطلب بإقامة علاقة مع الاتحاد السوفيتي مع ضرورة تزويد العراق بالأسلحة عبر ألمانيا الا ان الجانب السوفيتي لم يوافق على ذلك مبررا موقفه بان الاتفاقية

---

(١) د. رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، الجزء الاول، مصدر سابق، ص١٨١ وما بعدها.

(٢) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء السادس، مصدر سابق ص٢٢٢.

(٣) هو رشيد عالي الكيلاني ولد عام ١٨٩٣ ببغداد درس القانون وعمل مدرس لمادة، عين عضو بمحكمة التمييز ثم وزيرا للعمل وعلى اثر المعاهدة العراقية مع بريطانيا بخصوص البترول استقال من الوزارة. اصبح رئيس الوزراء اكثر من مرة. في عام ١٩٤٠ رفض قطع العلاقة مع إيطاليا وتعرض الى ضغوطات من قبل بريطانيا استقال على إثرها أعيد الى الوزارة من قبل الجيش وعلى إثرها اندلعت الحرب مع الجيش البريطاني وهذه سميت باسمه (ثورة الكيلاني) لجأ الى السعودية وعاد الى البلاد عام ١٩٥٨، توفى عام ١٩٦٥. انظر احمد عطية الله القاموس السياسي، مصدر سابق ص٥٦٦٥٦٥.

الموقعة مع ألمانيا لم يرد فيها على السماح للسوفيت بتوريد الذخائر [١].

بعد مرور ١٥ يوماً على البدء بحركتهم. وقبل شهر من الغزو الألماني لأراضي الاتحاد السوفيتي.

كانت لهذه الحركة وقعها على السوفيت وعد من بين أولى الدول التي اعترفت بها وشجبت المحاولات البريطانية لقلبها، وأبدوا السوفيت المساعدة لهذه الحكومة [٢] حيث قام السفير السوفيتي بتركيا بدور كبير لدعم ما يحصل في العراق مما نتج عن ذلك اعتراف العديد من الدول بحكومة الدفاع الوطني منها ألمانيا وإيطاليا والمجر وبلغاريا واليابان ورومانيا [٣].

ونلاحظ مدى التشابك والتضارب في العلاقات الدولية فالاتحاد السوفيتي الذي يحالف بريطانيا في الحرب العالمية الثانية نجده يسعى الى إقامة علاقة مع العراق الذي كان أثناء هذه الفترة يطالب بتحييد موقفه من الحرب والسعي الى عدم قطع علاقته بألمانيا ويرى ان دخول العراق الحرب ولو بشكل غير مباشر لا يخدم البلاد باي حال. ولكن ما لبث الاتحاد السوفيتي عند دخوله للحرب كحليف لبريطانيا اثر تعرضه للهجوم الألماني حتى تغير موقفه من التغير الحاصل في العراق ووصف الكيلاني بأنه كان فاشياً مأجوراً

---

(١) عبد مناف شكر جاسم، العلاقات العراقية السوفيتية، مصدر سابق، ص٥١.

(٢) مجلة آفاق عربية، العدد ٩، أيار، ١٩٧٦ (ملف عن الحرب العراقية البريطانية). وكذلك كتبت صحيفة البرافدا السوفيتية في ١٩ مايس ١٩٤١ تعليقاً على أحداث العراق (ان حكومة فخامة السيد رشيد عالي الكيلاني قد وضعت شروطاً لانهاء النزاع في حينه وهو الجلاء جميع القوات البريطانية من العراق وقد اظهرت بهذا الكلام لكلا الفريقين المتحاربين في هذه الحرب الاستعمارية، ان الامم الصغيرة لا يمكن ان تكون دوماً ساحات حرب بسهولة كما كان يعتقد الإنكليز...).

(٣) محمد جميل إبراهيم، العلاقات العراقية الروسية ٢٠٠٣ اطروحة دكتوراه غير منشورة المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، ص١٩.

ووصفت الحركة بأنها موجهة ضد الاتحاد السوفيتي [١]. والسبب في ذلك التحول هو ما طرأ على موقف الشيوعية من معاداة الاستعمار الأوربي في الوطن العربي اذ اعتبرت موقف العرب ضد الاستعمار الأوربي هو في صالح الفاشية النازية.

وبسبب ظروف الحرب العالمية الثانية وتحالف الاتحاد السوفيتي مع بريطانيا دفعت الأخيرة بالعراق لإقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي [٢].

ما ثبت من خلال الوثائق المتبادلة فان العلاقة بين الدولتين بدأت عام ١٩٤٤ حين قام وزير خارجية العراق بإرسال برقية تتضمن إقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي، وقوبل تأسيس العلاقات بترحيب عظيم من قبل الشيوعيين وممن يسمون أنفسهم بالتقدميين في العراق [٣].

أعلن عن قيام علاقات رسمية بين البلدين في أيلول من العام نفسه. واصبح العراق اول بلد خليجي يقيم علاقة مع هذا البلد لما للعراق من اعتبارات عديدة من بينها قربه الجغرافي من الاتحاد السوفيتي وليحقق من خلاله الوصول الى المياه الدافئة [٤].

الى هذا ظلت العلاقة بين الدولتين بأقل مستوى ولم تظهر أي شكل من اشكال العلاقة ذلك لان القادة السوفيت وخصوصاً (ستالين)[٥] كان يرى ان لا جدوى من اقامة علاقة

---

(١) عبد المناف شكر جاسم، العلاقات العراقية السوفيتية مصدر سابق، ص٥٥.

(٢) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء السادس، بيروت، ١٩٨٧ ص٢٤٠.

(٣) المصدر نفسه ص٢٢٣.

(٤) د. منعم صاحي العمار، العلاقات العراقية. الروسية والبحث عن نموذج واقعي لتاطير تفاعلاتها بحث مقدم الى المؤتمر العلمي السنوي لمركز الدراسات الدولية جامعة بغداد مجلة دراسات استراتيجية، تصدر عن مركز الدراسات الدولية في جامعة بغداد، العدد الثالث، ١٩٩٧ ص١٨٧.

(٥) هو جوزيف فيساريونوفتش دوجاشفيلي، ولد ببلدة جوربي بالقرب من تفليس (جورجيا) من اب يعمل صانع احذية التحق بمدرسة دينية ولكنه طرد منها بسبب دعايته الماركسية الاشتراكية ومنذ عام ١٨٩٨ اشتغل بالمسائل السياسية حين انظم الى حزب الديمقراطي الاشتراكي وبسبب هذا

مثمرة مع الدول العربية ومن ضمنها العراق وذلك لانه كان يعتبر الحكام العرب هم صنيعه الغرب الرأسمالي وهي نظم رجعية اقطاعية [١]. وعلى ذات المنهج الستاليني اعتبر ان هذه الدول تتصف بالتخلف الاقتصادي والاجتماعي ولا يسمح بالتوغل الايدلوجي فيها [٢].

في هذه المرحلة ركزت القيادة السوفيتية على ثلاثة امور لادارة السياسة الخارجية والداخلية اولها تعزيز مركز القيادة وقوتها في الداخل على مستوى الحزب والدولة والاخر هو تاكيد النهج الاشتراكية في بلد واحد وآخرها عدم التعرض للسيطرة البريطانية والغربية المتنفذة في منطقة الخليج العربي لقناعة هؤلاء القادة بقدراتهم الذاتية التي لا تسمح بمثل هكذا سياسة [٣]. وحرص ستالين أثناء حكمه على عنصرين تقليدين للسياسة الخارجية السوفيتية هما العزلة الدفاعية والتأكيد على ضرورة إنجاز مستلزمات البناء والتقدم الداخلي كعنصر حاسم لتطور الثورة العالمية[٤]. وكان العالم في تلك الفترة يسير

النشاط نفي خمس مرات الى سربيا بين عام ١٩٠٣ـ١٩١٢ وفي السنة التالية اسس جريدة البرافدا لسان حال الحزب الشيوعي والف رسالة عن المسائلة القومية والاستعمارية لفتت اليه انظار لينين ولم يلبث ان نفي سيبريا وبقي بها حتى قيام الثورة عام ١٩١٧ وعلى اثر عودته انتخب عضو بالمكتب السياسي للحزب وبقيام الحكومة الشيوعية الاولى عين وزيراً للقوميات فعمل على ان يكون لجميع مواطني الاتحاد السوفيتي حقوقاً متساوية، يعتبر عهد ستالين واحدا من اسوء عهود الطغاة في التاريخ، يؤمن بان على روسيا ان تبني صناعة متطورة. توفي عام ١٩٥٣. للمزيد انظر اجمد عطية الله، القاموس السياسي، مصدر سابق، صحة ٦١٢.

(١) د. حميدة سميسم، روسيا والموقف من العراق في ام المعارك، مصدر سابق، ص٥٤.

(٢) د. عبد القادر محمد فهمي، روسيا الاتحادية والوطن العربي دراسة مقارنة للسلوك السياسي السوفيتي. الروسي تجاه الوطن العربي، مصدر سابق، ص٢١.

(٣) د. وليد الشريف، الاتحاد السوفيتي ومنطقة الخليج العربي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الخامس، كانون الثاني، ١٩٧٦ ص٩٠.

(٤) عبد القادر محمد فهمي، روسيا الاتحادية والوطن العربي دراسة مقارنة للسلوك السياسي السوفيتي. الروسي تجاه الوطن العربي، مصدر سابق، ص٢٠.

باتجاه الحرب مما دعا القادة السوفيت الى صب جل اهتمامهم بالقارة الأوربية والشرق الأدنى. وتعود الاسباب التي ساعدت الى عدم إقامة علاقة متقابلة مع الدول العربية وبضمنها العراق ذلك لان القادة السوفيت كانوا يقيمون اية علاقة على اساس الطابع الأيدلوجي.

وهذا الطابع يصب في انتصار الطبقة العاملة (البروليتاريا)[١] ويرى الحزب الشيوعي ان مصالحة ومصالح الحركة الثورية في جميع البلاد تلتقي في مصلحة عامة واحدة وهي انتصار الثورة الاشتراكية في جميع البلاد[٢].

فضلاً عن ان الاتحاد السوفيتي وخلال تلك الفترة انصرف الى تنمية نفسه عبر الانكفاء نحو الداخل الى جانب العزلة التي فرضتها الدول الغربية له بحجة مكافحة المد الشيوعي لذا نلاحظ ان دوره في هذه الفترة دور محدود للضعف قدراته التأثيرية في المجال الدولي[٣].

أدى دخول الاتحاد السوفيتي الحرب وخروجه منها منتصراً الى ظهوره بصفته أحد الدول الكبرى المؤثرة في الساحة الدولية حيث يتمتع بالتفوق العسكري فضلاً عن إضافة

---

(١) هي كلمة لاتينية الاصل تعني طبقة العمال الذين لا مورد لهم الا من كسب عملهم. واكد عليهم البيان الشيوعي بقوله ان الصراع في المجتمع الرسمالي قائم بين طبقة البرجوازية وطبقة البروليتاريا وان الاولى تستغل الثانية لهذا انصح هذه الطبقة بان تهب وتدافع عن حقوقها وتستعجل هدم المجتمع الراسمالي والعالم المتطور من مجتمع راسمالي طبقي الى مجتمع شيوعي لا طبقي يمر بمرحلة وسطى تكون السيادة فيها لطبقة البروليتاريا وهي سيادة تتميز بالدكتاتورية البروليتاريا وهي تختلف عن الدكتاتورية البرجوازية كونها دكتاتورية لاغلبية. احمد عطية الله، القاموس السياسي، مصدر سابق، ص١٩٨–١٩٩.

(٢) روي مكريدس، مناهج السياسة الخارجية في دول العالم، ترجمة د. حسن الصعب منشورات المكتبة الاهلية، بيروت ١٩٦١ ص١٨٨.

(٣) سعد صادق حسون، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٦٨ ـ ١٩٨٠، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٣ صفحة.

الفكر الشيوعي المنادي بالاشتراكية والمعادي للراسمالية الغربية.

لاقى هذا التأييد من قبل الدول الطامحة للاستقلال، حيث كان القادة السوفيت ينادون بكل مظاهر التحرر لتلك الدول ويناصرونها كل مظاهر التحرر لتلك الدول، لهذا أدركت الدول الغربية هذا الدور الجديد للاتحاد السوفيتي مما حدى بالدول الغربية الى تحجيمه بأي أسلوب وعبر مختلف الوسائل.

وتأسيسا على ما تقدم فقد مارست الدول الغربية تأثيراتها على الحكومات العربية ومنها حكومة العراق بغية عدم الانفتاح مع الاتحاد السوفيتي او اقامة علاقات في مختلف المجالات بدواعي شتى مستغلة الفكر الشيوعي ذاته عبر ترويج المبادئ التي تتقاطع مع العقيدة الإسلامية والثقافة العربية مما لاقى هذا التوجس من الفكر الشيوعي ما يبرره لدى الجامهير العربية. مما ألقت بضلالها على طبيعة العلاقة بين البلدين[1] دون الولوج الى أهداف الشيوعية من تحرر ونماء عبر انتصار الطبقة العاملة رغم ما شابهها من اجراءات تعسفية حيال الشعوب التي طبقتها.

ويكفى لاعطاء الصفة العالمية للمصالح الوطنية لدولة ما ان يتوفر لها أحد العاملين التاليين:

أولاً: (إيجاد أشكال التنظيم السياسي الصالحة لوصل مصالحها الوطنية بمصالح العالم بكامله).

ثانياً: (الاعتراف الكثيف في بلاد أخرى بان المصالح الوطنية لدولة أجنبية معينة هي مصالح سامية تعلو مصالح الجميع)[2].

---

(١) د. حميدة سميسم، روسيا والموقف من العراق في ام المعارك، مصدر سابق صحفة ٥٤. كذلك انظر د. عبد القادر محمد فهمي، العرب والقوى العظمى، ص٢١.

(٢) روي مكريدس، مناهج السياسة الخارجية في دول العالم، مصدر سابق، ص١٨٨.

فالتوسعية إذا قائمة في طبيعة الأيدلوجية اللينينية الستالينية. والدولة السوفيتية ان هي الا دولة أيدلوجية لا تلتزم بحدود جغرافية ثابتة. وهذا ما أكده الدستور السوفيتي لعام ١٩٢٤ حيث جاء فيه (... وانه خطوة حاسمة نحو اتحاد عمال جميع بلاد العالم في جمهورية اشتراكية سوفيتية واحدة)[١].

ساند الاتحاد السوفيتي الأحزاب الشيوعية في العالم كافة واستطاعت هذه الأحزاب في بعض الدول من الوصول الى الحكم ومن ثم تحولت إلى أدوات للدبلوماسية السوفيتية ولم يعد لها سوى دور تافه وان كانت (هذه الأحزاب) على راس الحكم في دولهم وساروا وفق النهج والمبادئ الستالينية حيث ربطهم بالاتحاد السوفيتي واعتبره مركز الثورة العالمية واستحالة الثورة من دون مساعدته فضلاً عن وجوب المحافظة على الاتحاد السوفيتي وعلى جميع الأحزاب ان يدينوا بالولاء له [٢]. أدخلت هذه المبادئ في برنامج (الكومنترن) [٣] حيث جاء فيه (يتحول الاتحاد السوفيتي تحولا حتميا لقاعدة الحركة الثورية العالمية ففيه تكتسب البروليتاريا لاول مرة بلدا هو بالفعل وطنها... فإذا ما أعلن الاستعماريون الحرب على الاتحاد السوفيتي وهاجموه توجب على البروليتاريا العالمية ان ترد بتنظيم عمل جماهيري حاسم وصراع لقلب الحكومات الاستعمارية)[٤].

---

(١) روي مكريدس، مناهج السياسة الخارجية في دول العالم، مصدر سابق ص١٨٩.

(٢) روي ريدكس، مناهج السياسة الخارجية في دول العالم، مصدر سابق ص٢٦٤.

(٣) هو اختصار لما يعرف بالحكومة الشيوعية التي تالفت في موسكو عام ١٩١٩. عقد المؤتمر الاول عام ١٩٢٠ في موسكو وقد اشترك فيه ممثلين عن عشرين دولة من بينها ايطاليا وفرنسا والصين واليابان والمكسيك وكوريا، تضمن برنامج الكومترن العمل على نشر الشيوعية العالمية باستخدام الوسائل الثورية، تصدى للنازية في المانيا واوصى بتنظيم جبهة شعبية، حل عام ١٩٣٤. احمد عطية الله، القاموس السياسي، مصدر سابق. ص٤٣٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٦٤.

وحيث ان هذا المبدأ لا يقوم إلا عن طريق الثورة العمالية وبالتالي فهو قد عبر عن نواياه في السيطرة على الحكم في كل الدول، مما دعا الحكومات الغربية إلى معاداته عبر الوسائل التشهيرية مثل (الرعب الجماعي)[١] وباستخدام الوسائل البوليسية.

لذا قامت هذه الدول وبالتعاون مع الكثير من دول المنطقة بتحالفات لمنع روسيا من بسط نفوذها الاقتصادي والسياسي والعسكري في منطقة الشرق الأوسط [٢].

وعلى ضوء ما تقدم فقد اتسمت العلاقات العراقية الروسية عقب الحرب العالمية الثانية بالفتور والتذبذب. وتعامل العراق بحذر من المفوضية السوفيتية في بغداد باعتبارها مركزا لتوجيه الفكر الشيوعي وبثه في البلاد [٣].

جاء موقف الاتحاد السوفيتي من القضية الفلسطينية حين كان مؤيدا لقرار التقسيم عام ١٩٤٧ سببا أخرا لبرودة العلاقة مما دعا الحكومة العراقية الى شجب هذا الموقف واستنكاره واتهمته بالتواطيء مع الصهيونية العالمية [٤].

في عام ١٩٤٨ عند قيام الحرب بين الدول العربية وإسرائيل وصف الاتحاد السوفيتي هذه الحرب بأنه عمل عدائي ضد إسرائيل هذا الموقف يتنافى والطروحات الشيوعية التي نادت بها من حرية واستقلال بل نجدها قد تغاضت عن ذلك [٥].

نتيجة لهذه المواقف فقد اتخذت الحكومة العراقية سلسلة من الإجراءات تهدف الى الحد من دور الحزب الشيوعي العراقي فأصدرت أحكاما بالإعدام على بعض قيادي الحزب [٦].

---

(١) د. رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، الجزء الاول، مصدر سابق، ص١٨٣.

(٢) روبرت باريلسكي، امن الخليج في القرن الحادي والعشرين، منشورات مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الامارات ١٩٩٨ ص١٣٢.

(٣) سعد صادق حسون، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٦٨ ـ ١٩٨٠، مصدر سابق، ص٨.

(٤) عبد المناف شكري جاسم، العلاقات العراقية السوفيتية مصدر سابق، ص٥٨.

(٥) د. محمد نصر مهنا، السوفيت وقضية فلسطين، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠، ص١٢.

(٦) باقر ياسين، تاريخ العنف الدموي في العراق، مصدر سابق، ص٣٠٩.

استمرت العلاقة بين البلدين بشكل غير مرض للأسباب أعلاه الى موت ستالين عام ١٩٥٣ حين تهيأت ظروف ذاتية وموضوعية. فالنمو التدريجي للاتحاد السوفيتي من حيث القدرة العسكرية أضعف على ترتيب علاقاته. فبدأت القيادة السوفيتية الى تغير طبيعة التوجه في علاقاتها مع الدول آخذتا بالاعتبار المد التحرري في دول العالم الثالث [١].

كان لموت ستالين الاثر الحاسم في التغيرات التي طرات على السياسة الخارجية للسوفيت واعتبرت بداية جديدة للتوجه السوفيتي للتعامل مع المتغيرات الدولية فضلاً عن التغيرات في السياسة الداخلية [٢].

رأوا القادة الجدد ان سياسة الانغلاق والعزلة التي كانت دولتهم تسير عليها إنما هي معوق للدور الذي يضطلع به الاتحاد السوفيتي على الصعيد الخارجي وجاء هذا التصور واضحا في المؤتمر العشرين حين وضع تغيرات هامة على صورة ستالين للعالم بغية تكييفها مع واقع السياسات الدولية وأعلن المؤتمر في بعض قراراته... ان الحصار الرأسمالي قد انتهى... وان الزمن قد تجاوز الاعتقاد بان الاتحاد السوفيتي محاط برأسمالية معادية [٣].

شعرت الدول الغربية ان سياسة العزلة قد انتهت وان توجهات الاتحاد السوفيتي نحو الانفتاح قد اتجهت نحو التطبيق وبخاصة عندما أكد المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي على اهتمام السوفيت بالمنطقة العربية [٤].

---

(١) د. مازن الرمضاني، الدولتان العظميان والعراق في عقد التسعينات مجلة الامن القومي، بغداد، العدد الاول ١٩٩٠ن ص٢٣.

(٢) د. عبد القادر محمد فهمي، روسيا الاتحادية والوطن العربي دراسة مقارنة للسلوك السياسي السوفيتي. الروسي تجاه الوطن العربي مصدر سابق، ص٢١.

(٣) د. روي ريدكس مناهج السياسة الخارجية، مصدر سابق، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٤) د. عبد القادر محمد فهمي روسيا الاتحادية والوطن العربي دراسة مقارنة للسلوك السياسي السوفيتي. الروسي تجاه الوطن العربي، مصدر سابق ص٢٣.

وساعدت هذه التصورات الجديدة على إعادة النظر بالعلاقات العربية السوفيتية مما حدى بالدول الغربية الى كبح هذا التوجه خاصة بعد مناصرة السوفيت للتغير الذي حصل في مصر عقب ثورة تموز عام ١٩٥٢ وما تحمل هذه الثورة من مد قومي تحرري [١].

لهذا فقد بادرت الدول الغربية الى جر المنطقة وبشكل خاص العراق الى موقف يكون راس الرمح باتجاه السوفيت ويعطي لتلك الدول القدرة على الحركة والتأثير من خلال العراق ليقف بوجه الخطر السوفيتي فبدأ اولا بإنشاء حلف شمال الاطلسي بموجب اتفاقية واشنطن عام ١٩٤٩ حيث يطوق الدولة السوفيتية من الغرب، ثم التنسيق لحلف يضم الى جانب العراق الدول التي تكون طوقا محكما للاتحاد السوفيتي من الجنوب [٢]، وكان حلف الدفاع عن الشرق ومركزه بغداد.

أرادت الدول الغربية من العراق تحقيق هدفين جراء انضمامه الى ذلك الحلف أولهما هو الوقوف أمام المد القومي القادم من مصر والآخر هو مواجهة المد الشيوعي القادم من السوفيت اضافة الى هذا ارادت تلك الدول تقييد حركة العراق في السياسة الخارجية [٣].

انظم العراق رسميا الى منظمة الدفاع عن الشرق والذي سميت فيما بعد بـ(حلف بغداد)[٤] عام ١٩٥٤. عد حلف بغداد حلفا موجها بالأساس ضد الاتحاد السوفيتي،

---

(١) د. محمد مظفر الادهمي، التاريخ الحديث والمعاصر للوطن العربي، يوغسلافيا، بلغراد ١٩٨٢، ص٢٣٣.

(٢) مظفر نذير الطالب، السياسية الخارجية السوفيتية في الوطن العربي، ١٩٥٣ ـ ١٩٦٧ رسالة ماجستير غير منشورة، في العلوم السياسية، كلية القانون والسياسة جامعة بغداد، كانون الثاني ١٩٨٢، ص٣٨.

(٣) سعد صادق حسون، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٦٨.١٩٨٠ مصدر سابق ص٨.

(٤) هو (منظمة حلف الشرق الاوسط) وقع عام ١٩٥٥ ويعتبر من الاحلاف ذي طابع سياسي وعسكري قام على اساس معاهدة اشتركت في توقيعه كل من تركيا وايران وباكستان والعراق اضافة الى الولايات المتحدة الامريكية في بعض لجانه مثل الاقتصادية وكذلك العسكرية بعد حرب السويس ١٩٥٧.

حاول السوفيت منع العراق من الانظمام اليه الا انهم فشلوا في مسعاهم [١].

كان قلق السوفيت في محله حيث انبثقت من هذا الحلف لجنة تسمى بلجنة مكافحة النشاط الهدام وكان يقصد بهذا النشاط هو المد الشيوعي في العراق والعالم [٢].

وعلى اثر ذلك قدم القائم بالأعمال السوفيتية في بغداد مذكرة يدين فيها انضمام العراق الى هذه المنظمة وعد ذلك عملا عدوانيا ضد بلاده.

في كانون الثاني من عام ١٩٥٥ وبمبادرة من العراق قطع علاقته الدبلوماسية بالاتحاد السوفيتي بحجة ان المفوضية السوفيتية في بغداد قد تحولت الى مركز للنشاط الشيوعي [٣]. في ذات الوقت بدأوا السوفيت بمقاومة هذا الحلف.

بالدواعي نفسها التي من اجلها تشكل الحلف وهو إحاطة السوفيت من الجنوب. اذ قام بالتحرك نحو دول المنطقة وبدأ يقيم علاقات مع تلك الدول ويرسخ نفوذه. ففي عام ١٩٥٦ وصف محللو الاستخبارات الأمريكية هذا التحرك بقولهم (ان موسكو نجحت في اختراق الحدود الشمالية لمجموعة الدول المكونة لحلف بغداد)[٤]. بل استطاع ان يؤلف

واتخذ من بغداد مقرا له وسمي باسمها. بدأت محاولة لتشكيله منذ عام ١٩٥١ والغرض من انشاءه هو ضج الكتلة الشرقية، اضافة الى ما تقدم احداث درع دفاعي على الحدود الشمالية لمنطقة الشرق الاوسط لمنع أي تسلل سوفيتي الى المنطقة. وكان من المؤمل ان تشارك فيه الى جانب هذه الدول كل من مصر واستراليا ونيوزلندا وجنوب افريقيا ومن ثم تنظم اليه لاحقا اسرائيل. في عام ١٩٥٩ واثر تغير نظام الحكيم في العراق خرج العراق منه ليظهر باسم جديد هو الحلف المركزي. للمزيد انظر محمود عزيز شكري، الاحلاف والتكتلات في السياسة العالمية، الكويت، ١٩٧٨، ص٦٤-٦٥.

(١) فكرت نامق عبد الفتاح، سياسة العراق الخارجية في المنطقة العربية للفترة من ١٩٥٣-١٩٥٨ رسالة ماجستير من كلية القانون والسياسة، جامعة بغداد ١٩٧٩، ص١٨٩.

(٢) نفس المصدر ٣٨٨.

(٣) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء التاسع، مصدر سابق، ص١٩١.

(٤) روبرت باريلسكي، امن الخليج في القرن الحادي والعشرين، انهيار الاتحاد السوفيتي وتأثيره في امن الخليج، مصدر سابق، ص١٣٥.

حلفا مضادا للأحلاف الغربية حيث تم التوقيع على حلف ضم الدول الاشتراكية في شرق أوربا سمي بحلف وارشو [١].

على الرغم من ان الاتحاد السوفيتي كان موقفه واضحا من القضية الفلسطينية مما أضفى على علاقاته بالعرب عموما وبالعراق بخاصة باتخاذه جانب الحياد وعدم الانحياز من طرفي الصراع الا انه من الملاحظ ان الاتجاه الذي ساد بعد قرار التقسيم وبعد قرار الهدنة اتخذ منحى اخر مستغلة هذا الصراع ليفرض نفسه في المنطقة.

وبادر الى اتخاذ موقفٍ اكثر وضوحا بل قد سعى في عام ١٩٥٤ الى تأييد العرب في صراعهم. فقدم المساعدات الاقتصادية والفنية والعسكرية الى بعض الاقطار العربية. هذا موقف ولد شعورا عند العرب بان السوفيت يستطيعون ان يساندوا قضيتهم ليس امام الغرب فحسب بل ضد اسرائيل ايضا [٢].

حرص الاتحاد السوفيتي على إظهار نفسه كقوة تستطيع حفظ التوازن السياسي في المنطقة وبدأوا يتغلغلون في بعض الأقطار العربية مستغلين اضطرابات العراقات العربية العربية حيث تتباين هذه العلاقات بتباين انظمة الحكم بين تقدمي ليبرالي وبين محافظ [٣].

منذ انقطاع العلاقة بين البلدين لم توجد دلائل بوجود أية علاقة وعلى مختلف الصعد الى عام ١٩٥٨ اثر تغير الحكم في العراق.

وعلى العموم فان العلاقة بين البلدين لم تكن في هذه الفترة تؤشر على متانتها واتسمت بالتوجس والتوتر حينا وبالتردد أحيانا اخرى لطبيعة الظروف الدولية لتشابك المصالح

---

(١) سيف الدين عبد القادر، اهم احداث العالم المعاصر، بغداد، (دون ذكر دار النشر) ١٩٧١، ص١٤٦.

(٢) د. عبد القادر محمد فهمي، روسيا الاتحادية والوطن العربي دراسة مقارنة للسلوك السياسي السوفيتي. الروسي تجاه الوطن العربي مصدر سابق، ص٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٣.

وتقاطعها، مما يعني ان العلاقة ارتبطت بحقائق التوازن الدولي وقواعد نفوذ تلك الدول في المنطقة بشكل عام والعراق بشكل خاص. ذلك لما تميزت به تلك الفترة وبدء الحرب الباردة مع الأزمات الدولية ومشكلة برلين والحرب الكورية والأحلاف العسكرية وتفرغ السوفيت لشؤون أوربا الشرقية [1].

(١) د. حامد ربيع، امن الخليج العربي وصراع القوى الكبرى، الندوة الدبلوماسية الثانية في وزارة الخارجية، الامارات، ١٩٨٠. ص٦٧.

المبحث الثاني

العلاقات بين العراق والاتحاد السوفيتي الممتدة من عام ١٩٥٨ ولغاية عام ١٩٩١

جاء التغيير الحاصل في نظام الحكم الملكي في تموز من ١٩٥٨ بداية جديدة للعلاقة بين الدولتين بعد قطيعة بينهما امتدت منذ عام ١٩٥٥.

لقد شعر السوفيت ان التغير الذي حدث في العراق انما هو بمثابة الامل بعودة العلاقة بشكل يعطي للسوفيت دورا اكبر واهم في المنطق، لهذا وقف الاتحاد السوفيتي موقفا حازما ومشرفا من العراق ازاء التحدياتالتي مكن ان تواجه القادة الجدد من التدخلات الأجنبية [١].

فعندما قامت القوات الأمريكية بإنزال الأسطول السادس في موانئ لبنان بادرت الحكومة السوفيتية الى الاعتراف بالحكم الجديد وبالوقت ذاته أصدرت بيانا شديد اللهجة معتبرةً ان أي تدخل في شؤون العراق انما هو تدخل لكل الأقطار المحبة للحرية [٢]. وقد جاء البيان الصادر من الخارجية السوفيتية ما نصه (قامت حكومتا الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى بأعمال عدوانية ضد السلام وتقع عليهما المسؤولية بالنسبة لنتائج الأعمال العدوانية التي قامت بتنفيذها في لبنان والأردن، يجب على حكومتيّ

---

(١) د. حميدة سميسم، روسيا والموقف من العراق في ام المعارك مصدر سابق ص ٥٤.

(٢) نفس المصدر، كذلك انظر د. خليل ابراهيم حسين، العراق في الوثائق البرطانية ١٩٥٨. ١٩٥٩ الجزء الاول، بغداد ٢٠٠٠ ص١٤٠.

الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى ان توقفا تدخلهما المسلح في الشؤون الداخلية للأقطار العربية وان تسحبا قواتهما من لبنان والأردن فورا وتعتبر الحكومة السوفيتية انه في هذه اللحظة الحربة ينبغي على مجلس الأمن والجمعية العامة للامم المتحدة ان يقوما بتنفيذ واجباتهما في الحفاظ على السلام وقمع الاعتداء وحماية الاستقلال الوطني للدول العربية التي تعرضت الى هجوم خفيّ وقمعي وتعلن الحكومة السوفيتية ان الاتحاد السوفيتي سوف لن يبقى مكتوف الأيدي تجاه الأعمال العدوانية الخفية في منطقة محاذية لحدوده وانه سيضطر الى اتخاذ إجراءات ضرورية تفرضها مصالح أمن الاتحاد السوفيتي والحفاظ على السلام العام) [١].

ووصف التغير الذي حصل بالعراق بأنه نضال ضد الإمبريالية وتعبر عن ارادة الشعب العراقي في الحرية والاستقلال [٢].

اعتبر السوفيت ان توجهات القادة الجدد ومنطلقاتهم انما هي تتوافق وتتفاعل مع التوجه والإدراك السوفيتي لأهمية العراق في المنطقة [٣].

وقف الاتحاد السوفيتي إزاء التغير الذي حصل في العراق موقفا اراد به ان يثبت للعالم ان سياسة الانغلاق والانكفاء والعزلة هي من مظاهر السياسة الخارجية التي لم تعد تناسب مركز الاتحاد السوفيتي باعتباره أحد قطبي العالم، ذلك للنمو المتصاعد للقدرات العسكرية الإستراتيجية [٤].

---

(١) د. خليل ابراهيم حسين، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٥٨-١٩٥٩، الجزء الاول، مصدر سابق، ص١٤١.

(٢) هيلين كارير دانكوس، السياسة السوفيتية في الشرق الاوسط، ١٩٥٥-١٩٧٥ بيروت ١٩٨٣ ص٨٥.

(٣) د. مازن الرمضاني، الدولتان العظميان والعراق في عقد التسعينات مصدر سابق، ص٢٣.

(٤) د. مازن الرمضاني، العرب والاتحاد السوفيتي، المجلة العربية للعلوم السياسية، السنة الاولى، العدد الاول، ١٩٨٦٠، ص٨٩.

فضلاً عن تطلع السوفيت الى احتواء النفوذ الأمريكي المتصاعد وبخاصة الوقوف بوجه الأحلاف العسكرية التي تسعى الولايات المتحدة الى تشكيلها والتي تهدف في الأساس الى التحوط من اندفاع المد الشيوعي الى منطقة الشرق الأوسط، وخلق أنظمة وفق المفهوم السوفيتي[١].

وكان أهم حلف يشكل ضد الاتحاد السوفيتي هو حلف بغداد وكما أسلفنا، لذا فقد استبشر السوفيت في هذا التغير فأملوا في إخراج العراق من هذا الحلف وهذا ما حدث بالفعل[٢].

سارع القادة الجدد للعراق الى إعادة العلاقات بين الدولتين ودخلا في معاهدات فنية واقتصادية في مجالات الصناعة والزراعة والتجارة إضافة الى اتفاقية ثقافية[٣]. هذه الاتفاقية التي تعهد بموجبها السوفيت بتدريب الكوادر العراقية ومنح زمالات دراسية تهدف الى تطوير تلك الكوادر.

ففي تشرين الاول عقد البلدين معاهدة اقتصادية وعسكرية تعهد بموجبها الاتحاد السوفيتي بتزويد الجيش العراقي بالسلاح الحديث كذلك قيام السوفيت بتجهيز العراق بالمكائن والمعدات الصناعية وكانت قيمة هذه الصفقة بمبلغ ٥٥٠ روبل[٤].

وفي اذار من عام ١٩٥٩ تم التوقيع على اتفاقية التعاون الاقتصادي والفني حيث عدت هذه الاتفاقية انطلاقة حقيقية في مستوى التعاون حيث تضمنت على ٢٥ مشروعا كمعمل الفولاذ والأسمدة وإنتاج المكائن والمعدات الزراعية ومعمل العدد الكهربائية ومعمل

(١) سعد صادق حسون، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٦٨-١٩٨٠، مصدر سابق، ص١٥٩.

(٢) حميدة سميسم، روسيا والموقف من العراق في ام المعارك، مصدر سابق، ص٥٥.

(٣) د. غانم محمد صالح، روسيا والخليج العربي، مصدر سابق، ص٨٧.

(٤) د. حميدة سميسم، روسيا والموقف من العراق في ام المعارك، مصدر سابق، ص٥٦.

الزجاج واخر للمنسوجات القطنية والصوفية وتنفيذ سكة بغداد. بصرة وخط الشعيبة. ام قصر، فضلاً عن تقديم القروض وإبداء الاستعداد لتدريب الكادر العراقي في المجالات كافة [١]. كما لبى الاتحاد السوفيتي رغبة العراق بالحصول على قدرات نووية وذلك عندما زود العراق بمفاعل نووي عام ١٩٥٩ خصص للابحاث ويعمل بقدرة ٢ ميكاواط وتم نصبه في موقع التويثة ثم تم زيادة قدرة ذلك المفاعل الى ٥ ميكاواط فضلا عن ذلك زود العراق بثلاث بطاريات ذرية لسد حاجته الوطنية في الصحة والتصنيع المدني [٢].

حافظ الاتحاد السوفيتي على المنهج ذاته في علاقاته بالدول ألا وهو البعد الأيدلوجي والذي يقاطع في أحيان كثيرة مع طبيعة هذه الدولة او تلك. لهذا نرى ان السوفيت ظلوا يناصرون الأحزاب الشيوعية بصورة واضحة وما نلاحظه من موقف الإعلام السوفيتي إبان حركة الشواف عام ١٩٥٩ حين وصفت هذه الحركة بالعصيان واتهمت قيادة الحركة بالعمالة للاستعمار [٣].

وقد تعزز الموقف السوفيتي من العراق حين أبرمت سفقتان من الاسلحة عاميّ ١٩٦٠ و ١٩٦١ بعد الصفقة الأولى عام ١٩٥٨ وشملت على طائرات مقاتلة ودبابات، وكانت بقيمة ٣٧٠ مليون دولار[٤].

اتسمت العلاقة بين البلدين في هذه الفترة بالإيجابية لكن لم تستمر طويلا فنجد انها قد تعرضت الى ضغط عوامل عديدة أدت الى انحراف مجرى العلاقة وبرودها [٥].

---

(١) سعد صادق حسون العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٦٨ ـ ١٩٨٠، مصدر سابق، ص١٥٥.

(٢) د. خليل ابراهيم ال عيسى، البرنامج النووي العراقي السابق قراءات اولية، من موقع على شبكة الانترنيت. *www.alhayat.com*

(٣) . سعد صادق حسون، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٦٨-١٩٨٠ مصدر سابق، ص١٦٢.

(٤) المصدر نفسه، ص١٦٤.

(٥) د. غانم محمد صالح، روسيا والخليج العربي، مصدر سابق. ص٨٧.

ففي عام ١٩٦١ وبعد التدخل السوفيتي في شؤون العراق الداخلية اخذ منحى العلاقة بالتدهور والتراجع [١].

وما يمكن ملاحظته خلال هذه الفترة هو ان الاتحاد السوفيتي قد أنجز من المشاريع التنموية والاقتصادية في العراق حوالي ٧٠ مشروعا لغاية عام ١٩٦٢ [٢].

بالرغم من ان القيادة الجديدة للعراق والمتمثلة بعبد الكريم قاسم لم يكن شيوعيا الا انه كان مؤيدا من قبل الشيوعيين وقد اعتمد على الحزب الشيوعي في ادارة الدولة او للتخلص من مناهضيه مما ولّد لدى الكثير من العراقيين روح الانتقام من الجهات والأفراد التي كانت تغالي في تطبيق أوامر قياداتها.

فظهرت في الكثير من مدن العراق المجازر الدموية من حرق وسحل وتمثيل بكل من يتصدى لهذه الجهة او تلك.

على الرغم من ان الاتحاد السوفيتي يتخذ من الأيدلوجية الشيوعية نهجا في علاقته بالدول الا إننا نجد انهم قد جعلوا من مصالحهم الفيصل في بعض القضايا، ونرى ان موقفهم من مطالبة عبد الكريم قاسم بإعادة الكويت عام ١٩٦١ قد اتسم بالغموض والانتظار الى عام ١٩٦٣ حيث أعلن عن شجبه مطالب رئيس وزراء العراق وتأييده للكويت [٣].

بالرغم من ان الاتحاد السوفيتي قد دعم عبد الكريم قاسم بمطالبته بالكويت حيث رفض الاعتراف بالكويت ورفض انضمامها الى الأمم المتحدة باعتبارها من صنيعه الدول

---

(١) د. منعم صاحي العمار، العلاقات العراقية. الروسية والبحث عن نموذج واقعي لتاطير تفاعلاتها، مصدر سابق، ص١٨٧.

(٢) د. سعد صادق حسون، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٦٨ـ ١٩٨٠، مصدر سابق، ص٤٧.

(٣) د. وليد الشريف، الاتحاد السوفيتي ومنطقة الخليج العربي، مصدر سابق، ص٩٥.

الغربية على حد وصف الخارجية السوفيتية آنذاك [١].

ويعود هذا التباين والتقلب في تلك المواقف الى طبيعة للسياسة السوفيتية المتداخلة ما بين البعد السياسي لهذه السياسة والبعد الأيديولوجي [٢].

مما يدلل على ان السياسية الخارجية للسوفيت في هذه الفترة تتماشى مع المصالح العليا، فان طاف على سطح الأحداث موقفا ما يصب في مصالحهم نلاحظ انهم يسايرون ذلك الموقف من دون الاعتبار ان كان يتقاطع مع أيدلوجيتهم ام يتماشى معه. وهذا ما نراه واضحا من موقف السوفيت في ما يتعلق بدعوة العراق من قبل الجمهورية العربية المتحدة (سوريا ومصر) لانضمامه الى تلك الدولة حيث قوبل بعدم ارتياح او عدم رضا [٣]. ان قلق القادة السوفيت من هذه الدعوة هو خشيتهم من إبعاد العراق عن نفوذهم والذي من خلاله يحافظون على وجودهم في الشرق الاوسط، ففي حالة انظمامه سوف يفقدون جزءاً مهما في هذه المنطقة الامر الذي سيجعل من النفوذ الامريكي الغربي اكبر قدرة على التاثير على سياسة دول المنطقة وهذا سيجعل من التوازن الدولي يميل لغير مصلحتهم [٤]. ان ذلك الموقف هو نتيجة امتداد النزعة المعادية للأحزاب الشيوعية في كلتا الدولتين [٥].

وهنا لابد ان نؤشر التباين والتضاد في المواقف السوفيتية من إزاء التغيير الذي حصل في العراق عام ١٩٦٣ فتارة تتهم القادة الجدد بأنهم قد ادخلوا البلاد بموجة من الإرهاب والاضطهاد واعتبرت الحكام انهم يشنون حرب إبادة ضد الأكراد والذين يطالبون

---

(١) مناف النداوي، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٥٨- ١٩٦٣، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية جامعة بغداد ١٩٨٥، ص٥٩.

(٢) حميدة سميسم، روسيا والموقف من العراق في ام المعارك، مصدر سابق ص٥٧.

(٣) سعد صادق حسون، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٦٨-١٩٨٠ مصدر سابق، ص١٢.

(٤) د. حميدة سميسم، روسيا والموقف من العراق في ام المعارك، مصدر سابق ص٥٦.

(٥) سعد صادق حسون، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٦٨-١٩٨٠، مصدر سابق، ص١٢.

بالحكم الذاتي داخل الدولة العراقية [١]، وبالوقت ذاته أعلن الاتحاد السوفيتي عن عدم تدخله في شؤون العراق الداخلية، (أعرب عن حق الشعب العراقي في تقرير شكل نظام الحكم الذي يناسبه وانه سيحافظ على علاقته الدبلوماسية القائمة مع العراق ضمن إطار الصداقة والتعاون وبما يخدم المصالح المتبادلة للدولتين)[٢]. لكنها عادت واستقبلت اولئك الحكام بالارتياح من العام نفسه[٣].

ونعتقد ان القادة السوفيت قد استفادوا واستثمروا الأحزاب الشيوعية والشعارات التي كانوا يرفعونها مدعية انها تناصرها في المنطقة بعامة والعراق بخاصة أصبحت تلك الحجج العصا التي تشهرها بوجه الحكام متى ما شعرت ان مصالحها مهددة من قبل تلك الأنظمة بمؤثرات داخلية كانت او خارجية.

أحيانا تتخذ سياسة غض الطرف عما تدعي بمجرد انها قد ضمنت مصالحها وهذا ما نجده عندما يتعرض الحزب الشيوعي من وسائل التنكيل والقمع التي كان الحزب يتعرض لها.

فنجد ان اعمق علاقة بين الدولتين تجلت عند منتصف السبعينات فأبرمت الكثير من المعاهدات التجارية والاقتصادية والسياسية والعسكرية بينهما في الوقت نفسه فان الحزب الشيوعي العراقي لاقى أقسى الضربات من نظام الحكم أمام مرأى ومسمع السوفيت دون ان ينبسوا ببنة شفه.

الى جانب ذلك فان القادة السوفيت قد امتطوا القضية الكردية لتحقيق استراتيجيتهم في العراق فتارة تجعل منها سببا لتازم العلاقات حيث تتصدر الصحف والاذاعات

---

(١) كاربردانكوس هيلين، السياسة السوفيتية في الشرق الأوسط، دار الكلمة الطبية، بيروت، ١٩٨٣، ص١١٧.

(٢) سعد صادق حسون، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٦٨-١٩٨٠، مصدر سابق ص١٣.

(٣) حميدة سميسم، روسيا والموقف من العراق في ام المعارك، مصدر سابق ص٥٦.

السوفيتية بالنقد الشديد لحكومة بغداد متهمة اياها بتجاهل حقوق الاكراد [١] واخرى تعتبرها امرا داخليا، بل تساهم بطريقة او باخرى في التصدي لمقاتلي الفصائل الكردية ومساعدة الحكام في طرق معالجة هذه القضية، وتتجلى بوضوح عند منتصف السبعينات عندما انهى قادة الحكم آنذاك (التمرد) بالسلاح السوفيتي وبمباركتهم [٢].

على العموم لا غرابة في ذلك فهذا النهج هو ديدن الامم الكبرى رغم الاختلاف بين الشعارات والتطبيق يبقى الأداء موجها للمحافظة على سيادة روسيا وسيطرتها كانت ام السوفيت لتحقيق أهدافها الإستراتيجية[٣].

اتسمت العلاقة بين البلدين خلال ستينيات القرن الماضي بالبرود والتضاد حينا وبالتعاون المتحفظ والتباين أحيانا أخرى، وظلت هذه العلاقة مرهونة بالمتغيرات الدولية بين جذب ومد الى جانب المتغيرات الداخلية التي تلقي بثقلها على علاقة هذا البلد بالاخر. فكانت سياسة السوفيت تتصف بانها غير قادرة على المبادرة وكانت في موقف المتلقي وصاحبة ردود الفعل إزاء أفعال الآخرين ولم تكن لها رؤى واضحة خارج حدود هذه الردود[٤].

بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ وما نتج عنها من اتضاح مواقف الدول الكبرى وبخاصة الولايات المتحدة تجاه اسرائيل ومدى حجم الدعم الذي تلقته هذه الدولة والتي تصب في النهاية لبسط نفوذ الولايات المتحدة وتحقيق مصالحها في المنطقة الامر الذي يدعو من السوفيت ان يعيدوا حساباتهم وفق ما تمليها مصالحهم، فما كان منهم الا

---

(١) حسن صادق حسون، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٦٨ ـ ١٩٨٠ مصدر سابق، ص١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٩.

(٣) مصطفى الحمارنة، العرب في الإستراتيجيات العالمية، الناشر ـ مركز الدراسات الإستراتيجية، دون ذكر تاريخ الطبع ـ الجامعة الأردنية، ص٢٤٨.

(٤) د. حميدة سميسم، روسيا والموقف من العراق في ام المعارك، مصدر سابق ص٥٧.

الدخول الى المنطقة وبشكل مؤثر مستغلة النتائج التي افرزتها الحرب واعتبر هذا الموقف تصحيحا للمواقف التي اتخذتها القيادة السوفيتية قبل الحرب من الإيثار بعدم مناصرة هذا الطرف على ذاك، هذه المواقف عدت نقطة تحول للسياسة السوفيتية في المنطقة [١].

دخل العراق مرة اخرى الى ظاهرة تغير نظام الحكم هذه الظاهرة التي ميّزت العقد السابع من القرن الماضي، ففي تموز من عام ١٩٦٨ جرى تغير رئيس الدولة بعملية تواطئ من بعض ظباط الجيش مع بعض الأشخاص المنتمين الى حزب البعث بداعي الإصلاح.

أعلن قادة الحكم الجدد خطابهم السياسي والذي جاء مطابقا للتطلعات السوفيتية ومعبرا عن توجهاتهم. تبنى الحكام الجدد مبادئ التحرر وتطبيق الاشتراكية فجاءت هذه الطروحات للتفق مع النهج السوفيتي الشيوعي. والتي تصب جميعها في تقويض المصالح الغربية في المنطقة.

اعتبرت القيادة السوفيتية ان التغير الحاصل فرصة ثمينة لابد من اغتنامها لكي تعيد التوازن الدولي في المنطقة وستجعل من العراق مركز ثقلها. أدركت تلك القيادة دورها ازاء التغير الحاصل واعتبرته حليفا جديدا سيجعل من تواجد السوفيت في المنطقة أمرا حتميا.

وحيث ان العراق يمتاز بالكثير من خصائص تجعله يحظى باهتمام الدول حيث يمثل النفط في مقدمة اهتمام تلك الدول به، لهذا فقد عقدت اول اتفاقية بين البلدين في مجال التعاون النفطي بين شركة النفط الوطنية العراقية ومؤسسة ماشينوواكسبورت السوفيتية والموقعة بتاريخ ١٩٦٩/٦/١٢ تعهد المؤسسة السوفيتية بموجبها بتجهيز شركة النفط العراقية بالمكائن والمعدات والمواد والأجهزة اللازمة للصناعة النفطية، كذلك تزويدها بالمساعدات الفنية في نصب وتشغيل هذه الأجزهزة، فضلا عن بعض الحفارات وفرق

(١) د. على محمد المياح، السياسة الروسية والموقع الجغرافي العربي، بحث ضمن كتاب العرب والقوى العظمى، مصدر سابق، ص١٣.

جيوفيزيائية وجيولوجيا مع جميع مرافق العمل [١].

وبعد اقل من شهر تم التوقيع على اتفاقية أخرى توجب على المؤسسات السوفيتية بتهيئة وتشغيل حقل النفط في شمال الرميلة لزيادة الإنتاج الى خمسة ملايين طن سنويا، فضلاً عن إنشاء خط أنابيب النفط من الحقول الى ميناء الفاو [٢]. ثم توالت الاتفاقيات جميع المجالات والقطاعات.

ففي مجال التجارة تم التوقيع على اتفاقية سنة ١٩٧٠ تعهد العراق بموجبها بتصدير النفط والتمور وفي المقابل تعهد السوفيت بتجهيز العراق بالحديد والمكائن الزراعية والمكائن الخاصة بالطرق وطائرات نقل البضائع. وفي المجال نفسه تم توقيع بروتوكول عام ١٩٧٤[٣].

اعتمد العراق في مجال تجارته الخارجية على الاتحاد السوفيتي، حيث اصبح العراق يحتل الصدارة من بين الدول العربية من حيث الصادرات والاستيرادات من الاتحاد السوفيتي واليه [٤].

ربما اجمع العديد على ان معاهدة عام ١٩٧٢[٥] كانت انطلاقة العلاقات بين البلدين، هذه الاتفاقية التي تم بموجبها تقوم الجهات السوفيتية باستغلال حقول الرميلة[٦].

والتطور الحقيقي للعلاقات جاء بتوقيع تلك الاتفاقية[٧].

---

(١) سعد صادق حسون، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٦٨ ـ ١٩٨٠ مصدر سابق ١٤٨.

(٢) المصدر نفسه ص١٤٩.

(٣) المصدر نفسه ص١٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ص١٤٦.

(٥) وقعت هذه المعاهدة بين العراق والاتحاد السوفيتي في ١٩٧٢/٤/٩.

(٦) د. عبد القادر محمد فهمي، روسيا الاتحادية والوطن العربي دراسة مقارنة للسلوك السياسي السوفيتي. الروسي تجاه الوطن العربي مصدر سابق، ص٢٥.

(٧) د. حميدة سميسم، روسيا والموقف من العراق في ام المعارك، مصدر سابق، ص٥٨.

لذا اعتقد ان هذه المعاهدة لم تكن البداية الحقيقية للعلاقات بين الدولتين لما أوردناه من جملة من الاتفاقيات سبقت تاريخ توقيع هذه المعاهدة.

ويمكن القول ان هذه المعاهدة جاءت ليست لأغراض اقتصادية او تجارية فحسب، بل لتوحيد المواقف السياسية والعسكرية التي تتعلق بكلا الدولتين.

حيث وردت في بعض بنودها بالسماح للقوات السوفيتية بالتمركز في العراق (البصرة) إضافة الى قيام تعاون عسكري مكثف[١].

لا يسعنا التطرق الى بنود المعاهدة الأربعة والعشرين جميعها إنما ما نسعى التوصل اليه هو ما ورد في المادة الأولى. فعلى الرغم من احتوائها على التعابير التي تصب في مجال التعاون الا إننا نجد ان المبدأ الذي قامت عليه المعاهدة هو (عدم التدخل في الشؤون الداخلية)[٢] هذا الالتزام يوجب على الطرفين.

هذا الشرط يضعنا أمام إدراك الحكومة العراقية بان السوفيت سوف يلّوحون بعصا الأحزاب الموالية لها اذا ما قاطعت هذه الحكومة مصالحهم، لذا فان المعاهدة جاءت لتقسيم الأدوار والإيعاز للسوفيت ان مصالحكم مرهونة بعدم تدخلكم من دون مناصرة الاحزاب الموالية لكم، والا ما تفسير هذا المبدأ في الجانب السوفيتي أيعقل ان السوفيت كانوا قلقين من تدخل عراقي في شؤونهم الداخلية وهم أحد قطبي العالم. هذا من الجانب العراقي.

اما ما يتعلق بالجانب السوفيتي فنراه قد تعرض الى جملة من الظروف جعلته يتجه بقوة الى العراق ليس في الجانب الاقتصادي فحسب انما لانه قد انحسر نفوذه في المنطقة بعد

---

(١) د. منعم صاحي العمار، العلاقات العراقية. الروسية والبحث عن نموذج واقعي لتاطير تفاعلاتها، مصدر سابق، ص١٨٨.

(٢) د. مازن الرمضاني، الدولتان العظميان والعراق في عقد التسعينات، مصدر سابق، ص٢٤.

تراجع دوره في مصر والسودان[١] لذا كان عليه ان يبحث عن مواقع بديلة فوجد العراق يحقق له ما يصبو ويحقق للعراق ما يريد.

لا يمكن الحديث عن أسباب توقيع المعاهدة الى تلك الخطوات البناءة التي اتخذتها الحكومة العراقية كحل المسألة الكردية حلاً سليماً او بناء السياسة الداخلية للعراق وفق توحد القوى الوطنية[٢].

ذلك لان المعاهدة وكما أسلفنا قد سبقتها جملة من المعاهدات الثنائية قبل اعلام بيان اذار عام ١٩٧٠ وقبل التكلم بموضوع الجبهة الوطنية استنادا لميثاق العمل الوطني الذي صدر عام ١٩٧١ والانفتاح نحو القوى الوطنية.

والجدير بالذكر ان المعاهدة الموقعة بين البلدين قد آتت أوكلها فبعد اقل من شهرين أعلن العراق تأميم ثرواته الوطنية من النفط وإنهاء دور الشركات التي كانت تحتكر إنتاجه واستخراجه وتسويقه، هذا الإعلان جاء ثمرة لتلك المعاهدة حيث لاقى الدعم والمساندة والتأييد من قبل الاتحاد السوفيتي[٣].

على الرغم من ان الجانب السوفيتي كان في بعض مراحل عملية التأميم متحفظا وهذا ما نجده عندما وجه القائم بالأعمال السوفيتي في بغداد تحذيرا الى الحكومة العراقية معتبرا ان الأقدام على إجراءات التأميم خطيرة وقد تعرضت مصالح الدول الكبرى الى الخطر[٤].

ان هذا الموقف المتحفظ قد يكون إجراءً تكتيكياً الغرض منه هو إقناع الشركات ومن ورائها دولها ان القيادة السوفيتية ليست لها دور في الخطوة العراقية مخافةً من عدم ثقتها

---

(١) سعد صادق حسون، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٦٨-١٩٨٠ مصدر سابق، ص٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٣.

(٤) المصدر نفسه، ص٥٧.

بنجاح الخطوة العراقية وبالتالي سوف تخسر اكثر مما تكسب هذا من جانب ومن جانب اخر لبيان ان السوفيت بموقفهم هذا بعيدين عن القرار العراقي الأمر الذي يدعو الدول المتضررة من هذه الخطوة ان تتدخل بزعم ان السوفيت لهم اليد الطولى في القرار، خاصة ان في تلك الفترة لوحظ بوجود تقارب سوفيتي أمريكي في بعض الجوانب وبخاصة ما يتعلق بالنفط.

عدَّ السوفيت قرار التأميم ينطبق مع الأفكار التي يؤمنون بها، الى جانب ذلك فالقرار ينطبق مع توجهاتهم السياسية والاقتصادية والذي يتجلى في تقويض النفوذ الغربي وضرب المصالح الأمريكية في المنطقة، وإفساح المنطقة للدخول بها لتنفيذ عدد من المشاريع التنموية في العراق(١).

اتسمت العلاقات العراقية السوفيتية خلال هذه الفترة بالشمولية حيث غطت المرافق والمجالات كافة وتنوعت المعاهدات ما بين تبادل تجاري وتطوير زراعي وصناعي الى قروض ومساعدات، ولم يترك البلدان مجالاً الاَّ ودخلا فيه كالثقافية والفنية والرياضية. ففي منتصف السبعينات بدأوا الخبراء الجيلوجون السوفيت بالعمل في المنطقة الشمالية والقيام باجراء المسح لتدقيق كميات النفط المكتشفة في تلك المنطقة(٢).

كثيرة هي الاتفاقيات التي أُبرمت بين الدولتين ولا يسعنا في هذا البحث ان نوردها أو ان نوفي بتغطيتها رغم أهميتها إلا إنها لا تقع ضمن أولويات بحثنا، وقد أشرت الى بعضها لتعزيز رأي ما أو للضرورة التاريخية ليس إلا.

شهدت العلاقة بين البلدين عام ١٩٧٧ البرود والتازم نتيجة دعم السوفيت لأثيوبيا بحربها ضد ارتيريا وإقدام العراق على اعدام بعض عناصر الحزب الشيوعي العراقي

---

(١) سعد صادق حسون، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٦٨–١٩٨٠، المصدر نفسه، ص٥٤.

(٢) د بيوار خنسي، الحزام النفطي في كردستان، من موقع على شبكة الانترنيت. *www.qamislo.com*

بحجة انشاء تنظيم للحزب في الجيش. وبحلول عام ١٩٨٧ لف الدفء العلاقة من جديد بعد التوقيع على اتفاقيتين لتوسيع التعاون الاقتصادي والفني[١].

من الطبيعي ان العلاقات بين الدول لها جانب سياسي واخر اقتصادي بحكم حاجة هذه الدولة لتلك، وقد يتأزم او ينتكس موقف ما لكنه ليس بالضرورة ان يلقي على الجانب الاخر ذلك التأزم والانتكاس والعكس صحيح. والمتتبع للعلاقة العراقية السوفيتية نجدها تتدهور مرة وتبعث اخرى وقد نجد ان أسباب تدهورها أو بعثها لا يتعلق بطرفي العلاقة حصرا بل لاعتبارات اللعبة السياسية من التوازن والصراع الدوليين.

وعادة نجد ان الجانب السياسي هو الورقة الاكثر سهولة في التلاعب للاعتبارات أعلاه وقد يُتخذ كأجراء تكتيكي يأمل هذا الطرف او ذاك بإرضاء او بالضغط على طرف او أطراف أخرى.

وما أشارت اليه جميع المعطيات والمخرجات ان العراق لم يكن بكل الأحوال سببا لتأزم علاقته بالاتحاد السوفيتي أو تدهورها، بل نرى العكس فقد حرص على تذليل العقبات التي تعترض سبيل علاقته. لأنه يعرف مقدار حجمه بالقياس الى دولة مثل السوفيت.

في المقابل نجد ان الاتحاد السوفيتي جعل من العراق نافذة يطل من خلالها على دول المنطقة وان يتلاعب بالمصلحة العراقية على حساب مصالحه الموزعة في المنطقة والعالم، وهذا ما ثبت بشكل واضح من الحرب العراقية الإيرانية حيث كان موقفه في بدايتها يتقاطع مع بنود المعاهدة الموقعة مع العراق.

أدخلت الحرب العراقية الايرانية ١٩٨٠ـ ١٩٨٨ السوفيت في وضع محرج فالعراق الحليف الإستراتيجي الذي يرتبط معه بمعاهدة تلزمه بالوقوف الى جانبه طبقا للمادة الثامنة من تلك المعاهدة وعمق العلاقات الاقتصادية، فالتخلي عنه في هذه الحرب سيقود الى تدهور في علاقته وربما سوف يفقدون الامتيازات التي يتمتعون بها في العراق الامر الذي

(١) د. حميدة سميسم، روسيا والموقف من العراق في ام المعارك، مصدر سابق، ص٥٩.

سيشكل دليلاً على ضعف مصداقية السوفيت أوقات الأزمات[١]. وكان موقف السوفيت من بداية الحرب هو ان العراق لم يبلغه بإعلان الحرب على ايران. بالإضافة الى اعتراض السوفيت على الوجود العسكري العراقي في الأراضي الإيرانية وقد اتخذه سببا بعدم تزويد العراق بالسلاح[٢]. وقد قوبل هذا الموقف بارتياح من الجانب الإيراني[٣].

اما دخوله الحرب الى جانب العراق سترتب عليه جملة من المشاكل سعى السوفيت الى تجنبها مع ايران، فهذه الدولة التي حصل فيها تغيير نظام الحكم عام ١٩٧٩ لها حدود مشتركة معه قد حرص على تأمينها، فضلاً عن خشيتهم من التدخلات الإيرانية المتمثلة بالمد الديني في الجمهوريات الإسلامية السوفيتية والداعية في إشاعة الاتجاهات الانفصالية عن الجسد السوفيتي الأمر الذي يهدد أمنها القومي، وفي الوقت ذاته فان دخولهم الحرب ستخلق لهم إيران صعوبات في أفغانستان[٤].

كذلك فان السوفيت قد استغلوا طبيعة نظام الحكم في إيران المعادي للنفوذ الأمريكي وأملت ان تقيم علاقات معه لترسيخ التواجد السوفيتي في المنطقة.

أمام هذه المعطيات اتخذ القادة السوفيت موقفا يتسم بالموازنة والحياد بين الدولتين المتحاربتين، رغم وضوح التعاطف الى جانب إيران لاسباب إستراتيجية[٥].

---

(١) د. عبد القادر محمد فهمي، روسيا الاتحادية والوطن العربي دراسة مقارنة للسلوك السياسي السوفيتي. الروسي تجاه الوطن العربي، مصدر سابق، ص٢٦.

(٢) د. كاظم هاشم نعمة، افاق العلاقات العراقية ـ السوفيتية، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة، العدد الاول، ١٩٩٢ ص١٢.

(٣) د. حامد ربيع، حرب الخليج والتفاعلات الدولية، مجلة الامن القومي، السنة الثامنة، العدد ٤، ١٩٨٦ ص٨٩.

(٤) د. عبد القادر محمد فهمي، روسيا الاتحادية والوطن العربي دراسة مقارنة للسلوك السياسي السوفيتي. الروسي تجاه الوطن العربي مصدر سابق، ص٢٧.

(٥) د. مازن الرمضاني، الدولتان العظميان والعراق في عقد التسعينات، مصدر سابق، ص٢٤.

هذا الموقف أصاب في مقتل العلاقة العراقية السوفيتية خاصة بالنسبة للعراق، لكنه ليست لديه القدرة على التأثير على السوفيت وهو بهذه الظروف.

استطاعت السياسة العراقية ان تستدرج القادة السوفيت وان تعود بهم لمناصرة حربه من خلال التقرب العراقي من الولايات المتحدة عام ١٩٨٣ (على حساب الاسباب التي دعت الى قطع العلاقات معها) وقد أثمر هذا التقرب الى تعزيز التعاون العسكري بينهما وما يدلل على ذلك قدوم وزير الدفاع الأمريكي الى بغداد ولقائه بقادة الحكم. واعادة العلاقات الدبلوماسية في عام ١٩٨٤.

أدركت القيادة السوفيتية التوجه العراقي الجديد وخشيتها من إفلاته من المنظومة السوفيتية ومن ثم فقدان وجودها في المنطقة وما يؤدي الى تخلخل التوازن بينها وبين الولايات المتحدة، الأمر الذي دعاها الى ان تعيد حساباتها، ولم يبق سوى السبب الذي يدعوها الى العودة فلم نجد سوى الحزب الشيوعي الإيراني (تودة) من إثارة أسباب التوتر مع إيران لتتخذها ذريعة لوقف تأييد إيران من الحرب وعودة العلاقات التي شهدت تحسنا عام ١٩٨٣[١].

تراوح الموقف السوفيتي بعد هذا التاريخ بين متفهم لمطالب العراق وبين دعوته الى وقف الحرب واعتبرتها انها تؤثر على السلم والأمن الدوليين[٢].

لا شك ان لكل علاقة هناك مؤثرات داخلية ودولية تؤثر سلبا او إيجابا على طبيعتها ففي عام ١٩٨٥ اصبح غورباتشوف[٣] رئيسا لدولة السوفيت هذا الحاكم كان يحمل من

---

(١) د. عبد القادر محمد فهمي، مصدر سابق، ص٢٧. للمزيد انظر كاظم هاشم نعمة، جريدة الراي الكويتية في ١٩٨٥/١١/٩.

(٢) د. منعم صاحي العمار، العلاقات العراقية. الروسية والبحث عن نموذج واقعي لتطاير تفاعلاتها، مصدر سابق، ص١٨٨.

(٣) ميخائيل غورباشوف هو اصغر رئيس لمجلس السوفيت الاعلى بتاريخ الدولة السوفيتية حين انتخب

الصراحة والجرأة الى طرح تصورات جديدة جعلت السوفيت يقف على سياسته الداخلية والدولية.

سارت العلاقة في السنوات الأخيرة من عمر الاتحاد السوفيتي بين الانكفاء والتردد وبين التأييد الحذر للعراق مع السعي الى المطالبة بوقف الحرب وما اكده رئيس هيئة السوفيت الأعلى عام ١٩٨٨ حين قال (ان الاتحاد السوفيتي على استعداد لتوقيع قرار خاص يفرض عقوبات على ايران لرفضها قرار الإجماع الدولي وإصرارها على استمرار الحرب)[1].

دخل الاتحاد السوفيتي عند تطبيق مفاهيم الإصلاح التي تبناها غورباتشوف بصراع داخلي فقد لاقت معرقلات ومعوقات عند تطبيقها ويمكن إجمال تلك المعوقات بآلاتي:

أولاً: ان طبيعة نظام الحكم في الدولة هو نظام مركزي مهيمن على مرافق الحياة كافة بحكم منهج الحزب الشيوعي مما نتج ظهور مؤسسات وافراد متنفذين ورافق ذلك تفشي الفساد الاداري داخل الحزب والدولة، وان أي اصلاح سوف ياتي اولا الى تلك المؤسسات والافراد الامر الذي يهدد امتيازات تلك الجهات وربما الى فقدانها، لهذا فان اول المعترضين على ذلك الاصلاح هي تلك الجهات.

ثانيا: الوضع الاقتصادي، فدولة بحجم السوفيت لها من الامكانيات البشرية والمادية وما تتمتع به من مركز دولي مهم وتنوع مصادر دخلها وامتلاكها لصناعة بشطريها المدني والعسكري وكذلك دولة منتجة النفط لا يمكن الحديث عن تدهور اوضاعها الاقتصادية

عام ١٩٨٥ رئيسا للبلاد، تبنى الاصلاح بعد دخول الدولة السوفيتية الى مشاكل كبيرة، لم يستطع ان يعالج الوضع القائم وشهد في حكمه نهاية الاتحاد السوفيتي الذي يمتد من عام ١٩١٧ ولغاية ١٩٩١.

(١) د. عبد القادر محمد فهمي، روسيا الاتحادية والوطن العربي دراسة مقارنة للسلوك السياسي السوفيتي ـ الروسي تجاه الوطن العربي مصدر سابق، ص٢٧.

الا لوجود خلل في ادارة اقتصادياتها، والحال يعود بنا الى طبيعة نظام الحكم الذي انغلق على بعض (المقدسات) ولم يحاول ولو بقدر الى تعديل تلك السياسات الاقتصادية وبسببها ظهرت في المجتمعات السوفيتية الامراض الاجتماعية كالفساد الاداري والاختلاس[١] وجرائم الادمان والتشرد والفقر والتسيب والهجرة وبخاصة العقول وغيرها.

ثالثاً: لم تظهر الجدية والحزم عند تطبيق تلك المفاهيم الاصلاحية ونعتقد انها فاقدة لرؤيا مستقبلية واضحة، ولم تراع الظروف الدولية.

هذه الدوامة التي دخل بها السوفيت ألقت بثقلها على علاقاته الدولية ومن ضمنها العراق.

أحرج العراق السوفيت باجتياح قواته للكويت عام ١٩٩٠ فبالرغم من تردي أوضاعه الداخلية الا انه حافظ على وجوده كمؤثر في السياسة الدولية وسلك طريق التهدئة والحل السلمي كعلاج للقضية (العراقية).

فالوقوف مع العراق عسكريا ام مستبعد بتاتا لانه سيواجه الولايات المتحدة الأمريكية والتي حرص تمام الحرص ومنذ زمن على عدم الانزلاق لمواجهتها وهو في اوج قوته، فكيف وحاله تشهد انقسامات وصراعات حادة[٢]. بل انهم غير قادرين ان يناصروا العراق ولو سياسيا ذلك لان ما قام به العراق يعد خرقا واضحا للقانون الدولي وميثاق الامم المتحدة. وقد اتسم الموقف السوفيتي في هذه الفترة بالغموض والتناقض[٣]. ونعتقد

---

(١) رينا لسنيك ايلين بلان، من سيهزم يلتسين صراعه مع غورباتشوف والشيوعيين، تعريب انطوان الهاشم، منشورات عويدات، باريس ١٩٩٣، ص٩٣.

(٢) د. حميدة سميسم، روسيا والموقف من العراق في ام المعارك، مصدر سابق ص٦١.

(٣) فتحي حسون عطوة، الموقف السوفيتي وتاثير الوفاق الجديد، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام تموز ١٩٩٠، العدد ١٠٢، ص١٠٩.

ان عدم اتخاذه لموقف ثابت واضح يعود الى أسباب داخلية ودولية عدة منها توقيت اجتياح العراق للكويت حيث كان الاتحاد السوفيتي في عهد الرئيس غورباتشوف شارف على وضع نهاية لهذا البلد بعد سياسة الإصلاح التي تبناها، والذي كان يطمح في مساعدة العالم الغربي وبخاصة الولايات المتحدة لحل مشاكل بلاده، وكان تأييده الى حد تشكيل جبهة واحدة مع الغرب ضد العراق(١). كما ان مشكلة العراق أظهرت وبشكل واضح الصراع بين وزارتي الدفاع والخارجية، ففي حين دانت وزارة الخارجية الاجتياح وأيدت الإجراءات كافة التي فرضت على العراق، نرى ان وزارة الدفاع طالبت بعدم قطع الجسور كافة مع العراق وانها تحرص على ديمومة العلاقة به(٢).

وبعيدا عن أسباب دخول العراق الى الكويت لانه لا يقع ضمن اهتمام بحثنا وبقدر تعلق الأمر بعلاقة الدولتين وتأثيرها على ذلك الحدث، يرى البعض ان العراق قد منح السوفيت فرصة لا تعوض لإرجاع مكانته وهيبته الى مسرح الأحداث وراهن عليه ولو على الجانب السياسي خاصة استخدامه حق النقض في مجلس الأمن في حال اتخاذ قرار يجيز الحرب على العراق(٣).

كان السوفيت مدركين أنَّ الحرب إنْ وقعت سوف تطيح بآخر معقل لهم في المنطقة لذا نراهم يسعون دائما الى التوصل الى حل سلمي وحتى اللحظات الأخيرة.

صدرت جميع قرارات مجلس الأمن المتعلقة بالعراق بموافقة السوفيت، ولم يبد معارضة لأي قرار، رغم اعتراضه في بادئ الأمر على القرار الذي يجيز استخدام القوة ثم

---

(١) جوزيف سماحة، ازمة الخليج. واشنطن ترفض الحل الممكن وتسعى الى الحرب، مجلة اليوم السابع، القاهرة، السنة السابعة، ايلول ١٩٩٠، ص١٢.

(٢) د. فواز جرجيس، الصراع السياسي على السلطة في الاتحاد السوفيتي الى اين، مجاة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت العدد ٣٩، ص٤٨.

(٣) عبد الاله بلقزيز، حرب الخليج والنظام الدولي الجديد، دار الطليعة، بيروت، تموز ١٩٩٣، ص٦٨.

ما لبث أنْ أعطى موافقته.

طيلة الفترة التي سبقت الحرب سعى السوفيت الى تلافيها إلا أنهم لم يفلحوا، وظلت جهودهم بهذا الاتجاه حتى بعد بدايتها، لكن نار الحرب أسرع من جهودهم.

لم تزد الحرب على السوفيت إلا تفاقما في أوضاعه الداخلية، فالمؤشرات جميعها تدلل على نهاية هذه الدولة. وحتى المحاولة الأخيرة التي قام بها بعض رجالات السوفيت الذين تمسكوا ببعث الحياة حين حاولوا بانقلاب على الحكم لم تجد نفعا وما هي الا اشهر ليعلن ان الاتحاد السوفيتي قد قبر والى الأبد.

تعتبر العلاقات العراقية السوفيتية في الثلاثين سنة الأخيرة من العلاقات التي تميزت بالكثير من المواقف نظرا لأهميتها، فقد ارتبطت بالمؤثرات الداخلية والدولية، ولا يستطيع المتتبع لهذه العلاقة الا بالخروج بجملة من السمات.

وحيث ان حدود بحثنا هذا تمتد الى فترات طويلة وما تحمله من سمات اهمها عدم استقرار هذه العلاقة وما تتميز بين المد والجذب نستطيع ان ونستخلص العديد من الاستنتاجات، فقد ارتأينا ان نقسم العلاقة لغرض التقييم الى فترات زمنية وكآلاتي:

١ـ الفترة الممتدة من عام ١٩٥٨ ولغاية عام ١٩٦٨.

هذه الفترة اتسمت العلاقة بالتقدم البطيء الحذر، ذلك لان الدول الغربية الرأسمالية سعت الى خلق بؤر توتر داخل المنظومة الحاكمة وداخل التيارات السياسية المتصارعة للحيلولة دون خلق استقرار سياسي في العراق وما شهده هذا العقد من تغيرات في أنظمة الحكم له خير دليل. ففي هذا العقد تم تغيير أربعة حكام وكل حاكم له سبيله في إدارة الدولة.

وعلى هذا فان الدول الغربية نبهت السوفيت بخطورة تدخلهم بالشان العراقي وان أي تدخل قد يسخن الحرب الباردة.

اما السوفيت فقد التزموا بمبدأ التوازن وعدم السعي الى خلق مناطق صراع لئلا ينزلقوا بحرب حرصوا على تجنبها.

٢ـ الفترة من عام ١٩٦٨ ولغاية عام ١٩٨٠

اتسمت العلاقة في هذه الفترة بالتطور والنماء وعلى المجالات كافة فقد اندفع السوفيت ليحققوا الحلم القيصري بالوصول الى مياه الخليج العربي الدافئ، بعد ان ارتبطت الدولتان بمعاهدات واتفاقيات جعلت من العراق ورشة عمل سوفيتية لم تكن العلاقات بمستوى ما صاحبها من اهتمام فباستثناء الجانب التسلحي للعراق تظهر ان ٧٪ من التبادل التجاري للعراق هو مع المنظومة الاشتراكية بضمنها الاتحاد السوفيتي وكانت عبارة عن كمية من سيارات لادا وبعض الجرارات الزراعية وقطع الغيار للمنظومات الكهربائية[١].

الكثير من الدراسين والباحثين اكدوا ان الاتحاد السوفيتي كان يهتدي بالفكر الشيوعي والبعد الأيديولوجي كدليل لسياسته الخارجية في ارتباطه بأية علاقة مع الدول، لكن من الملاحظ ان العراق استطاع ان يزيل هذا الغطاء ويكشف ان السوفيت لا يبالون بهذا النهج وان هدفهم الوحيد هي ديمومة مصالحهم ليس الا، وما أكدته الحوادث في موضوعيّ الحزب الشيوعي وقضية الأكراد وأفغانستان الا صورة معبرة لهذا الزيف.

أعطت لنا العلاقة بين البلدين مؤشرا ودليلا على ان العلاقات بين دولتين احداها بحجم العراق والأخرى بحجم السوفيت لا توجد ضمانات في حالة تملص الكبرى من التزاماتها ازاء الصغرى بل ستجعل من الصغرى محل مزايدة وحسب.

ففي عام ١٩٨٠ وبداية الحرب العراقية الايرانية نجد ان السوفيت قد خرقوا المعاهدة

---

(١) د. جمال حسيبن، هل تغيرت بوصلة موسكو تجاه صدام، موقع على شبكة الانترنيت.
ww.islamicdawaparty.org

الموقعة بينهما ذلك لاعتبارات جيواستيراتيجية تصب في مصلحة السوفيت وقد اشرنا اليها في هذا الفصل من دول الالتفات الى مصالح العراق، بل ان هذا الأخير ليست لدية القدرة التاثيرية لتغير موقف الأخر، ذلك لان العراق اختار اللعب مع الكبار.

٣ـ الفترة من عام ١٩٨٠ الى عام ١٩٩١

في هذه الفترة دخلت متغيرات كبيرة على الأوضاع في المنطقة الى جانب المتغيرات الداخلية السوفيتية قدر لها ان تغير من الخارطة السياسية ليس في المنطقة فحسب بل خارطة العالم.

لا بد ان نؤشر ان العراق كان مدركاً للصراع الدولي في المنطة واستطاع ان ينفذ من خلالها لتحقيق مصالحه، فبعد الابتعاد السوفيتي عنه وهو بأمس الحاجة اليه اقترب من الدول الغربية وبخاصة الولايات المتحدة فما كان من الأخيرة الا ان تفتح له الذراعين وان تحقق ما كانت تصبو اليه واعتبرت ان البعد العراقي عن السوفيت بداية لفرط عقد السوفيت في المنطقة، هذا التقرب نبه السوفيت على الأخطار التي سوف تلتف حولهم مما دعاهم الى مراجعة موقفهم والعودة السريع الى العراق، لهذا بدء العراق يتناول الدعم بكلتا اليدين.

شهدت هذه الفترة الكثير من المتغيرات في الدولتين على نحو غير مألوف، ففي الاتحاد السوفيتي اتخذت القيادة الجديدة منحى جديد في إدارة الدولة، ويبدو إنها فطنت على ما ستؤول اليه الدولة في حال الاستمرار بذات النهج الذي نخر الجسد السوفيتي من الداخل، والمطلوب المعالجة العاجلة، وسرعان ما حملت الأنباء بظهور اكثر من تمرد على السلطة المركزية فما كان من الجيش الا ان يعالجها بمشرطه في (تبليسي ومينسك وكيشينيف و...) لكن هذه المعالجات العاجلة لم تكن سوى مهدءات لداء لا يرجى شفاءه.

الفصل الثاني

العوامل الداخلية المؤثرة على صانع القرار السياسي في روسيا الاتحادية

لاشك ان علاقة دولة ما مع الدول الاخرى هي نتاج وخلاصة السياسة الخارجية لهذه الدولة او تلك، لهذا فان العلاقات الدولية ما هي الا الصورة التنفيذية لطبيعة تلك السياسات.

لهذا فانها تكون مرهونة بسياسات الدول إزاء الدول الأخرى، وحيث ان تلك السياسات تقع ضمن مؤثرات داخلية وخارجية تجعل العلاقات تتراوح ما بين الازدهار والقطيعة، تلك المؤثرات التي تلقي بضلالها على صانع القرار في هذه الدولة او تلك.

وحيث ان محل بحثنا هو العلاقات بين العراق وروسيا الاتحادية فقد تناولنا في هذا الفصل المؤثرات الداخلية في روسيا الاتحادية. فأفردنا مبحثا عن المؤثرات الدستورية (الرسمية) والمؤسسات غير الرسمية وقد قسم على فقرتين الاولى ضمت المؤسسات الدستورية اما الفقرة الثانية فقد حوت على المؤسسات غير الرسمية، اما المبحث الثاني فقد اوردنا به المؤثرات الداخلية او (المشاكل) التي تعاني منها روسيا ومدى قدرة تلك المشاكل من فرض واقعا يحول دون ابراز روسيا في الساحة الدولية او قد تكون تلك المشاكل عائقا امام تطلع الروس للعودة الى روسيا قوية ومهابة. وقد حصرنا مشاكل روسيا بمشكلتين رئيسيتين اولها الازمة الاقتصادية والثانية الحرب في الشيشان.

حاولنا ان نستعرض تاريخ الازمة الاقتصادية وصولا الى الفترة التي عني بها بحثنا وحاولنا ان نجد البيانات التي من خلالها نؤشر الخط البياني للازمة هبوطا وارتفاعا. مع بيان اسبابها وسبل مواجهتها. كما حاولنا من خلال هذه الازمة الاجابة عن سؤال طالما بحثنا عن اجابة له وهو لماذا الازمة الاقتصادية لدولة اصبحت الوريقة الاكبر لدولة كانت

في الامس القريب من الدول العظمى وان هذه الدولة كانت تساعد العديد من الدول النامية عبر المساعدات المالية او القروض او تزويدها بالخبرات او بالمعدات كما انها تقتسم العالم، فضلا عن ذلك كونها الدولة الاولى التي غزت الفضاء. الى جانب العديد من الامكانيات التي تتمتع بها هذه الدولة. وعبر سرد للامكانيات الكبيرة التي تتوفر لدى روسيا الاتحادية نعتقد اننا قد توصلنا الى الإطلالة التي ننفذ منها الى الحقيقة وهي ان الازمة هي ليست ازمة اعتيادية او تقليدية وان طريقة معالجتها قد تتفق في بعضها مع الحلول التي تناسب باقي الازمات لكن ان أفضل سبيل للتوصل الى الحلول هي معرفة اساب نشوء الازمة ونعتقد اننا وضعنا يدنا على مكمن المشكلة وهي انها قد أصابت المجتمع قبل ان تصيب امكانيات الدولة وان أي حلول لا يمكن ان يكتب لها النجاح ما لم نعد للمواطن الروسي دوره ونجعل منه هدف البرامج السياسية وان تقوم السلطة عبر وسائلها بتنمية الولاء والانتماء لديه لدولته ومنحه لحقوقه المدنية واشراكه في اتخاذ القرارات عبر وسائل الديمقراطية والشفافية ومنح مؤسسات المجتمع المدني الدور الاكبر.

اما المشكلة الاخرى التي تعاني منها روسيا فهي الحرب في منطقة الشيشان وحاولنا ان نظهر الاهتمام الروسي بهذه المنطقة حيث ياتي ذلك الاهتمام من ناحيتين ناحية اقتصادية والاخرى سياسية وامنية، وان الحرب الدائرة فيها قد فتحت التدخلات الخارجية ونرى ان اغلب الدول تسعى الى استمرار المشكلة من دون التوصل الى أي حلول من شانها ان تنهي هذه الحرب رغبةً منها في ارهاق الدولة الروسية والحيلولة دون تمكين الروس من استعادة دورهم في التوازن الدولي.

المبحث الاول

الهياكل الدستورية (الرسمية) والمؤسسات غير الرسمية على صانع القرار السياسي في روسيا الاتحادية

قبل الدخول الى المؤثراتالداخلية لابد ان نتطرق الى آلية صنع القرار السياسي في روسيا وما هي الجهات التي تؤثر على ذلك القرار.

أولاً: الهياكل الدستورية في صناعة القرار السياسي

لاشك ان التحولات التي حدثت في روسيا تعد تحولات جذرية في آلية صنع القرار السياسي، فبعد سلطة الحزب الواحد والسلطة المركزية وتعتيم دور الصحافة وتغييبه وإهمال مؤسسات المجتمع المدني مع عدم التأثير بالرأي العام الروسي حيث لا يوجد في المجتمع ما له تأثير على صناعة القرار. أصبحت روسيا الاتحادية منذ استقلالها عن الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ في حل من تلك الموانع التي ظلت ولزمن طويل هي السائدة.

وبغية توضيح الجهات التي تستطيع ان تتدخل وتؤثر على صانع القرار السياسي لابد ان نعرج على الدستور الروسي لعام ١٩٩٣. حيث ضم المؤسسات والشخصيات الآتية:

١- رئيس الدولة

اعتبر دستور عام ١٩٩٣ ان نظام الحكم في روسيا نظام رئاسي ويجري انتخابه كل أربع سنوات يجدد انتخابه مرة واحدة، ولا يوجد سن للتقاعد[١].

---

(١) الدستور الروسي، الفصل الرابع، المادة ٨١.

حيث منح الرئيس الروسي الكثير من الصلاحيات واعتبر ان الرئيس هو محور عملية صنع القرار وهو الذي يمثل الدولة في أنشطتها الداخلية والخارجية كافة، كذلك فهو الذي يعين رئيس الوزراء والقضاة ويرأس مجلس الأمن القومي وله ان يقترح القوانين وان يوقف العمل بالدستور في حالة تعرض روسيا الى العدوان يعلن حالة الطوارئ الى جانب العديد من المهام التي تتعلق بالدبلوماسيين المعينين لدى روسيا او الذي يمثلون روسيا في دول العالم [١].

وعلى هذا فان الرئيس الروسي يتحمل المسؤوليات الكاملة رغم ان القرارات السياسية تبدو لغير المعنيين في الشان الروسي وكأنها صدرت من الجهات ذات الشأن، حيث يلاحظ ان القرارات تمر عبر جهات دستورية، لكن يبقى الرئيس هو الذي يصدر القرارات بإرادته ووفقا لتصوراته وأوامره [٢].

من خلال ما تقدم نجد ان ذلك الدستور ما جاء إلا ليقنن عمل رئيس الدولة بوريس يلتسين[٣]. الذي حكم البلاد منذ عام ١٩٩١ حيث كان يتمتع بهذه الصلاحيات قبل

---

(١) الدستور الروسي، الفصل الرابع، المواد ٨٠، ٨٣، ٨٦، ٨٨.

(٢) نقلا عن مجلة قضايا دولية، خلافات بين الرئيس والبرلمان حول الانسحاب من الشيشان، اسلام اباد، العدد ٦٢ كانون اول ١٩٩٦، ص٧.

(٣) هو بوريس اغناطييفتش يلتسين، ولد عام ١٩٣١ في مدينة ابكاترتبورغ من عائلة فلاحية، رحلت عائلته من الريف إلى مدينة أخرى لعدم تمكنها من تمليك ارض زراعية، عمل مهندس للبناء وانظم الى الحزب الشيوعي وهو في الثلاثين من عمره، في عم ١٩٦٣ اصبح مديرا لاتحاد الصناعي الذي يحوي على مصنعا كبيرا من الآلاف من العمال، في عام ١٩٦٨ اصبح مسؤول عن التعمير في اللجنة الحزبية في منطقة سفردلوفسك، عام ١٩٧٦ تولى امانة الجهاز الحزبي في المنطقة. تميز بالذكاء والبساطة والإصرار والتمرد والمبادرة والجرأة وفي ضوء هذه الميزات اصبح مسؤولا عن التعمير في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٥ أحد الدوائر العديدة في اللجنة المركزية لتنفيذ الاصلاح التي تبناها غورباتشوف حيث عرف بترعته للاصطلاح قبل ان يبادر بها غورباتشوف ففي عام ١٩٨١ عندما التقي بمجموعة من الطلاب في منطقته وتعهد بالاجابة عن كافة الاسئلة التي

إعلان الدستور، فكيف تسنى له ان يحصل على هذه الصلاحيات قبل التصويت على الدستور عام ١٩٩٣.

استطاع يلتسين ان يكسب ثقة شعبه قبل إعلان استقلال روسيا عن الاتحاد السوفيتي لما يتميز به من صفات قيادية وتمكن من فهم هواجس الشعب الروسي ومدى سخطهم على الأفكار الشيوعية، ورأوا انه المنقذ لأوضاعهم الصعبة، وقد استغل الظروف التي مرت بالدولة السوفيتية عشية تفككه وبخاصة المحاولة الانقلابية في صيف عام ١٩٩١ عندما احبط تلك المحاولة واستطاع ان يتخذ إجراءا بمنع الحزب الشيوعي داخل الأراضي الروسية [١].

على الرغم من اعتباره غير كفء في قيادة البلاد، وانه يلاقي دعما غربيا في الوصول الى سدة الحكم [٢].

وكان في كل عمل يقوم به تزيد الثقة فيه وخاصة عندما يقوم بجولات ميدانية تقربه من شعبه فما كان من البرلمان الا ان يمنحه الكثير من الصلاحيات، فخلال أحد عشر شهرا

يطرحونها دون تردد وكان هذا اللقاء قد شاع في أواسط الشعب، ثم عين امينا عاما للجنة المركزية من نفس العام، لاقى الكثير من الصدامات من قبل المتنفذين داخل المؤسسة الحاكمة أجبرته الى تقديم استقالته في ايلول من عام ١٩٨٧، ثم عين نائبا لرئيس لجنة الإعمال بعد شهر من استقالته، في منتصف عام ١٩٩٠ انتخب رئيسا لبرلمان روسيا رغم التدخل من قبل غورباتشوف بعدم انتخابه، في تموز من عام ١٩٩٠ قدم استقالته من الحزب الشيوعي، في حزيران من عام ١٩٩١ انتخب رئيسا لروسيا الاتحادية بطريقة ديمقراطية، قام بدور رئيسي باحباط المحاولة الانقلابية في اب من عام ١٩٩١. ريناتا لسنيك، ايلين بلان، من سيهزم يلتسين؟ صراعه مع غورباتشوف والشيوعيين، مصدر سابق. للمزيد انظر نورهان الشيخ، صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية الروسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٨ ص٢٩ وما بعدها.

(١) ريناتا لسنيك وايلين بلان، من سيهزم يلتسين، مصدر سابق، ص٢٠٢.

(٢) د. ضاري رشيد الياسين، العلاقات الأمريكية الروسية في ضوء فوز بوتين بالرئاسة الروسية، اوراق امريكية، تصدر عن مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، حزيران، ٢٠٠٠.

اقترع البرلمان الروسي على مائة وأربعين قانونا زادت من صلاحياته في إدارة الدولة[١].

وعلى الرغم من ان نظام الحكم في روسيا نظام ديمقراطي فانه يختلف عن مثيله في النظم الاخرى فالحكم في روسيا حكما فرديا [٢].

استطاع يلتسين ان يحول الدستور الروسي الديمقراطي الى ما يرغب فيه ولمنحه الشرعية لحكمه مستغلا ثقافة الشعب الروسي السياسية البعيدة عن تقبله مبدأ الموازنة بين السلطات كأساس للحوار السياسي، وعلى ضوء ما تقدم وصف الرئيس يلتسين بأنه ديمقراطي في الشعارات دكتاتوريا في الأعمال [٣]. ومن الملاحظ ان سياسة يلتسين لم تكن بذات النهج بل نجد ان سياسته اتسمت بالتباين حينا والتقاطع احيانا طبقا لما تمل عليه المتغيرات الداخلية والدولية، ويمكن لنا ان نقسم فترة حكمه على فترتين زمنيتين:

١ـ الفترة الممتدة منذ تسنمه رئاسة الدولة ولغاية عام ١٩٩٣ ان ما يميز هذه الفترة من حكمه هو الجدل الكبير بين أركان حكمه حول اختيار الأولوية في إدارة السياسة الخارجية لروسيا، فذهب رأي الى المطالبة بالانكفاء على الداخل وبناء دولة تستطيع ان تظهر الى العالم من جديد وتتمتع بقوة قادرة على حفظ أمنها ومصالحها والمساهمة في التوازن الدولي وقد تبنى هذا الرأي الكثير من الكتاب والسياسيين وبعض رجال الكنيسة[٤]. وذهب رأي آخر يدعو الى ضرورة اتباع سياسة التقرب من الدول الغربية

---

(١) ريناتا لسنيك وايلين بلان، من سيهزم يلتسين، مصدر سابق، ص١٨٤.

(٢) نبيل شبيب، الانتخابات الروسية الشيوعيون عائدون... دون الشيوعية، مجلة قضايا دولية، اسلام اباد، معهد الدراسات الدولية، السنة السابعة، العدد ٣١٣، ١٩٩٣ كانون الثاني، ص٢١.

(٣) لطفي الخولي، الصراع على السلطة في روسيا الاتحادية، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية بالاهرام، السنة الثامنة والعشرون، العدد، ١٠٨، نيسان ١٩٩٢، ص١٤٢.

(٤) د. إبراهيم عرفات، إعادة التعريف الإقليمي في رابطة الدول المستقلة وآثارها على النظام الإقليمي العربي، من ندوة الوطن العربي وكومنولث الدول السمتقلة، معهد البحوث والدراسات العربية، دار الهلا، حزيران ١٩٩٤، ص٤٤٥.

واعتقد اصحاب هذا الرأئ ان الانفتاح على الغرب هو الكفيل للحفاظ على قوة روسيا وحفظ مكانتها الدولية، وبذات الرأي فقد ظهر اختلاف حول الجبهة المزمع الانفتاح عليها، فبعضا من هذه الفئة ارتأت ان يكون الانفتاح على الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتي أي بعبارة أخرى يرون ان يكون لروسيا دورا إقليميا أولا ودوليا ثانيا، ورأي آخر اعتبر ان الانفتاح على العالم الغربي يقع في أولويات السياسة الروسية وحيث ان هذه الفئة كانت تظم الرئيس الروسي فقد كان له الدور الأعظم في رسم سياسة روسيا الخارجية وتبنى هذا الرأي وبدأ في تطبيقه فتحول الاقتصاد الروسي الى نظام اقتصاد السوق وانظمت روسيا الى العديد من المنظمات الاقتصادية الدولية كما احدث الكثير من التغيرات على القوانين التي تعارض سياسته التوافقية مع الغرب، مع تراجع الاهتمام بالدور المستقلة او غيرها، وان ما يؤشر على سياسة روسيا هو الانقياد التام مع الدول الغربية بعامة والولايات المتحدة بخاصة [١]. بل التقارب والتحالف مع الولايات المتحدة مما فسح للدور الأمريكي المجال للتدخل في توجيه السياسة الخارجية الروسية بشكل عام[٢]. وقد اكد الرئيس الروسي في اكثر من مناسبة ان سياسته تقوم على أساس التعاون والشراكة مع الولايات المتحدة والقوى الغربية وما أعلنه في أول خطاب له في الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٩٢ حين قال (ان روسيا سوف تهتدي بالديمقراطية كقيمة عليا وبحقوق الإنسان والحرية والشرعية وان القوى الغربية هي من حلفاء روسيا الطبيعيين)[٣]. واثناء زيارته الى الولايات المتحدة من العام نفسه حين قدم عرضا حول

---

(١) لمى مضر الإمارة، سياسة روسيا الاتحادية اتجاه دول الخليج العربي، اطروحة ماجستير، غير منشورة جامعة النهرين، ٢٠٠٠، ص٨٥.

(٢) معتز محمد سلامة، العلاقات الامريكية الروسية وقمة فانكوفر، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، السنة التاسعة والعشرون، العدد ١١٣، تموز ١٩٩٣، ص٢١٥.

(٣) لمى مضر الإمارة، سياسة روسيا الاتحادية اتجاه دول الخليج العربي، مصدر سابق، ص٨٦.

تأليف درع عالمي لحماية (العالم الحر) الذي يعتمد هذا العرض على التكنولوجيا الأمريكية والروسية [١].

٢ـ في هذه المرحلة التي تمتد من عام ١٩٩٣ الى نهاية حكمه في كانون اول من عام ١٩٩٩ تميزت بالابتعاد التدريجي عن ركاب العالم الغربي نتيجة لعدم نجاح الانجرار الذي كان السمة الغالبة للسياسة الروسية، حيث تفاعلت العديد من الظروف الداخلية والدولية او الخارجية رشح عنها هذا الابتعاد، فعلى الصعيد الداخلي ونتيجة لترك الدولة الروسية تلاقي مشاكلها دون مساعدة تذكر رغم الوعود بمساعدتها قد ولد إحباطا لدى السياسيين والعامة الروس على حد سواء مما اظهر تيارا مناهضا للرئيس في إدارة البلاد معتبرا ان الرئيس قد أذل الدول الروسية وعرضها للإهانة بسبب اندفاعه نحو الغرب من دون الوقوف الى مصالح روسيا، وكان ذلك التيار يتألف من الشيوعيين والقوميين وباقي الكتل والأحزاب المؤتلفة الذين استغلوا حالة دولتهم مما جعل هذا التيار في انتخابات عام ١٩٩٣ يحصل على اغلب المقاعد ويبسط سيطرته على مجلس الدوما، وتأسيا على ما تقدم فقد توالت الضغوطات على الرئيس حول تغيير سياسته إزاء الغرب والسعي الى تامين مصالح روسيا العليا كدولة مؤثرة على الساحة الدولية [٢].

الى جانب ذلك ظهرت على الصعيد الدولي بعض القضايا لم تراع فيها مصالح الروس، فتوسع حلف شمال الأطلسي (الناتو) والحصار المفروض على العراق وقضية كوسوفو والتدخلات في الشان الروسي وبخاصة قضية الشيشان جميعها دفعت الرئيس الروسي الى تغيير نمط تعامله مع الغرب وقد اتخذ هذا التغيير في العديد من المناسبات

---

(١) د. محمد السيد سليم، العرب فيما بعد العصر السوفيتي، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، مركز دراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، السنة الثالثة والعشرون العدد ١٠٨ نيسان ١٩٩٢ ص١٤٩.

(٢) لمى مضر الامارة، سياسة روسيا الاتحادية اتجاه دول الخليج العربي، مصدر سابق، ص٨٩.

حين أعلنت الحكومة الروسية إنها)ستتبع سياسة جديدة ومتزمتة تجاه من لا يحترم أهدافها او يتعارض معها)[١]. وما جاء بتصريح يلتسين الذي جاء فيه (ان روسيا تريد ان تتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية على أساس التكافؤ بوصفهما دولتين عظمتين، فالتنازلات تهين مشاعرنا الوطنية)[٢] من خلال ما تقدم نستطيع ان نؤشر بعض الخصائص في سياسة الرئيس يلتسين فقد استطاع ان يمسك العصا من الوسط فنراه قد مال الى المعارضين لسياسته وان يتبنّى بعض طلباتهم وان يحتوي القوى المتصارعه معه وبادر الى إطلاق العديد من المبادرات التي تضفي على حكمه مسحة ديمقراطية فنجده قد بذل الاهتمام بالدول المستقلة ودول الجوار والسعي الى تقوية العلاقات مع تلك الدول وهذا ما اعلن عنه في الكثير من المواقف، ففي عام ١٩٩٧ أغلن بقوله (أنني بالضد من توسع التحركات الغربية في المناطق القريبة من روسيا وان إدارتي الحكومية وجدت ان مسألتي توحيد دول الكمنولث وتقوية الصلات مع الصين وإيران والدول المسلمة الأساسية من أساسيات أهداف السياسة الخارجية الروسية [٣]. كما قدم مبادرة وكإرضاء لمنافسيه بعزل وزير الخارجية نزولا لرغباتهم، فضلا عن اتخاذه العديد من المواقف والقرارات المعززة بالموضوع ذاته. وبالوقت ذاته فهو يأمن بان التحول الاقتصادي هو خير سبيل في بناء دولته من خلال المنافسة على الاسواق بدل من المواجهات الأيدلوجية، وان الانفتاح على العالم الخارجي ضرورة تمليها الأوضاع الداخلية لروسيا وهذا ما يستوجب اعادة ترتيب

---

(١) د. إبراهيم عرفات، روسيا والناتو، قراءة في مدلولات اللائحة التأسيسية، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية بالاهرام، العدد ١٢٩، السنة الثالثة والثلاثون، تموز ١٩٩٧ ص١١٨.

(٢) خالد محمود الكومي، جيرنوفسكي بين السياسة الروسية والدولية، مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية بالاهرام، السنة الثلاثون، العدد ١١٦، نيسان ١٩٩٤، ص٣٢.

(٣) لمى مضر الامارة، سياسة روسيا الاتحادية اتجاه دول الخليج العربي، مصدر سابق، ص٩١.

الاولويات بحسب هذا التصور والقائم على الانفتاح الاقتصادي على الخارج [١].

اما على الصعيد الخارجي فحافظ على صورته ومواقفه تجاه الأفكار الشيوعية رافضا لها وقاطعا السبيل على كل من ينادي بعودة الاشتراكية الى الدولة الروسية، وبهذا فقد سار مع الطلبات الغربية من خشية عودة الأفكار الاشتراكية الشيوعية الى هذا البلد وقد أعلن في غير مناسبة عن ذلك ففي عام ١٩٩٥ وفي إحدى خطاباته الانتخابية انتقد الدعوات التي أطلقها الشيوعيون لا عادة الحياة الى الاتحاد السوفيتي وأوضح ان ما بنته دولته مع الدول العالم سيتحول الى كارثة مأساوية في حالة طرح هكذا أفكار، وقال (إننا لا نتحاج الى ثورات جديدة بل مزيد من حياة تتميز بالنظام والأمن)، ووصف بعض الاحزاب بقوله (إنها تسعى لا عادة البلاد الى ذلك الماضي المخيف)[٢].

وعن الجهات التي لها التأثير على صنع القرار نستعرض وبشكل موجز أهم هذه الجهات وهي الحكومة والبرلمان والنخب السياسية والأحزاب السياسية وجماعة الضغط إضافة الى الصحافة والرأي العام مع دور الكنيسة.

٢ـ الحكومة (السلطة التنفيذية)

تتآلف الوزارة من رئيس الوزراء ونواب الوزراء ويتم تعيينها من قبل رئيس الدولة ومن مهمها تنفيذ السياسة الداخلية المالية والائتمانية وكذلك السياسات الموضوعة في المجالات الخدمية الأخرى فضلا عن السياسة الخارجية للدولة.

---

(١) نبيه الاصفهاني، السياسة الخارجية الروسية في مرحلة التحول الديمقراطي، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية بالاهرام، السنة الخامسة والثلاثون، العدد ١٣٦، نيسان ١٩٩٩ ص٢٢٥.

(٢) معهد الدراسات السياسية، مجلة قضايا دولية، يلتسين يحذر من حرب اهلية اذا فاز الشيوعيون بانتخابات، اسلام اباد، السنة السادسة، العدد ٣١٢، كانون اول، ص٩.

تعد الحكومة جهازاً مساعداً للرئيس وليس لديها أي سلطات في مواجهته حيث يستطيع الرئيس عزل الوزارة من دون ذكر الأسباب وتعد هيئة استشارية للرئيس يأخذ برأيها او لا يأخذ.

٣. البرلمان (السلطة التشريعية)

من المعلوم ان السلطة التشريعية لها دور بارز في صنع القرار السياسي في أي بلد، ويتوقف دور هذ السلطة عن تلك بمدى صلاحيتها الدستورية والجهات التي تؤلف هذه السلطة. ويبقى القول الفصل في مدى قدرة هذه السلطة على صنع القرار هو قدرة الأحزاب في مواجهة السلطة التنفيذية في إدارتها وقراراتها.

ووفقا لما جاء بالدستور الروسي لعام ١٩٩٣ يتألف البرلمان الروسي من مجلسين الأول يسمى المجلس الفدرالي ويتكون من ١٧٨ عضو بواقع عضوين لكل وحدة من الوحدات التي تؤلف الاتحاد الروسي المكون من ٨٩ وحدة احدهم يمثل السلطة التشريعية والاخر يمثل السلطة التنفيذية [١]. على ان يكون احد هذين العضوين معينا من قبل رئيس تلك الوحدة او المقاطعة والآخر منتخباً من قبل الجمعيات الإقليمية [٢].

من مهام هذا المجلس تامين حدود الدولة واستخدام القوات المسلحة خارج روسيا والموافقة على إعلان الرئيس الأحكام العرفية وحالة الطوارئ في البلاد [٣].

وله ان يوجه الاتهام للرئيس وذلك بعد موافقة المحكمة الدستورية العليا مع توفر أدلة الاتهام وان تكون إجراءات الاتهام قانونية وسليمة فضلاً عن وجوب موافقة هذا المجلس في حالة قيام مجلس الدولة باتهام الرئيس وخلال غضون ثلاثة اشهر من تاريخ تقديم

---

(١)وكالة الانباء الروسية نوفوستي، روسيا احصائيات. وقائع، ٢٠٠٤/١٢/٢٤. *www.riau.ru*

(٢) الدستور الروسي، الفصل الرابع، المادة ٩٥.

(٣) الدستور الروسي، الفصل الخاسم، المادة ١٠٢.

الاتهامات الموجهة والا اعتبر الاتهام مرفوضاً [١].

كما لهذا المجلس ان يضع رأيه في القوانين التي تصل اليه من مجلس الدولة وان يبدي موافقته من عدمه خلال خمسة أيام وإذا لم يرفض خلال ١٤ يوماً عُدَّ القانون موافقاً عليه من قبل هذا المجلس.

اما المجلس الثاني فهو مجلس الدولة (الدوما) الذي يتألف من ٤٥٠ عضواً يتم انتخاب نصفهم عن طريق الانتخابات وتكون لمدة اربع سنوات. والنصف الآخر يتم انتخابهم عن طريق الدوائر الانتخابية أي عن طريق التمثيل النسبي للسكان.

من مهام هذا المجلس هي المسؤولية على الموافقة على التعيينات التي يجريها رئيس الدولة من رئيس الوزراء والقضاة ورئيس البنك المركزي.

يُعد هذا المجلس الهيئة التشريعية الأساسية التي تتولى عملية صنع القوانين وهو الذي يرفع مشروعات القوانين ان كانت من ناحية الرئيس او من ناحية المجلس ذاته الى مجلس الفدرالية في حال الموافقة ومن ثم الى رئيس الدولة للموافقة عليه وفي حالة اعتراض الرئيس على مشروع القانون يتطلب موافقة ثلثي الأعضاء لكلا المجلسين حتى يقر [٢].

على الرغم من هذه الصلاحيات لكلا المجلسين الا ان الرئيس يبقى يمسك بالصلاحيات التي يستطيع من خلالها مواجهة قرارات المجلسين كل على حدة.

ففي حال قرر المجلس سحب ثقته بالحكومة او برئيسها يستطيع الرئيس رفض ذلك القرار، وفي حالة العود فله ان يحل المجلس معالحكومة، وكذا في ترشيح رئيس للحكومة من قبل الرئيس ففي حال رفض المجلس ترشيح رئيس الحكومة فيمكن للرئيس ان يحل المجلس ويحدد موعدا لانتخابات جديدة [٣].

---

(١) المصدر نفسه، الفصل الرابع، المادة ٩٣.

(٢) المصدر نفسه، الفصل الخامس، المادة ١٠٣،١٠٧.

(٣) المصدر نفسه، الفصل السادس، المادة ١١١.

وقد حدثت الكثير من الصدامات بين الرئيس ومجلس الدولة خاصة بعد ظهور الآثار السلبية في مشروع الإصلاحات التي تبناها الرئيس [١].

وغالبا ما تنتهي تلك الصدامات لصالح الرئيس طبقا للصلاحيات الممنوحة له دستوريا. ففي عام ١٩٩٣ وعلى اثر اتخاذ الرئيس قرارا بحل البرلمان وإيقاف عمل المحكمة الدستورية وقع صراع بين الرئيس والمجلس تطور الى نزاع مسلح عندما استطاع بعض اعضاء البرلمان من الاعتصام داخل البرلمان والسيطرة على مبنى التلفزيون فضلاً عن بعض مراكز السلطة في موسكو، حينها قام الرئيس الروسي وبإسناد من القوات المسلحة من إنهاء الأزمة لصالحه بعد ان نكل بخصومه بين السجن والعزل [٢].

ثانياً: المؤسسات غير الرسمية المؤثرة على صانع القرار السياسي في روسيا الاتحادية

١ـ النخب والأحزاب السياسية

يظهر في الساحة السياسية الروسية عدد من الاتجاهات منها:

أ) الإصلاحيون (الراديكاليون)

ينبنى هذا الاتجاه التحولالجذري السريع الى العالم الغربي بكل نظمه السياسية والاقتصادية، فضلاً عن تأييده لصياغة علاقات قوية مع الغرب والاندماج في الاقتصاد العالمي، وكذلك يسعى الى خصخصة القطاع العام والى تحرير الأسعار والدخول الى نئام السوق ويعتقد هذا التيار ان فتح الاستثمار الأجنبي هو الكفيل لإنهاء المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها الاقتصاد الروسي فضلاً عن المساعدات الأجنبية لنجاح هذا التحول [٣].

---

(١) نورهان الشيخ، صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية الروسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٨، ص٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٥١.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٣.

وقد لاقت هذه الكتلة التاييد الشعبي الكبير نتيجة خيبة الامل التي اصابت المجتمع وازدادت شعبية هذا التيار بعد حالة الافلاس الاقتصادي التي وصلت اليها البلاد [١] وان غايتهم العليا هي الانظمام الى المجتمع الغربي من خلال المنظمات الأوربية مثل السوق الأوربية المشتركة ومنظمة حلف شمال الأطلسي [٢].

ومن الاحزاب التي تنظوي تحت هذه الكتلة هي كل من روسيا الديمقراطية، الشعب الوطني، الفلاح، الشعب، الجمهوري، الديمقراطي الاشتراكي، الديمقراطي الدستوري، الديمقراطي الحر، الحرية الاقتصادية، حركة الإصلاح الديمقراطي، اتحاد الديمقراطي المسيحي، حركة الديمقراطية المسيحية الروسية، حزب الاتحاد الإسلامي لروسيا. وتعد هذه الأحزاب من المؤيدين لسياسة يلتسين. ثم انظم الى هذه الكتلة حزب جديد هو روسيا الموحدة (الوحدة / الدب) الذي فاز بانتخابات كانون اول لعام ٢٠٠٣ ب ٣٠٦ مقعد [٣].

ب) القومين المحافظون والشيوعيون

ينادي هذا الاتجاه بوحدة روسيا وبعث الأمجاد الروسية القديمة، وهم يتحفظون على الانفتاح نحو الغرب وعلى المساعدات الأجنبية ويتصور هذا الاتجاه ان روسيا قادرة على الاعتماد على قدراتها الذاتية في التغلب على المشاكل الاقتصادية عن طريق تعزيز قطاع الزراعة والصناعة ويدعون الى المحافظة على القيم والثقافة الروسية وبالديانة الأرثوذكسية كقيم معنوية [٤].

---

(١) د. فواز جرجيس، الصراع السياسي على السلطة في الاتحاد السوفيتي الى اين، مصدر سابق، ص٣٩.

(٢) محمد جميل ابراهيم، العلاقات العراقية الروسية في عقد التسعينات، مصدر سابق، ص٥٠.

(٣) وكالة الانباء الروسية نوفوستي، مصدر سابق. *www.riau.ru*

(٤) نورهان الشيخ، صناعة القرار في روسيا، مصدر سابق، ص٥٤.

وتربط هذه الكتلة مشاكل روسيا بادور الخارجي وبخاصة الدور الأمريكي، وتدعو الى سيطرة روسيا من جديد على الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتي كافة حيث تتوفر لديها قناعة ان تلك الدول لا يمكن التسليم على انها دول مستقلة بل هي جزء من حدود روسيا التاريخية [١].

وتنطلق آراء هذه الكتلة من الثقافة الروسية القديمة الداعية الى المحافظة على كيان الدولة الروسية بالوسائل كلها بضمنها القوة ان وجب الأمر، مع السعي الى إظهار السلطة بمظهر القوي المركزي التي تستطيع بسط سلطانها على الأراضي الروسية كافة فضلا عن ان هذه الكتلة تعتقد ان الأمة الروسية تحمل حضارة إنسانية ولا يمكن ان يكون دور روسيا الا دور مهما على الصعيد الدولي خاصة في آسيا وأوربا [٢].

البعض من هذا التيار يفضل العودة الى النظام المركزي وبخاصة في مجال القطاعات الرئيسة كالطاقة والنقل والصناعات العسكرية، ويعارض هذا التيار تخصيص الاراضي الزراعية وبالوقت ذاته فليس لديه اعتراض على وجود ملكية خاصة وعامة وتعاونية، كما ينادي هذا التيار بتقليل عدد اليهود في الحكومة ويتهمون اليهود بقيامهم بانتهاكات ضد الشعب الروسي [٣] ويرفضون التحول الى اقتصاد السوق.

ان هذا التيار لا يمكن بمكان ان يهدر او يهمش حيث يلقي آثاراً قاسية على صانع القرار الروسي الذي يجد نفسه مضطرا للتصرف إزاء هذا الطرح.

وتظهر قدرة أصحاب هذا التيار على مخاطبة المشاعر للشعب الروسي المتطلعة الى

---

(١) لمى مضر الامارة، سياسة روسيا الاتحادية اتجاه دول الخليج العربي، مصدر سابق، ص١٠٨.

(٢) د. صالح الخثلان، المحدد الثقافي لعلاقات الوطن العربي بجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، بحث في تاثير الثقافة السياسية على العلاقات بين الدول العربية والجمهوريات الاسلامية وروسيا، من ندوة لوطن العربي وكمنولث الدول المستقلة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، حزيران، ١٩٩٤، ص١٢٧.

(٣) من يخوض الانتخابات الروسية؟ تحقيق على موقع البي بي سي، ٢٠٠٠/٣/٢٤. *www.bbc.com*

انبعاث القومية الروسية من جديد [١].

اما الأحزاب التي تمثل هذه الكتلة هي الديمقراطي الليبرالي، الجمهوري القومي لروسيا، الشيوعي لروسيا الفدرالية، عمال روسيا، العمال الاشتراكي، العمال الشيوعي الروسي، الروسي للشيوعيين، العمال، الشيوعي الوحدوي للبلشفيك، اتحاد الشيوعيين، جبهة الخلاص الوطني. تعد هذه الكتلة من المعارضين لسياسة يلتسين الخارجية وبرنامجه الإصلاحي.

ج) الاتجاه الوسط

هذا التيار يتخذ منحى وسطا بين التيار الإصلاحيين وبين القوميين المحافظين، يؤمن هذا التيار بالتحول الديمقراطي للحياة السياسية، ويرى ان يتحول النظام الاقتصادي الى نظام اقتصاد السوق والخصخصة ولكن بشكل مراحل وبطريقة منظمة وبالتدريج، الى جانب ان هذا التيار يؤمن بروسيا قوية موحدة ويسعى الى تجنب أي سياسات تؤدي الى تجزئة البلاد، وتعتقد هذه الكتلة ان الاعتماد على الإمكانيات الذاتية للبلاد الى جانب الجد من الاعتماد على الاستثمارات الغربية خير وسيلة بصلاح اقتصاد روسيا [٢]. ومن الاحزاب التي تمثل هذهالكتلة هي الاتحاد المدني، الزراعي، الشعب ـ روسيا الحرة، الديمقراطي لروسيا، اتحاد كل الروسن الديمقراطي الدستوري، الحرية الشعبية.

ان ما يميز الأحزاب الروسية هي محدودة الانتشار داخل الجمهور الروسي، فنلاحظ ان عضوية هذه الأحزاب لا تمثل كتلة معتبرة تستطيع ان تدخل بشكل مؤثر في أي انتخابات وهذا ما نلاحظه في نتائج الانتخابات التي جرت، فلم يستطع أي حزب ان يفوز بفارق

---

(١) مصطفى الحمارنة، العرب في الاستيراتيجيات العالمية، منشورات مركز الدراسات الاستيراتيجية، الجامعة الاردنية، عمان، ص٢٥٣.

(٢) نورهان الشيخ، صناعة القرار في روسيا، مصدر سابق، ص٥٦.

يؤهله ان يسيطر على البرلمان. الى جانب ان هذه الأحزاب ليست لها امتداد على الأقاليم الروسية، فنجد ان بعض الأحزاب ليست لديها فروع إلا في إقليم او منطقة محددة [١].

نخلص الى القول ان الأحزاب الروسية ليست لديها قاعدة شعبية، ويعود ذلك الى جملة من الأسباب منها ان بعض تلك الأحزاب لا تملك خطابا سياسيا واضحا وبالتالي فهي فاقدة القدرة على التأثير في العامة.

إضافة الى ان بعض هذه الأحزاب قد لا تمثل الهوية الوطنية الروسية ولها امتداد قومي او قد تكون فئوية او مهنية وبالتالي تجعل من الجمهور يعزف على الانخراط في تلك الأحزاب.

ولا يغيب أيضا ان الحزب الشيوعي إبان الحكم السوفيتي وممارساته في التعامل مع الأفراد قد ترك أثرا سلبيا مما جعل الأغلبية يسئموا مظاهر التحزب.

٢. جماعة الضغط او المصالح

والتي تتألف من مجموعة من الاشخاص والمؤسسات غير الرسمية تلتقي فيما بينها لتعبر عن مصالح الجهة التي تنتمي اليها هذه المؤسسة او ذلك الشخص وتهدف الى الوقوف امام السلطة الحاكمة ضد الإجراءات التي تهز مصالحها او تاثر عليها على الرأي العام او من خلال المجالس التشريعية ليصل بالتالي تأثيرات هذه الجماعة الى السلطة الحاكمة[٢]. وعلى ضوء ذلك فان ما يميز أعمال هذه الجماعات هو الاهتمام بالأوضاع الاقتصادية للبلاد وعدم اكتراثهم بالشؤون السياسية الا ما يتقاطع مع مصالحهم.

ومن بعض ما ظهرت في المجتمع الروسي لهذه الجماعة والمتمثلة بنقابة العمال واتحاد

---

(١) المصدر نفسه ص ٦١.

(٢) د. صادق الأسود، الرأي العام ظاهرة اجتماعية وقوة سياسية، بغداد، دار الكتب العلمية والنشر، ١٩٩١، ص٣٥٥.

المزارعين، وحيث ان هذه النقابات حديثة العهد وليس لديها القدرة على ممارسة الضغط على الحكومة الروسية الا إنها تبقى طلباتها ضيقة وبالقدر الذي يكفل ديمومة مصالحها، حيث لا تملك من الوسائل الكفيلة على تغيير مسار الحكم سوى المظاهرات السلمية إضافة الى انها ليس لها طابع سياسي [١].

الى جانب ذلك فيوجد في المجتمع الروسي جماعات لها الإمكانيات القادرة على التاثير على الراي العام وتستطيع ان تحرك الشارع الروسي من خلال بعض المؤسسات والنقابات او تظهير (تجيير) اعمال تلك النقابات لمصالحها وما أظهرت الحوادث عندما خرجت مظاهرات تندد بالنظام حول برنامجه الإصلاحي الذي ادى الى الكثير من المشاكل للمجتمع الروسي وتطالب هذه التظاهرات باعودة الى الدولة القوية الموحدة وما مدا تحسرهم عليها [٢].

ومن هذه الجماعات هي مؤسسة الجيش الذي انحسر دوره وادخل في العديد من الأزمات المادية والمعنوية بعد ان كان يحظى بالكثير من الدعم والاهتمام، وقد ساند الجيش الرئيس يلتسين عند ترشيحه للرشاءة املين منه ان يجد حلولا للمشاكل التي تواجه هذه المؤسسة [٣].

ومع امتداد الأزمات نتيجة عدم جدوى الإصلاح ساندت المؤسسة العسكرية

---

(١) نورهان الشيخ، صناعة القرار في روسيا، مصدر سابق، ص٦٧.

(٢) ملفين جودمان، موسكو والشرق الاوسط خلال التسعينات، في امتطاء النمر، تحدي الشرق الاوسط بعد الحرب الباردة، تحرير فيي مار ووليم لويس، ترجمة عبد جمعة الحاج، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستيراتيجية، الامارات، ١٩٩٦، ص٥٢.

(٣) ب فردريك، ج مدفيديف، ن باختوفر، روسيا في حالة تشنج، اعداد سوسن حسين، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية، السنة التاسعة والعشرون، العدد ١١٣، تموز ١٩٩٣، ص٢٢٩.

الأحزاب والتيارات القومية التي تسعى الى اعادة مجد الاتحاد السوفيتي القديم وظهر ذلك واضحا في انتخابات عام ١٩٩٣ عندما أيّد أكثر من ٥٠٪ من أفراد الجيش الاتجاه القومي[١].

ان هذا الموقف لم يأت الا لانحسار دور المؤسسة العسكرية حيث من المعلوم ان رجال الجيش يتطلعون دائما الى السلطة وحيث ان الحياة السياسية تتجه نحو الديمقراطية ولو بصيغة شكلية مما يعني ان هذه المؤسسة لم يعد لها دور في الحياة السياسية، فضلا عن ان رجال الجيش يحملون الثقافة الروسية والافكار الداعلية الى إعادة روسيا العظمى وعدوا سقوط الاتحاد السوفيتي امتهانا للكرامة العسكرية [٢].

فضلا عن رفض رجال الجيش تقليص ميزانية التسلح حيث يظهر المجمع الصناعي العسكري والذي له دور كبير ونفوذ على الصعيدين السياسي والاقتصادي هذا التجمع يعد شاخصا رئيسا في الحياة الاقتصادية وباقي المرافق في عموم الشعب الروسي [٣]. لكن يبقى تأثير هذه المؤسسة محدوداً بسبب ما تعانيه في تفكك بين أعضائها وهي لا تبتعد كثيرا عن الواقع للمجتمع الروسي وما حل به من ترهل وتصدع في مؤسساته كافة [٤].

وبسبب التحولات آلتي أصابت البنية الاقتصادية وتطبيق نظام خصخصة القطاع العام وفتح الاستثمار في اغلب المؤسسات الإنتاجية والنفطية ظهر في الدولة الروسية

---

(١) معهد الدراسات السياسية، ما الذي بقى من الإصلاحات الروسية، مجلة قضايا دولية، اسلام اباد، السنة الخامسة، العدد ٢١٤، شباط ١٩٩٤، ص١٩.

(٢) احمد الخميسي، يلتسين يحقق أسوء انتصار والجيش يحسم الصراع، مجلة اليسار، حزب التجمع الوطني التقدمي والوحدوي، القاهرة العدد الخامس والأربعون تشرين ثان ١٩٩٣، ص٥٧.

(٣) خير الدين عبد الرحمن، القوى الفاعلة في القرن الحادي والعشرين، دار الجليل للنشر والتوزيع دمشق ١٩٩٦، ص٣٢.

(٤) الدار العربية للدراسات والنشر والترجمة، نشرة تقديرات الاستيراتيجية، رحيل يلتسين واشكاليات ومشاهد التغيير في القيادة الروسية، مصدر سابق، ص٣٨.

جماعة رجال الأعمال وبطليعتهم اللوبي النفطي الذي مارس ما اتيح من ضغوطات على الحكومة الروسية لغرض تامين مصالحه، حيث سعت هذه الجماعة الى إعادة العلاقة مع العراق واستئناف التعاون وبخاصة في حقل النفط إضافة الى الشركات المتخصصة في إنتاج وتسويق السلاح، وما ورد في الاخبار (من بين اسباب دعم روسيا للعراق وجود لوبي قوي مؤيد للعراق في روسيا ويؤكد على ان هذا اللوبي يشكله أشخاص ذوي نفوذ واسع كونوا ثرواتهم من العلاقات الوثيقة بين البلدين ويسعى هؤلاء ألان لاعادة العلاقت على سابق عهدها)[١].

ما رشح عن تفكك الاتحاد السوفيتي القديم هو ظهور التكتلات التي تستند على ديموغرافية المجتمع الروسي من اديان. وقوميات. وطوائف. ومذاهب. لهذا نجد ان الكتلة التي لها القدرة والامكانيات تستطيع ان تؤثر على صانع القرار غير آبهة بالمصالح العليا للبلاد. ونجد ان الدور الذي تلعبه الكتلة اليهودية من خلال ما تملكه للكثير من وسائل النشر ووسائل الإنتاج الروسية [٢] في التأثير على الرأي العام ومن ثم على صانع القرار وبخاصة في التبشير بالديانة اليهودية والسعي الى نقل يهود الروس الى الاراضي الفلسطينية المحتلة كمستوطنين. كما كان لها دور في التأثير على علاقة روسيا بالعراق ومحاولة إغرائها او تهديدها عند أي تقارب مع العراق عن طريق إسرائيل والتي لديها أكثر من وسيلة للضغط عليها مثل تقنين الكتنولوجيا المزمع تصديرها الى روسيا او عن طريق تحريض الولايات المتحدة للضغط على روسيا طالما انها قد ربطت مصالحها

(١) مجلة الحدث، محاولات روسيا للعودة الى الشرق الاوسط، مركز الدراسات التركية، السنة الاولى، العدد ١٠، كانون الاول ١٩٩٤، ص٤٩ـ٥٠.

(٢) د. ابراهيم زعير، العولمة... امركة العالم او صهينته، صحيفة الاتحادة الاماراتية، في ١/٨/٢٠٠٠.
www.alethad.com

وحرصت على إرضاء الغرب[١].

كما كان لليهود دور كبير في التأثير على نتائج الانتخابات عبر دعمهم للاحزاب والشخصيات التي تحقق أهدافهم والتوسع في نفوذهم في هيئات الدولة الروسية، وقد خلق انطباع لدى الروس والمتتبع بالشأن الروسي بان الصراع على السلطة في الكرملن هو صراع بين مالكي رؤوس الأموال من اليهود[٢]. ويرى الاصلاحي يافنسكي ان الواقع في روسيا لا يدلل على وجود نقابات عمالية او سلطة قضائية مستقلة او احزاب سياسية نشطة بل ويشكك في وجود حرية الصحافة والمؤسسات المدنية ويرى ان يلتسين كان يدير دولة اجرامية تحتكرها الصفوة التي عاشت من حوله[٣].

يبقى دور هذه الجماعات غير مجدي او مؤثر تأثيرا ظاهرا على صانع القرار، وربما يعود ذلك لحداثتها او لتقاطع مصالحها او تباين أولوياتها.

٣. الصحافة

رغم ان حرية الصحافة قد جرى العمل بها في روسيا بإصدار قانون الصحافة الا انها تضل دون المستوى ذلك لاسباب عديدة يقف في مقدمتها ان الكثير من الصحف لا زالت تتلقى الدعم من الحكومة وبالتالي فإنها لا تتمتع بالاستقلالية. فضلاً عن بعض المؤسسات الإعلامية وبعض الصحف أصبحت سوقا للأسهم الأمر الذي أدى الى عدم تحييدها فأضحت لسان حال رجال الأعمال المساهمين في تملكها، وقد ظهرت الكثير من الخلافات نتيجة تقاطع المصالح لأولئك المساهمين. مما دعا الى المطالبة من قبل رئيس

---

(١) د. منعم صاحي العمار، العلاقات العراقية ـ الروسية والبحث عن نموذج واقعي لتاطير تفاعلاتها، مصدر سابق ص٢٠٥.

(٢) عبد القادر عبد الهادي، تعادل الشيوعيون وانصار يلتسين في انتخابات روسيا، ١٩٩٩/١٢/٢١. *www.albayan.com*

(٣) من يخوض الانتخابات الروسية؟ مصدر سابق. *www.bbc.com*

الدولة للتدخل بحل هذه التدخلات وجعل الصحافة اكثر حيادية وعدم إدخالها في صراعات مصلحيه [١].

وقد ادت الصحافة دورا مهما في توعية الشعب الروسي ولم تستطع الحكومة من الوقوف امام ما يرغب به الشعب من الاطلاع عليه مع تطور وسائل الاتصال واجهزة البث وبها قد اسقطت جميع مظاهر الانغلاق [٢].

لكن لا يبدو ان للصحافة دور في التأثير على صانع القرار بل إنها قد فقدت ثقة الجماهير بها وعدتها إنها قد تلاعبت بالرأي العام خاصة في حقبة السوفيت وفي موضوع الإصلاحات التي تبناها غورباتشوف.

وتأسيسا على ما تقدم نعتقد ان الصحافة والإعلام في روسيا هي جزء من منظومة كاملة تحتقن فيها كل مظاهر الانحلال الذي دب في الدولة الروسية، وباتت غير قادرة على التأثير ليس فقط بصانع القرار انما على العامة ايضاً.

وعلى ما يبدو ان الشعب الروسي تولدت لديه قناعات كثيرة منها ان أية جهة او مؤسسة ما جاءت الا لكي تزيد من ثرائها على حساب معاناتهم فضلاً عن ان عدد الصحف الصادرة خلقت اجواء من المتضادات والتباين في الطروحات قد تركت بظلالها على قناعات الأفراد.

٤ـ الرأي العام

لا شك ان الرأي لعام في الدول الليبرالية التي تحتم حقوق الإنسان المدنية يصبح ذو تأثير على صانع القرار السياسي.

---

(١) نورهان الشيخ، صناعة القرار في روسيا، مصدر سابق، ص٧١.

(٢) محمد سيد احمد، لماذا انهار الاتحاد السوفيتي، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات الدولية والاستيراتيجية، بالاهرام، السنة الثامنة والعشرون، العدد ١٠٨، نيسان ١٩٩٢، ص١٢٠.

وقد جاء الدستور لعام ١٩٩٣ وثبت الحقوق المدنية وعدَّت هذه الخطوة مؤشراً إيجابياً في حركة الرأي العام الروسي بعد ان كان مغيباً لعقود، على الرغم من جملة هذه الحقوق الا انه لم يرتق الى ما هو مطلوب، حيث ان الشعب الروسي منهك بحياته وهمومه اليومية الصعبة، حيث ظهرت ان نسبة الذين شاركوا في الانتخابات او بأي مشاركة سياسية تعد نسبة ضئيلة قياسا الى باقي المجتمعات من حيث الكم والنوع.

ان الأزمة التي تمر بها روسيا لا يستطيع الرأي العام ان يضع تأثيره فيها واو إيجاد حلول سريعة للمشاكل التي تجتاح البلاد.

وفي استطلاع للراي العام حول توسع حلف الناتو ليظم دولاً في اوربا الشرقية حيث جاءت النتائج بان (اكثر من نصف سكان روسيا اما لا راي لهم او ان لهم موقفا سلبيا حول دوافع السياسيين لمقاومتهم توسع الناتو) ان هذه النتائج لم تأت الا نتيجة عدم الثقة بالنخب السياسية الحاكمة [1].

وما لاقاه الشعب الروسي من إهمال لرأيه او تهميشه وعلى مدى عقود وفي ظل ظروف قاهرة وفي مقدمتها الأزمة الاقتصادية لم يكن في مقدوره إيضاح رأيه او بلورته ليكون قادرا على التأثير في صانع القرار. وتدلل المؤشرات الى ان الرأي العام سيأخذ دوره في المساهمة في صنع القرار السياسي وان الوقت كفيل في إظهار ذلك الدور.

٥ـ الكنيسة

هذه المؤسسة التي كانت مغيبة ولزمن طويل فقد ظهرت وبرز دورها مجددا، ونالت اهتمام السيايين فأعيدت الحياة الى الكثير من الكنائس وخصصت لها مبالغ من قبل الدولة.

---

(١) لوسينين ايونيد، روسيا والناتو، معضلة وتوسيع الناتو شرقا في السياسة الروسية والراي العام الروسي ١٩٩٢ ـ ١٩٩٧، ترجمة عبد الوهاب القصاب مجلة دراسات، من دوريات الجامعة المستنصرية، العدد ١٢، ٢٠٠٢، ص٣٦.

على الرغم من ان الدستور الروسي قد فصل الدين عن الدولة وعدَّ روسيا دولة علمانية[١].

إلا انه ظهرت بعض الأحزاب تتصف بطبيعة دينية ومن أبرزها الحركة الديمقراطية المسيحية الروسية التي تشكلت عام ١٩٩٠، كما ان بعض رجال الدين تدخلوا في الشؤون السياسية وبخاصة عندما وقع أحد البطاركة على وثيقة تطالب الرئيس بإجراءات سريعة ضد الحركات الانفصالية عام ١٩٩٠. وان بعض رجال الكنيسة لهم علاقات مع رجال السياسة القوميين المحافظين الذين ينتقدون تفكك الاتحاد السوفيتي.

وكان موقف الكنيسة في الصراع الذي دار بين المسلمين والصرب في البوسنة حيث حثت الحكومة على مناصرة صرب البوسنة في قتالهم.

لكن يبقى القول ان هذه المؤسسات والجهاتالتي تحسب بعضها على الهيكلية داخل المنظومة الحاكمة في روسيا لم تستطع ان تقف موقف الند من توجهات رئيس الدولة وبخاصة في مطلع التسعينات عندما كان الرئيس في أوج التأييد.

بدأت هذه المؤسسات تأخذ بعضاً من دورها في التأثير على صانع القرار السياسي بعد النتائج التي ظهرت على المجتمع الروسي جراء تطبيق الإصلاحات والتقرب الى الدول الغربية التي لم تكن جادة في وعودها. وهذا ما نلاحظه عندما تبنى الرئيس الروسي في حملته الانتخابية ما كان ينادي به القوميون المحافظون.

وبالرغم من ذلك ظلت هذه المؤسسات غير قادرة على توجيه السياسة الروسية او المساهمة في توجيهها وبخاصة القرارات التي لها بعدا دوليا، ففي حزيران من عام ١٩٩٧ اصدر مجلس الدوما قانونا ينص على (منع استخدام أموال الدولة الروسية في المشاركة في تنفيذ نظام العقوبات على العراق وهذا يعني رفض روسيا العقوبات والانسحاب عن

---

(١) الدستور الروسي، الفصل الرابع، المادة ٦٥.

نظام تطبيقها، كما نص على السماح باستئناف العلاقات التجارية مع العراق وشراء النفط وتنفيذ العقود المبرمة بين الدولتين، مع الإشارة الى ان هذا القانون حظر استئناف بيع الأسلحة الروسية للعراق، ونعتقد ان هذه الإشارة جاءت لتضع الرئيس الروسي امام المصلحة الوطنية هذا من جهة ومن جهة اخرى حتى يكون هذا القانون اكثر واقعيا وتفهما للمتطلبات الدولية. ومع ذلك فان الرئيس الروسي رفض التوقيع على القانون باعتباره يقاطع مع الالتزامات الدولية لروسيا.

وقد يتخذ الرئيس لمبادرة ما يهدف الى جني أكثر من فائدة تعزز مكانته على الصعيدين الداخلي والدولي، ففي عام ١٩٩٢ وافق الرئيس الروسي بإرسال قطعتين عسكريتين الى منطقة الخليج العربي لمؤازرة التواجد الأمريكي إزاء العراق (١).

واعتقد ان الرئيس الروسي يعرف تمام المعرفة ان الولايات المتحدة لا تحتاج الى دعم في منطقة الخليج العربي وكذلك يدرك ان قراره هذا سوف لا يقر من قبل البرلمان، وهذا ما حصل اذ ان البرلمان لم يوافق على قرار الرئيس وطلب تجميد العمل به. ونرى ان الفوائد التي جناها الرئيس من هذا القرار هي كسبا سياسيا على الصعيد الخارجي وبخاصة من قبل الولايات المتحدة اما على الصعيد الداخلي هي تعزيز الانطباع لدى البرلمان والشعب الروسي انه لا يحيد عن الأسلوب الديمقراطي في إدارة البلاد وليستثمر ذلك في حملته الانتخابية.

لكن يبقى الافراد رغم ادراكهم للكثير من الحقائق عمَّا ستؤول اليه دولتهم غير عابهين او مهتمين بالنتائج التي نتظرونها عبر الانتخابات ففي استطلاع اجري حول اشتراك عدد من المرشحين للانتخابات فيما اذا كان منهم من له ارتباط مع العصابات والمافيا اجاب ٧٨٪ ممن شملهم الاستطلاع بالإيجاب، مما يدلل على ان الشعب الروسي ليس لديه

(١) ملفين جودمان، موسكو والشرق الاوسط خلال التسعينات، ابو ظبي / الامارات مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستيراتيجية، ١٩٩٦، ص٣٠.

القدرة على التاثير على صناع القرار [١].

(١) عبد القادر عبد الهادي، تعادل الشيوعيون وانصار يلتسين في انتخابات روسيا، مصدر سابق. *www.albayan.com*

المبحث الثاني

المؤثرات الداخلية على السياسة الخارجية في روسيا الاتحادية

1. الأزمة الاقتصادية

تعدّ روسيا الاتحادية اكبر وريث للاتحاد السوفيتي بل ان روسيا انتقلت أليها اغلب الحقوق والامتيازات التي كانت بذمة الاتحاد السوفيتي ومن بعض تلك الحقوق مديونية الدول النايمة والاشتراكية للاتحاد السوفيتي التي تقدر بحوالي ١٢٢. ١٤٦ مليار دولار [١]، ذلك لانها تعدّ اكبر الجمهوريات التي كانت تؤلف الاتحاد السوفيتي القديم من حيث المساحة والنفوس فضلا عن الثروات الطبيعية وعلى اثر ذلك فقد وافق رؤساء الدول المستقلة من منحها العضوية الدائمة في مجلس الأمن الى جانب إعطاء الرئيس الروسي الرقم السري لا طلاق الصواريخ النووية على ان لا تستعمل الا بموافقة الدول النووية وهي (كازاخستان، بيلاروسيا، اوكرانيا)[٢]. ومن جملة ما ورثته هي الأزمة الاقتصادية. تلك الأزمة التي كان لها الدور الأعظم في تفكك الاتحاد السوفيتي وانهياره.

إن الأزمة الاقتصادية التي تجتاح روسيا اليوم ما هي إلا أزمة تراكمية ابتدأت معالجتها منذ عام ١٩٥٣ ولم يكتب لها النجاح لانها تتقاطع مع الاتجاه المحافظ الذي يرفض التغيير

---

(١) التجمع الاقتصادي العربي الروسي، من موقعه على شبكة الانترنيت. *www.ru-arab.ru*

(٢) معتز محمد سلامة، امن الكومنولث بين الدور الروسي ومصادر التهديد، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية، بالاهرام، السنة الواحدة والثلاثون، العدد١١٩، ١٩٩٥ ص٢١٧.

لانها تخرق الثوابت الشيوعية او تمسها [١]، وعند منتصف الثمانينات ظهرت الكثير من المشاكل ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي الى الحد الذي بدأت تهدد الهياكل والمؤسسات السياسية والاقتصادية في الدولة السوفيتية السابقة [٢].

حاول غورباتشوف آخر رؤساء الاتحاد السوفيتي ان يعالج الأوضاع وفق المفاهيم التي تبناها لكن لم تكتب لها النجاح لعدم اتخاذه الوسائل والأساليب اللازمة لمثل هكذا إجراء، وبحسب وصف الرئيس الأمريكي السابق نكسون حين قال (لقد حاول غورباتشوف ان يعالج نموا مريضا للاقتصاد السوفيتي بأقراص الأسبرين فبدا بإصلاحات سياسية لا بإصلاحات اقتصادية)[٣].

وقبل الولوج في تداعيات هذه الأزمة لابد ان أشير بغرابة الى بعض المصادر التي أظهرت المقدرة الاقتصادية السوفيتية حيث أظهرت ان معدل النمو الاقتصادي للاتحاد السوفيتي لعام ١٩٨٧ هو ٢.٢٪ وهذا يقترب من معدل النمو للولايات المتحدة الأمريكية البالغ ٢.٤٪، بل ان ذلك النمو يتفوق على نظيره للمملكة المتحدة ٢٪ للعام ذاته، فضلاً عن وجود موارد مادية وبشرية ضخمة [٤].

وهنا لسنا في محل شك من صحة هذه المصادر بقدر ما توفرت لدينا قناعة ان هذه الوثائق صدرت بعد مرور اكثر من سنتين على الإصلاحات التي تبناها الرئيس السوفيتي،

---

(١) أماني محمود، تجربة دول أوربا الشرقية، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية، بالاهرام، العدد ٨٩، ص٩١. ١٠٠.

(٢) مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية بالاهرام، السنة الثالثة والعشرون، العدد ٨٩، تموز ١٩٨٧ ص١٨٠.٧٢.

(٣) ريتشارد نيكسون، ما وراء الاسلام، ترجمة مالك عباس، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٥، ص٣٨.٣٩.

(٤) محمد جميل ابراهيم، العلاقات العراقية الروسية في عقد التسعينات، مصدر سابق، ص٤٥.

تلك الإصلاحات التي لاقت الكثير من المعارضة عند تطبيقها لتعارضها مع أصحاب النفوذ والمصالح، ولاشك ان الجهة التي أصدرت هذه الوثائق إنما تعمد الى إقناع القائمين على الإصلاح بان ما يقومون به قد تحقق او قد ظهرت بوادره وما هذه الوثائق إلا دليلا على صحة ما يهدفون اليه.

ونحن بهذا الرأي لا نبتعد كثيرا عن المشاكل الحقيقية التي أصابت المؤسسات السوفيتية حيث عانت الدولة السوفيتية من الفساد الاداري الذي حال دون تحقيق أي اصلاح، ونحن نتساءل ان كانت هذه الوثائق وما حوته من مؤشرات على مستوى النموى الاقتصادي هي الحقائق فلم الاصلاح ولم عانت الدولة السوفيتية ما عانت وبخاصة في السنوات التي ظهرت بها هذه الوثائق وما قبلها وبعدها.

لذا نعتقد بصحة ما توصلنا اليه وهذا ما يؤكده الرئيس السوفيتي غورباتشوف عندما ذكر ذلك في كتابه عن البيريسترويكا حين قال (ان الاتحاد السوفيتي الذي كان يلحق بمثابرة ببلدان العالم الاكثر تقدما بدأ يسلم موقعا تلو الاخر حيث اخذت تتعاظم في غير صالحنا الفجوة في تحسين الكفاءة الاقتصادية ونوعية المنتجات وفي التطور العلمي وفي إنتاج واستخدام التكنولوجيا والتقنية الأحدث)[1].

وعلى العموم فان الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت الدولة السوفيتية وما بعدها الروسية امر واقعا لا يستطيع احد القفز منها او تجاوزها.

لكن يبقى القول ان الازمة الاقتصادية ليست الوحيدة التي اسهمت في الازمات المتلاحقة للدولة الروسية. حيث لم تتوفر المؤشرات والمعطيات عن الاقتصاد الروسي منذ عام ١٩٩١ ولم تشكف او تتنبأ بحدوث ازمة اقتصادية بقدر الأزمة التي كشف عنها في

---

(١) ميخائيل غورباتشوف، البيريسترويكا تفكير جديد لبلادنا وللعالم، وترجمة حمدى عبد الجواد، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٥.

أيلول من عام ١٩٩٨ [١].

وقد لا نخطأ اذا زعمنا ان نتائج انهيار الاتحاد السوفيتي ستصب في مصلحة روسيا الاتحادية اذا ما عرف القادة الروس كيفية استثمار ذلك، فروسيا ورثت اغلب مكامن القوى من الاتحاد السوفيتي كالصناعة بشقيها المدني والعسكري والموارد الطبيعية والموقع الجغرافي عن الامتيازات على الصعيد الدولي، وإذا كان أحد أسباب انهيار الدولة السوفيتية هو الإنفاق الكبير على الجمهوريات المنظمة الى الاتحاد وما تحتوي هذه الدول من مشاكل اقتصادية واجتماعية فان هذا السبب لا يعد له وجود.

قبل الدخول الى مفاصل الازمة الاقتصادية علينا اولا ان نسأل لماذا هذه الازمة وما هي اسبابها والية معالجتها؟

وحتى نصل الى اجابات او نقترب منها لابد ان نستعرض الإمكانيات المادية والبشرية للدولة الروسية.

روسيا الاتحادية هذه الدولة التي يبلغ عدد سكانها حوالي ١٥٠ مليون نسمة وهي من الدول التي تتميز بالتعدد الاثني حيث يشكل الروس حوالي ٨١٪ من مجموع السكان فضلاً عن القوميات الاخرى كالتتارية ٤٪ والاكرانيون ٣٪ والروس البيض (التشوفاش) ١٪ والموالدافين ١٪ اما بقي القوميات (اذرين وكازاخ واخرين) فيؤلفون حوالي ١٠٪ لذا نلاحظ ان الأمة السلافية تمثل الأمة الأكثر عددا وتجانسا[٢].

اما اللغات المتداولة في المجتمع الروسي فهي عديدة منها الروسية والاكرانية والاذرية والازبكية والارمينية والجورجية وغيرها من اللغات المحلية [٣].

---

(١) د. عماد عبد اللطيف سالم، الازمة الروسية، تحليل في ضوء معطيات الاقتصاد السياسي، السنة الثانية، بحث منشور لبيت الحكمة بغداد ١٩٩٨، ص٤٨.

(٢) د. خير الدين عبد الرحمن، القوى الفاعلة في القرن الحادي والعشرين، مصدر سابق ص٣٧.

(٣) اطلس العالم، مصدر سابق.

ويبلغ معدل نمو السكان حوالي ٠.١٪ ويبلغ متوسط العمر هو ٦٨، والمجتمع الروسي يتدين باكثر من دين فهناك المسيحي (الارذثوكسي) والاسلام واليهودية وغيرها. تتميز روسيا بارتفاع نسبة المتعلمين حيث تصل الى ٩٨٪ من عموم المجتمع الروسي وان سكان المدن (الحضر) يؤلفون حوالي ٧٦٪ اما الباقي (الريف) فهم ٢٤٪، ان هذه المؤشرات والبيانات توصلنا الى ان روسيا الاتحادية تتمتع بنخبة معتبرة من العلماء والفنيين المهرة[١].

اما القدرات الاقتصادية الروسية فانها تحتوي على الكثير من الموارد الاقتصادية فالى جانب النفط الذي يؤلف ١٣٪ من الانتاج العالمي ويصل انتاجها اليومي حوالي خمسة ملايين برميل يوجد كذلك الغازم بنسبة ٣٥٪ والفحم بنسبة ١٢٪ والحديد بنسبة ٣٢٪ والقصدير بنفسة ٢٧٪ والنحاس بنسبة ١١٪ من الانتاج العالمي[٢]. اضافة الى الكثير من الموارد الاخرى كالذهب واليورانيوم.

اما مساحة روسيا وموقعها فهي تعد اكبر دولة من حيث المساحلة اذ تبلغ حوالي ١٧، ٠٧٥، ٤٠٠ مليون كلم مربع، تمتد من جمهوريات استو نيا ولاتيفيا وبلاروسيا غربا ومن الجنوب الغربي اكورانيا وتحد من القوقاز كل من جورجيا واذربايجان، اما في سيبريا فتحدها كازاخستان وفي الجنوب تحد كل من الصين ومنغوليا ولها حدود مع كوريا الشمالية في الطرف الجنوبي الشرقي مع اطلالة واسعة على المحيط الهادي شرقا وتشترك بحدود مع الولايات المتحدة الامريكية عند مظيق بيرنغ ومنطقة الاسكا في الشمال الشرقي، هذه المساحة تجعل من التنوع المناخي السمة الرئيسة لهذه الدولة لهذا تتميز روسيا

(١) ريتشارد نكسون، ما وراء الاسلام، مصدر سابق، ص٩٧.

(٢) احمد حسين شحيل، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط، رسالة دكتوراه غير منشورة بالعلوم السياسية مقدمة الى كلية العلوم السياسية جامعة بغداد، ٢٠٠٠، ص٦٩.

بتنوع المحاصيل الزراعية كالحنطة والقطن والتبغ والأخشاب الى جانب الثروة الحيوانية من مواشي مختلفة ومنتجات بحرية[١].

اما الصناعة الروسية فتتميز بتنوع المنتجات بين الصناعة المدنية والعسكرية فروسيا تعد من الدول الصناعية المتطورة مثل صناعة الآلات والمعدات الثقيلة والحديد والصلب والسيارات فضلا عن الصناعات التحويلية كمواد البناء والغذائية والأثاث الى جانب تطور صناعتها في مجال غزو الفضاء وإنتاج الطاقة، اما صناعتها العسكرية فهي من اول الدول المنتجة للسلاح حيث تنتج مختلف الأسلحة التقليدية والاستراتيجية كما تعد ثاني اكبر دولة في العالم من حيث امتلاكها الترسانة النووية[٢].

وقد عد بعض العلماء الروس ان بلادهم تعد من الدول الغنية برغم من الدمار الذي اصاب البلاد وبالمقارنة مع بعض الدول نجد ان موارد روسيا ضعف الموارد الامريكية و ٦.٥ اضعاف الموارد الالمانية و ٢٠.١٨ اضعاف الموارد اليابانية وجاء بتقرير صحيفة فوروسني الروسية ان الاقتصاد الروسي يجني ربحا صافيا من ٨٠.٦٠ مليار دولار أي ما يمثل ٢.٥.٢ من حجم الموازنة العامة لروسيا وتصف انه لا يعقل ان تصف من يحصل على هذه الاموال بانه دولة فقيرة او مفلسة وان هؤلاء العلماء بنوا تقديراتهم على اساس مجموع ما تنتجه روسيا بالاسعار العالمية[٣].

نحن اذا نستعرض هذه الامكانيات نهدف الى بيان ان الازمة الاقتصادية التي تمر بها روسيا لم تكن بازمة اعتيادية او تقليدية، فدولة لها كل هذه الموارد لا يمكن القول بوجود

---

(١) محمد جميل ابراهيم، العلاقات العراقية الروسية في عقد التسعينات، مصدر سابق، ٢٠٥.

(٢) فؤاد العشا، النظام العالمي الجديد، عالم بخمسة رؤوس، سوريا، دار الجماهير للنشر والتوزيع ايلول ١٩٩٤، ص١٣٢.

(٣) روسيا حقائق ووقائع، من موقع على شبكة الانترنيت. *www.ruarab.ru*

أزمة تهدد كيانها او في الأقل تدهور في مستوى نموها، ولو افترضنا ان تلك الإمكانيات تتوفر ولو جزء منها في أي دولة أخرى لشهدنا بان تلك الدولة تخطو خطوات واسعة بالنمو، اما لماذا هذه الأزمة فنحن نعتقد ان الأزمة هي ليست نقص بالموارد او الإمكانيات، إنما هناك ثمة أسباب أخرى.

من المعروف ان العملية الإنتاجية او الاقتصادية بالقدر الذي يتطلب فيها توفر وسائل الإنتاج من راسمال او مواد أولية يتطلب أيضا العنصر البشري الكفء القادر على ضبط وتسخير تلك الإمكانيات لتحقيق الأهداف التنموية.

ونعتقد ان الحلقة المهمة في عملية البناء والتنمية هي العنصر البشري الذي يمكن فيه الخلل، فالفساد الإداري الذي اجتاح الدولة السوفيتية من قبل هو ذلك الذي يعصف الآن في روسيا. ودليل على ما ذهبنا اليه ان جميع برامج الغصلاح بما فيها القروض والمساعدات والتغييرات على الهيكلية الاقتصادية من خصخصة القطاع العام وغيرها لم تجد نفعا لتغيير الأحوال.

ان هذا الخلل الذي طغى على سلوك الأفراد لم يأت من فراغ، فالدولة السوفيتية باسلوبها في إدارة الدولة وفق النهج الشيوعي والتي جعلت من المواطن سبيلا لتحقيق الوطن دون الوقوف الى إرهاصاته او نوازعه ولن تبالي بحركة الأمم أوصل المجتمع الروسي الى ما وصل اليه في عهد الدولة الروسية.

(واذا كانت الشيوعية قد ماتت فان الاحتيال والتسلط اللذين اتسمت بهما الشيوعية في الاتحاد السوفيتي السابق ضربا بجذورهما في أعماق الاتحاد الروسي ولذلك فليس من المحتمل ان تحرز روسيا تقدما ذا مغزى)[١].

---

(١) ستيفن بلانك، دراسات عالمية، رؤية استيراتيجية عامة للاوضاع العالمية، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستيراتيجية، العدد ١٣، ص٣٦.

فظهرت لدى الكثير من الأفراد بوادر اللا انتماء الى الوطن وضعفت وشائج الارتباط بينهم وبين السلطة وتولدت لدى البعض ان ارتباطهم بالسلطة او بالدولة ارتباط مصلحي غير مبالين لمستقبل بلادهم.

وظهرت صراعات عديدة في داخل الدولة الروسية صراع تعددت صوره فهناك صراع نفوذ بين أرباب المصالح وأيضا هناك صراع بين الجمهوريات والمناطق الإدارية وبين الحكومة المركزية في موضوع الضرائب بسبب خصخصة السياسة الأمنية تفككها. فالأفراد والطوائف وجماعات الضغط والتي تعرف في روسيا (بالعشائر) فتلك الجماعات تستولي على المناصب المهمة لتحقيق منافعها الشخصية على حساب المصالح العليا للبلاد، لذلك غيبت سيادة القانون وأهملت مسألة المسؤولين المقصرين واختفت سيادة الدولة [١].

وتأسيساً لما تقدم رشحت من هذا الواقع الجرائم المتمثلة بالعصابات المنظمة التي لا تعبأ بشيء سوى مصالحها ولا تهتم بالتكامل الاقتصادي الا في حدود الرشاوى والأموال السائلة التي تبتزها [٢].

في بدء رئاسة يلتسين أعلن عن برنامجه للتحول الاقتصادي الذي استند على تصحيح الهيكلية الاقتصادية وتحرير الأسعار وتنفيذ برنامج الخصخصة وفتح الاستثمار المحلي والخارجي وتقليص الإنفاق والحد من دور الدولة وتحفيز القطاع الخاص في عملية زيادة الإنتاج [٣].

وفق هذا البرنامج خطت روسيا خطوات كبيرة في سبيل التحول الى اقتصاد السوق

---

(١) ستيفن بلانك، دراسات عالمية، رؤية استيراتيجية عامة للاوضاع العالمية، مصدر سابق، ص٣٦.

(٢) المصدر نفسه،ص٣٧.

(٣) جريدة نيزافيسيمايا جازيت، فحوى الخطاب للرئيس الروسي، ١٩٩١/١٠/٢٩.

www.novayagazeta.ru

وذلك بمنح المؤسسات الاقتصادية استقلالا واسعا فضلاً عن زيادة الحوافز لتحسين الكفاءة واعتبرت ان هذه الإجراءات التي تسمى (العلاج بالصدمة) ـ والتي دعت اليها بقوة وزارة المالية الأمريكية وصندوق النقد الدولي. هي الكفيلة بتحقيق الاستقرار الاقتصادي واتخذت الحكومة الروسية منذ عام ١٩٩٢ العديد من الإجراءات الآتية[١]:

١ـ تحرير التجارة وإزالة نظام التسعيرة

٢ـ خفضت الإنفاق الحكومي

٣ـ أدخلت الضريبة قيمة مضافة

٤ـ جعلت العملة قابلة جزئيا للتحويل

ولم تكتف الحكومة الروسية بهذه الإجراءات فحسب بل اتخذت الكثير من المواقف السياسية على الصعيد الدولي والداخلي استجابةً لمتطلبات الدول الغربية وبخاصة الولايات المتحدة لقاء وعد تلك الدول بتقديم القروض والمساعدات لها.

فعلى الصعيد الداخلي نجد ان روسيا انتقلت الى نظام التعددية السياسية والاقتصادية والى خفض الأسلحة الإستراتيجية وحرصت على ان تظهر كدولة تعمل من اجل السلام والأمن الدولي، كذلك استجابت لطلبات العالم الغربي للحد من تصدير الأسلحة الى الدول في العالم الثالث [٢].

من ناحية أخرى أنظمت روسيا الى صندوق النقد الدولي وقبوله بالشروط التي يضعها أمام السياسة الاقتصادية للدول المنظمة اليه ومن تلك الشروط اقامة سوق مستقر

---

(١) تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٣، برنامج الامم المتحدة الانمائي، بيروت، مركز الدراسات الوحدة العربية، ١٩٩٣، ص٦٣.

(٢) د. غازي فيصل حسين، السياسة الخارجية الروسية تجاه المشرق العربي بين الفاعلية والانكفاء، بحث ضمن كتاب العرب والقوى العظمى، مصدر سابق، ص١١٣.

والحد من التضخم وخفض العجز في الميزانية، فضلاً عن قيام الحكومة بتحويل الجمعيات العاونية الزراعية الى شركات مساهمة، الى جانب بيع حوالي ٥٠٠ مؤسسة ومعمل الى القطاع الخاص [١]. ان التحول الاقتصادي الذي تبناه الرئيس يلتسين والذي هو عبارة عن مزيج بين تحرير الاسعار والسوق والخصخصة واسعة النطاق قد جعلت ثروات البلاد تذهب الى صنف جديد من السراق الذين جمعوا ثرواتهم مستغلين سيطرتهم على الشركات المملوكة للدولة باساليب الرشوة والفساد[٢].

ان هذه التحولات لم تأت من فراغ إنما هي نتيجة فشل النظرية الاقتصادية في العهد الشيوعي وتعددت أشكال التحول من النظم السابقة الى النظم التي يتطلبها التحول الاقتصادي فبدلا من التخطيط المركزي عهد للقطاع الخاص بتنظيم الحياة الاقتصادية معلة بان من دون القطاع الخاص ومن دون دافع الربح ستنعدم الحوافز المالية والإدارية، الأمر الذي يتطلب التحول الى نظام السوق اللامركزي واستبدال الملكية العامة بالملكية الخاصة، مع التقليل من الإنفاق العسكري الذي امتص قدرا كبيرا من الناتج المحلي الإجمالي في العهد السوفيتي [٣].

رغم ما أبدته من موافقات على الكثير من الطلبات الدولية فضلا عَّما قامت به من إجراءات لم تنقذ الوضع الاقتصادي ولم تستطع الخروج من أزمتها الاقتصادية بل نلاحظ ان المؤشرات تدلل على تفاقم مشاكلها الاقتصادية. فظاهرة العجز المالي والتضخم المتزايد هي السمة الغالبة على تلك المؤشرات، فقد انخفض الإنتاج الصناعي بنسبة ٢٠٪ وتشير

---

(١) المصدر نفسه، ص١٢١.

(٢) هيرمان بيرتشنير والان بيرمان، روسيا منعشة، مجلس السياسة الخارجية الامريكية، ايلول ٢٠٠٤ من موقع على الانترنيت. *afpc@afpc.org*

(٣) جوزيف ستكلتز، العولمة ومساوئها، ترجمة فالح عبد القادر، بيت الحكمة، الطبقة الاولى ٢٠٠٣، بغداد، ص١٦٣.

التقديرات انه في العقد الاخير من القرن الماضي انخفض الانتاج الصناعي بنسبة ٦٠٪ وانخفض الانتاج المحلي بنسبة ٤٥٪ وانخفضت الثروة الحيوانية الى النصف اما الاستثمار في القطاع الصناعي متوقف تقريبا [١] ولم تستطع الحكومة الروسية من إيجاد بدائل لبعض الصناعات العسكرية، فضلاً عن انخفاض الصادرات بنسب كبيرة. واتسعت ظاهرة الفقر وانخفضت الأجور بأكثر من ٤٠٪ ليصل الأجر الشهري الى ١٠ دولارات عام ١٩٩٣ [٢].

في عام ١٩٩٥ ظهر عجز في الميزانية مقداره ١٤.٦ مليار دولار وهذا ما يعادل ٢.٩٪ من الناتج القومي وارتفعت نسبة العجز المالي الحكومي من ٠.٢٪ الى ٧.٣٪ عام ١٩٩٧ مع ازدياد ظاهرة التفسخ والفساد الإداري [٣]. هذه الظاهرة التي أحبطت كل محاولات الإصلاح فبدلا من السعي الى تنمية راس المال تحولت الى نهب راس المال عن طريق خصخصة القطاع العام فشركة النفط الروسية يكوس *YUKOS* والتي تقدر قيمة اسهامها بحوالي ٣٢ مليار دولار بيعت عام ١٩٩٥ لاصحابها بمبلغ ٣٥٠ مليون دولار [٤] كما بيعت شركتي بوكوس وسيبنفط بمبلغ ٢٥٩ مليون دولار في حين قيمتها المقدرة تصل الى ٣٦ مليار دولار بيعت بالسنة نفسها التي بيعت سابقتها [٥]. ذلك لان من وضع برنامج الإصلاح غاب عنه او غيب عنه ان الخلل الحقيقي وراء هذا التدهور في اقتصاد روسيا هو ليس قلة راس المال او الموجودات بقدر ما هو وجود السياسيين المحتكرين للسلطة

---

(١) المصدر نفسه، ص١٦٦.

(٢) تقرير التنمية البشرية، برنامج الامم المتحدة الانمائي، مصدر سابق، ص٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٦٦.

(٤) نشرة اخبار هولندا للاسبوع ٢٠٠٦/٨/٢٦ .٢٠.٣٤ موقع على شبكة الانترنيت
www.anba.iraqal.com

(٥) نقلا من موقع على شبكة الانترنيت *www.alitijahalakhar.com*

القادرة على استخدام نفوذها السياسي لزيادة رؤوس أموالهم حيث بلغت المليارات ولم تكتف هذه الفئة بجمع الأموال فحسب بل قيامهم بتهريب تلك الأموال الى خارج روسيا [١] وقد مارست هذه الفئة الكثير من الإجراءات التي تضمن تدفق الأموال إليهم والحيلولة من دون إصدار التشريعات القانونية والاقتصادية التي تسهم في تنمية اقتصاد روسيا فكان التحول الاقتصادي الذي حصل لم يكن مكتمل الجوانب حيث الى جانب تحرير الأسواق والدخول الى نظام السوق كان لابد من وجود ضمانات قانونية تكفل عمل رؤوس الأموال الأجنبية في العمل والاستثمار داخل روسيا، ونجد دور الفئة المتنفذة من القادة السياسيين واضحا عندما حررت اسعار جميع السلع باستثناء أسعار الموارد الطبيعية مما ترك العرض مفتوحا امام هذه الفئة حيث باستطاعتهم ان يشتروا من الدولة تلك الموارد الطبيعية (النفط) بالأسعار القديمة وهي بلا شك أسعار واطئة ومن ثم يمكنهم ان يبيعونها بالسعر التنافسي في السوق العالمية دون خرق للقوانين والتشريعات المتبعة في التسويق الأمر الذي ادى الى حصول هذه الفئة على الملايين والمليارات جراء هذا مستغلين سياسة الحكومة الخاطئة [٢]. ان ما حصل في روسيا بين تحرير الاسعار وعدم وجود مناخ استثماري جاذب هو بمثابة دعوة الى تهريب رؤوس الأموال (اذا بيعت الشركات للقطاع الخاص قبل إنشاء سوق راس مال كفوء في الداخل بطريقة تضع الملكية او السيطرة بأيدي أولئك الذين اقتربوا من السن التقاعدي فليس هناك حافز على إنشاء ثروة طويلة الأمد، وهنالك حوافز على نهب الموجودات واذا ما جرى التحول للقطاع الخاص قبل انشاء هيكل منظم وقانوني لتحمل المنافسة فهناك دوافع على إيجاد احتكارات وهنالك دوافع سياسية لمنع إقامة نضام منافسة فعال. واذا ما جرى التحول للقطاع

(١) جوزيف ستكلنتز، العولمة ومساؤها، مصدرسابق، ص١٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦٤.

الخاص في نظام فدرالي ولكنه يترك الدولة والسلطات المحلية حرة في فرض ضرائب وقيود حسب رغبتها فان لم يجر التخلص من قوة والدوافع الجهات الحكومية على انتزاع الريوع مما يعني انه لم تجر عملية تحول لقطاع الخاص البتة)[١].

كما ازدادت نسبة التضخم السنوي حيث بلغت ١٣١٪ في عام ١٩٩٥ الأمر الذي اثر على اسعار السلع والخدمات فارتفعت حوالي ٤٠ مرة، مع هبوط بسعر صرف الروبل الروسي أمام الدولار فبعد وصوله بحوالي ١٨٠ روبل لكل دولار أصبح في العام نفسه ٣٨٥٠ روبل لكل دولار، بل لم يتوقف الى هذا الحد وتدهور ثانية في عام ١٩٩٦ ليصل الى ٥٤٠٠ روبل لكل دولار[٢].

ونتيجة لهذه الأوضاع التجأت الحكومة الروسية الى الاقتراض والتي كانت تأمل في الخروج من أزمتها حين وصل الدين العام بحلول عام ١٩٩٨ الى اكثر من ١٢٣ مليار دولار وبهذا أصبحت روسيا ثالث اكبر دولة مدينة بعد المكسيك والبرازيل[٣].

وبعض المصادر تشير على ان الديّن العام يصل الى ١٩٤ مليار دولار[٤].

وعلى ضوء ما تقدم لا تأخذناالغرابة في ظهور مظاهر الفقر والتسول جراء البطالة التي تزداد نسبها حتى وصلت الى نسبة ١٤.٢٪ بحسب إحصاءات منظمة العمل الدولية، كما بلغت نسبة الفقر في روسيا بحسب تقديرات البنك الدولي ٤١٪ مما يعني ان نسبة الفقراء في المجتمع الروسي يصل الى حوالي ٥٠ مليون شخص، الى جانب ذلك ظهرت طبقة غنية

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٨٨.

(٢) فلاديمير بولشكوف، هل يمكن لروسيا ان تخرج من المديونية، من موقع الكاتب على شبكة الانترنيت. *www.interfax.news.com*

(٣) محمد جميل ابراهيم، العلاقات العراقية الروسية في عقد التسعينات، مصدر سابق. ص ٦٢

(٤) د. امال شلاش، الازمة الروسية تحليل في ضوء معطيات الاقتصاد السياسي، مجلة الحكمة، تصدر عن بيت الحكمة، بغداد، شباط ١٩٩٨، ص٥٩.

جدا تملك حوالي ٧٠ـ٨٠٪ من الثروة وهذه الطبقة تمثل حوالي ٠.٥٪ من المجتمع الروسي [١].

فضلاً عن ماتقدم ظهرت في المجتمع الروسي مظاهر الطبقية واللامساواة بين الأفراد، حيث تجاوزت روسيا اغلب الدول فأضحت الأكثر بين الدول التي تتميز بهذه الظاهرة والتي سوف تعيق النمو وتهدد بأجواء من عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي الى جانب ذلك شيوع ظاهرة الهجرة او الأمل بها وبخاصة بين الشباب[٢].

الى جانب ذلك فقد شاعت في المجتمع الروسي الامراض والجرائم الاجتماعية كالادمان والطلاق واللاجئون وارتفاع حالات الانتحار وتعد المشاكل الاقتصادية السبب الرئيس في انتاج تلك الظواهر، فقد انتشرت مظاهر الادمان على المخدرات والاتجار بها مع قصور في مكافحتها بسبب تنظيم العصابات المافيوية التي لها ارتباطات مع بعض أجهزة الأمن.

إزاء ذلك لم تحصل روسيا على القروض التي وعدت بها من قبل الدول الغربية سوى على ٢٤ مليار دولار أي ما يعادل ٥٠٪ من مجموع تلك الوعود [٣]. اما قيمة الاستثمار فبلغت حوالي ١١ مليار دولار [٤]. ان النتائج التي ظهرت تدلل على ان الرئيس يلتسين عند اتخاذه الاصلاحات المسماة العلاج بالصدمة قد ادت بتحويل ثروات البلاد الى صنف جديد من السراق الاثرياء مستغلين مواقعهم في ادارة الدولة، كما ظهر في المجتمع الروسي

---

(١) التقرير الاستيراتيجي العربي لعام ١٩٩٨، ص١١٤.

(٢) جوزيف ستكلتز العولمة ومساؤها، مصدر سابق، ص١٧٨. للمزيد انظر تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٧ حالة مراجعة التطور الانساني في الاتحاد الروسي.

(٣) د. غازي فيصل حسين، السياسة الخارجية الروسية تجاه المشرق العربي بين الفاعلية والانكفاء، مصدر سابق، ص ١٢١.

(٤) امال شلاش، الازمة الروسية تحليل في ضوء معطيات الاقتصاد السياسي، مصدر سابق، ص٥٩.

رجال اعمال عبر تنظيمهم شبكات الجريمة المنظمة وذلك لانهم من مسؤولي اجهزة المخابرات السابقة، وهذا ما عبر عنه الرئيس يلتسين حين قال عام ١٩٩٤ ان بلاده تحتوي على اكبر مافيا في العالم ووصف بلاده بانها قوة عظمى من الجريمة [١]. واثر ذل طغى على العملية الاقتصادية كساد هائل وتدهور بمستويات المعيشة للمواطنيين وبخاصة المتقاعدين المسنين، فضلا عن ارتفاع في نسبة الطلاق ولانتحار والهجرة [٢].

ازاء ذلك قامت الحكومة الروسية عام ١٩٩٧ بتعويم العملة وادخل الاقتصاد الروسي الى النفق المظلم بعد امتناعها عن سداد الديون الداخلية مما تدهورت قيمة العملة الروسية كثيرا فخلال نصف سنة هبطت قيمة الروبل من ٤.٦ امام الدولار الى ٢٠ مما يعني خفض قيمة العملة حوالي ٣٠٠٪ ليصل التضخم الى حوالي ٨٥٪ حيث ادى ذلك الى تضخم الديون وتدنت القوة الشرائية الامر الذي جعل البنوك غير قادرة على الوفاء بالتزاماتها وبالتالي فقدت الثقة بها، وفي عام ١٩٩٨ انهارت بورصة موسكو.

استمرت الازمة الاقتصادية تجتاح المفاصل الرئيسة في الاقتصاد الروسي حتى حلول عام ١٩٩٩ عندما ظهر على الساحة السياسية فلاديمر بوتين [٣] وتبنيه الإصلاحات

---

(١) هيرمان بيرتشنير والان بيرمان، روسيا منعشة، مجلس السياسة الخارجية الامريكية، مصدر سابق *afpc@afpc.org*

(٢) تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٦/روسيا الاتحادية. من موقع على شبكة الانترنيت *www.un.org*

(٣) فلاديمير بوتين، ولد عام ١٩٥٢/١٠/٧ حصل على بكلوريوس قانون عام ١٩٧٥ ثم حصل على الدكتوراه اقتصاد. من عائلة تؤمن بروسيا موحدة وقوية ولها تطلعات وامل بالعودة الى تاريخ روسيا القيصرية وهو الروسي القومي المتشدد المغرم ببطرس الكبير حيث يحتفظ بصورته بمكتبه كما منح لابنته اسم كاترينا، يتميز بشخصية غامضة ومتناقضة عمل في جهاز الاستخبارات السوفيتي (الكي جي بي) لمدة اكثر من خمسة عشر سنة حيث عمل بصفة جاسوس في المانيا في حقبة الحرب الباردة، عام ١٩٩٦ اصبح نائب عمدة مدينة بطرسبرج، عام ١٩٩٨ اصبح مسؤلا عن الامن الاتحادي (اف اس بي) الوريث ل (كي بي جي) ولاه الرئيس يلتسين رئاسة الوزراء في اب من عام ١٩٩٩، في مطلع

الاقتصادية والسياسية في البلاد فبدأت المؤشرات تظهر خطوات النمو وعلى مختلف الصعد. ففي الفترة الممتدة من عام ٢٠٠٠ الى عام ٢٠٠٢ نلاحظ ان الناتج المحلي يرتفع بنسبة ٢٠٪ كما زاد حجم الاستثمار في المشاريع البنية الأساسية لنفس الفترة بنسبة ٣٠٪ اما الإنتاج الصناعي فتظهر المؤشرات ان الزيادة تصل الى ٢٠٪ وفي قطاع تكنولوجيا المعلومات فقد نمى هذا القطاع بنسبة ٣٠٪ وارتفع حجم تشييد المساكن بنسبة ١٠.٨٪ فضلا عن ذلك فان روسيا لم تعد تستورد الحبوب وارتفعت مداخيل المواطنين لذات الفترة بمقدار الثلث [١]. كما تظهر البيانات ان مستوى النمو في ازدياد في العام ٢٠٠٣ فنجد ان الناتج المحلي زاد بنسبة ٧.٣٪ عن الفترة السابقة وفي الانتاج الصناعي زاد معدل النمو بنسبة ٧٪ وفي قطاع تشكيل المعادن فبلغت الزيادة ١٠.٩٪ اما معدل النمو في قطاع الوقود فبلغ ٩.٤٪ وصناعة الحديد ٨.٩٪ وصناعة الآلات والمكائن فبلغت ٨.٥٪ وفي مجال الاستثمار فقد بلغ لهذا العام نسبة ١٢.٥٪ مقابل ٢.٦٪ لعام ٢٠٠٢ كما ارتفع حجم الاستثمار الأجنبي بنسبة ٥٠.١٪ عن مستواه لعام ٢٠٠٢ ووصل حجم رؤوس الأموال الأجنبية المستثمرة حوالي ٥٧ مليار دولار وبزيادة تقارب ٣٣٪ عن عام ٢٠٠٢ كما

عام ٢٠٠ تولى الرائسة الروسية بالوكالة بعد استقالة يلتسين، وفي اذار من نفس العام انتخب رئيسا للبلاد، بسعى الاعادة الكبرياء والامجاد المفقودة من الكيان الروسي، نال على شعبية واسعة بفترة محدودة وذلك لتصديه بحزم المقاتلين في الشيشان، يعتقد الكثير من الروس انه قادر على الاتيان بالحلول لمواجهة المشاكل التي تمر بها روسيا وذلك لتاريخة في مجال الامن. تظهر المؤشرات ان التدهور الذي يجتاح روسيا بدا بالانحسار وان معدلات النمو في مختلف المجالات قد غيرت في الكثير من القناعات في قدرته على السيطرة على الحكم. يحاول العودة بروسيا الى الساحة الدولية وبفعالية والى اجواء التنافس النتكافئ مع الولايات المتحدة حين اعلن عن امتلاك روسيا لصاروخ (الشيطان) الذي يتميز بانه قادر على الوصول الى الاهداف الامريكية وعلى مدنها دون قدرة السلاح الامريكي للتصدي له وبهذا يعيد الى زمن الصراع التسلحي بين روسيا والولايات المتحدة.

(١) هيرمان بيرتشنير والان بيرمان، روسيا منعشة، مجلس السياسة الخارجية الامريكية، مصدر سابق. *afpc@afpc.org*

انخفض معدل هجرة رؤوس الاموال من روسيا الى ٢.١ مليار دولار في السنة حيث كانت الاموال المهجرة او المهربة تقدر بحوالي ٣٠.٢٠ مليار دولار سنويا قبل عامين او اكثر اما مداخيل المواطنين فارتفعت الى نسبة ١٤.٥٪ عن عام ٢٠٠٢ فصلا عن انخفاظ معدل التضخم ليصل الى ١٢٪ بعد ان كان ٢٠٠٢ بنسبة ١٥.١٪ و ١٨.٦٪ لعام ٢٠٠١ و ٢٠.٢٪ لعام ٢٠٠٠ و ٣٦.٥٪ لعام ١٩٩٩[١]. الى جانب ذلك فقد حقق ميزان التجارة الخارجية في عام ٢٠٠٣ فائضا مقداره ٥٩.٦ مليار دولار كما ارتفعت الصادرات الروسية بنسبة ٢٥.٣٪ حيث بلغت حوالي ١٣٤.٤ مليار دولار، واعتبرت روسيا من اكبر الدول المصدرة للطاقة عام ٢٠٠٢، كما اظهرت الاصلاحات نتائج من خلال توفير حوالي ١٠٠ مليار دولار احتياطيات العملة الصعبة للعام نفسة [٢] ويبدو ان معدلات النمو تشهد ارتفاعاً في مختلف المجالات في الأعوام التي تتجاوز فترة بحثنا [٣].

من خلال استعراض المؤشرات نجد ان الرئيس بوتين فد فطن الى مواطن الضعف في الجسد الروسي وركز سياسته الخارجية على محورين استراتيجيين اولها اخراج روسيا من ازمتها الاقتصادية التي تمر بها وثانيا بناء دور خاص لروسيا على الصعيد الدولي والذي كان بوتين يرغب في تحقيقهما معا، فبتدا بمعالجة الواقع الاقتصادي وكان لابد ان يصطدم بالنخب المسيطرة على الثروات وهي ما تسمى ب (الاولغاركية) والتي جمعت ثرواتها بطرق غير شرعية وتتميز تلك النخب بالفساد ولها من القوة ما يمكنها من السيطرة حتى على القرار السياسي [٤] حيث عمل وقبل ان يتولى رئاسة الدولة العديد من الاجراءات التي

---

(١) المصدر نفسه. *www.riau.ru*

(٢) هيرمان بيرتشنير والامن بيرمان، روسيا منعشة، مجلس السياسة الخارجية الامريكية، مصدر سابق. *afpc@afpc.org*

(٣) للمزيد انظر المصدر نفسه.

(٤) شيرين حامد فهمي، مركز الامارات للدراسات والبحوث، على موقع المركز في الانترنيت، ٢٠٠١/٢/١٢. *www.acssr.ac.ae*

تصب في خطط الإصلاح التي تبناها حيث ظهرت تلك الخطط حال تسلمه المسؤولية فبعد اقل من أربعة أيام من حلوله رئيسا بالإنابة قام بعزل ابنة الرئيس السابق من مناصبها حيث كانت تعمل بصفة مستشار خاص للرئيس، كما قام بفصل عدد من المسؤولين المساعدين للرئيس السابق من مناصبهم [١]، كذلك قام بعزل عدد آخر من المسؤولين المتهمين بالفساد مثل مدير منشأت الكرملن ووزير السكك الحديدية النائب لرئيس الوزراء الموالي للرئيس السابق كما قام بتغيير وزاري اذ عين اثنين من الموالين له نائبا لرئيس الوزراء [٢]. فلا غرابة من كشف تنظيم يهدف الى زعزعة حكم بوتين يموله رجال الاعمال المتخاصمون مع الكرملين[٣] وحيث ان بوتين رجل مخابرات فهو قادر على كشف الانحرافات والفساد داخل المؤسسة الحاكمة مستعينا بالعديد من رفاقه في الأجهزة الأمنية فخلال ثلاثة اعوام من حكمه يظهر ان حوالي ٦٠٪ من المسؤولين في الموقع المهمة هم رجال الكي جي بي[٤]. ادرك الرئيس بوتين ان الارتقاء بالواقع الروسي يمر عبر التخلص من مشاكل بلاده الداخلية والمتمثلة بالصراع في الشيشان فضلا عن التصدي لمظاهر الترهل والفساد، وقد دعى في الكثير من المناسبات الى الحزم في معالجة القضية الشيشانية لتتمكن روسيا من اجتذاب الاستثمار الاجنبي كما طلب الدعم الغربي في حملته في تلك المنطقة والوصول الى الاستقرار السياسي الأمر الذي يجعل من روسيا مكانا آمنا للاستثمارات الأجنبية[٥].

---

(١) هيئة الإذاعة البريطانية *bbc* ٢٠٠٠/١/٣. موقع على الانترنيت *www.bbc.com*

(٢) المصدر السابق ٢٠٠٠/١/١٠. *www.bbc.com*

(٣) د. عاطف معتمد عبد الحميد، انقلاب اسيا الوسطى ارادة الشعوب وارادة واشنطن، نقلا عن صحيفة زافترا، من موقع على شبكة الانترنيت *www.aljazeerah.net*

(٤) هيرمان بيرتشنير والامن بيرمان، روسيا منعشة، مجلس السياسة الخارجية الامريكية، مصدر سابق *afpc@afpc.org*

(٥) المصدر السابق ٢٠٠٠/٢/٨. *www.bbc.com*

الى ذلك فان الرئيس بوتين مع مجموعته لازالت تتطلع الى اعادة مكانة روسيا كإمبراطورية عظمى وراح بهذا الاتجاه عن طريق تمرير التشريعات من خلال الدوما وعبر الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية كما استطاع خلق هذا الشعور المتعاظم لدى الشعب الروسي من خلال استطلاع للرأي العام حول إمكانية إعادة اكرانيا وبيلاروسيا الى روسيا الموحدة، وفي ضوء هذه المؤشرات فقد أصدر الدوما قانونا يمنح الجنسية الروسية الى الروس الذين يعيشون خارجها وان تكفل بالدفاع عنهم خارج حدودها والذي يسمى (المجال الحيوي) وكان رائد هذا المذهب هو ايفانوف وزير الدفاع والذي سمي المذهب باسمه، كما استطاعت روسيا في عام ٢٠٠٣ من تاسيس كتلة اقتصادية موحدة ضمت الى جانبها كل من كازاخستان واكرانيا وبيلاروسيا تهدف خلق توازن اقتصادي ازاء الاتحاد الاوربي.

وتحقيقا للامل بوصول روسيا الى سابق عهدها وجراء السياسة المتبعة ازاء الدول في رابطة الدول المستقلة عملت روسيا الى فرض سياستها على تلك الدول من خلال سيطرتها على العديد من القطاعات المهمة فنجد ان روسيا تسيطر على قطاع الكهرباء في ارمينيا وعلى صادرات الغاز في جورجيا كما لها ادوار في نظام الحسابي والطاقة في كازاخستان فضلا عن لعب دور رئيس في السياسة العامة في اذربيجان [١]. ولم تكتف القيادة الروسية بهذا بل ذهبت الى ابعد من ذلك حين سعت الى تقوية علاقاتها مع الدول الرئيسة في اسيا تهدف الى خلق حالة من التوازن بينها وبين النفوذ الغربي وبخاصة الامريكي ففي عام ٢٠٠١ قام الرئيس بوتين بتوقيع اتفاقية صداقة وتعاون مع الصين تهدف الى تحديث الصناعة العسكرية الصينية الى جانب تسهيل حركة (البي أر سي) وهو

(١) هيرمان بيرتشنير والان بيرمان، روسيا منعشة، مجلس السياسة الخارجية الامريكية، مصدر سابق

afpc@afpc.org

الجهاز الامني البديل للكي جي بي داخل اسيا الوسطى اذ تعد هذه الاتفاقية العودة على الحلف القديم بين الدولتين الموقع عام ١٩٥٠[١]. كذلك سعت روسيا الى توثيق العلاقة مع الهند عبر الاتفاقية المشاركة الاستيراتيجية الموقعة بينهما عام ٢٠٠٠ والتي تم بموجبها الاتفاق على قيام روسيا بتصدير السلاح الى الهند بقيمة ٣١ مليار دولار فضلا عن ذلك تزويد روسيا للهند بمادة اليورانيوم في مجال الطاقة الذرية [٢].

خلاصة القول ان التعاش الاقتصادي والسياسي لم يات من فراغ بل من تظافر مجموعة من العوامل نستطيع ان نؤشرها بالاتي:

١ـ ارتفاع معدل تجارة السلاح حيث تحتل روسيا المرتبة الثالثة في تصدير السلاح بعد الولايات المتحدة وبريطانيا. ففي عام ٢٠٠٢ صدرت رروسيا من المعدات العسكرية ما قيمته ٤.٨ مليار دولار وهو رقم قياسي لفترة ما بعد الاتحاد السوفيتي لهذا يشير ميخائيل ديمترييف رئيس اللجنة الخارجية للتعاون العسكري والتكنولوجي اذ يعتقد ان صادرات روسيا من السلاح في ارتفاع نظرا الى الطلب المتزايد فمنذ عام ٢٠٠٠ ومبيعات السلاح الروسي في زيادة مستمرة حيث تؤلف صادراتها بنسبة ٢٦٪ من حجم سوق السلاح العالمية[٣] كما عد معهد السلام الدولي في استوكهولم روسيا اول دولة مصدرة للسلاح في العالم [٤].

٢ـ ارتفاع اسعار النفط وتشير البيانات ان روسيا باعت حوال ٦٤٠ مليار دولار عام ٢٠٠٢ ويتوقع ان يصل الانتاج الروسي عام ٢٠٠٣ الى حوالي ثمانية ملايين برميل / يوم

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) العلاقات الروسية الهندية مرحلة العلان الاستراتيجي، ترجمة ستار جبار الدليمي، محطات استيراتيجية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد ٦٧ ص٤.

(٣) اللواء الدكتور علي محمد رجب، ملامح الانفاق العسكري العالمي تجارة السلاح، مجلة الحرس الوطني، عدد ٢٧٣ في ٢٠٠٥/٢/١، من موقع على شبكة الانترنيت. *www.alaalam.com*

(٤) نقلا عن *BBC* روسيا دولة مصدرة للسلاح، ٢٠٠٣/٣/٢٩. *www.bbc.com*

اذ تحتفظ روسيا باحتياطي من النفط بحوالي ٤٨ مليار برميل أما احتياطها من الغاز فيبلغ حوالي ٤٧ تريليون متر مكعب [١].

٣ـ تحشسن اباداؤة اباثتضادسة من خلال اعتماد بوتين على عدد من الليبرالين لادارة الاقتصاد فضلا عن استحداث جملة من التشريعات التي تهدف الى خفض الانفاق العام وخلق مناخ يخدم الاستثمار الاجنبي والمحلي كما سنت القوانين التي تسمح ببيع الاراضي الزراعية والقوانين التي تتعلق بالضرائب وتشجيع المواطنين على سداد ضرائبهم عن طريق تحديد تلك الضرائب بنسب يستطيع المواطن من الوفاء بها والحد من التهرب من تسديدها[٢] حيث تفرض روسيا على مواطنيها اقل ضريبة دخل في اوربا ويبلغ سعر الضريبة على دخول الافراد ١٣٪ [٣].

من خلال هذه الاجراءات استطاعت روسيا وبشكل تدريجي ان يخرج من ازمته الاقتصادية الحادة التي عصفت بالبلاد لغاية حلول عام ١٩٩٩ ويتطلع الى افاق عريضة تؤكدها البيانات وحجم المشاريع وقد اشار الى تلك البيانات تقرير التنمية البشرية للسنوات التي تلت الازمة مع هبوط بنسبة الدين الخارجي للناتج المحلي اذ وصل الى ٩٠٪ عام ١٩٩٨ ليصل عام ٢٠٠٤ الى نسبة ٢٨٪ من الاحتياطات للعملة الاجنبية من ١٢ مليار دولار الى ٨٠ ميار دولار، كما زاد الناتج المحلي الى ٩.٥٪ ونما الانتاج الصناعي الى ٧.٨٪ز وفي القطاع المصرفي فقد اعيد الى البنوك الروسية ثقة المواطنيين ويلاحظ ان

---

(١) فيتالي نعومكن، الدور الروسي المتنامي في اسواق النفط والغاز / الاهداف الاستيراتيجية وخيارات السياسة المستقبلية، ورقة عمل مقدمة الى المؤتمر السنوي التاسع للطاقة المنعقد في الامارات العربية المتحدة، تحقيق على الزكري. تشير البيانات ان روسيا تتقدم الدول من حيث الاحتياط الغير المؤكد والثانية بالاحتياط المؤكد، للمزيد انظر *Oli&Gas jurnal.U.S.Goological survey. Britannica.*

(٢) روسيا اليوم، حقائق ووقائع على ضوء نتائج عام ٢٠٠٤، موقع علشبكة الانترنيت. *www.riau.ru*

(٣) المصدر نفسه *www.riau.ru*

اكبر بنك في روسيا وهو بنك التوفير اصبح يعادل اربعة اضعاف نمو المداخيل في البلاد[١].

على العموم فان الأزمة الاقتصادية في روسيا كما أسلفنا هي لم تكن بأزمة تقليدية او اعتيادية بل هي أزمة سياسية وتاريخية وقيّميّه اثرت وتاثرت من اغلب المجتمع الروسي بين مؤسول وأفراد وجماعات ومنظمات عبر شعور تراكمي مختزن مملوء بالتمرد والتذمر والكبت، تلك المحصلة ما جاءت الا لسوء ادارة الدولة في العهد السوفيتي، فالازمة الاقتصادية الروسية لا تختلف عن مثيلاتها في دول العام من حيث الشكلية او من حيث نتائجها لكنها تختلف تمام الاختلاف عن باقي الازمات من حيث العوامل المؤثرة، فإمكانيات روسيا الاقتصادية قد استعرضناها ونعتقد ان اجتماع هذه الإمكانيات مع هذه الازمة في مكان واحد هو امر شاذ وغير طبيعي. وقد نختلف عن الكثير من الذين يعللون الأزمة بأنها نتيجة الضغوطات الخارجية التي تعرض لها الاتحاد السوفيتي اوما آلت اليه الحرب الباردة وما رشح عن صراع الشرق الاشتراكي مع الغرب الرأسمالي، وأسباب خلافنا هو ان الضغوطات الخارجية لم تسلم منها أية دولة ان كان في محيطها الإقليمي او الدولي ولهذا فادول لن تقف صامتة وعاجزة عن الوقوف امام تلك الضغوطات، ولا اجد في هذا سوى تبرير لفشل لسياسة الدولة الداخلية والخارجية. فكيف وان الدولة المعنية هو الاتحاد السوفيتي. وان إدارات الدول تدرك ان ثمة تدخلات تسعى الى خلق بؤر قلقة داخل كياناتها وتتصرف وفق هذا الإدراك، وقد يذهب البعض ويصور العلاقات الدولية على انها علاقات تعاوينة حسنة النية تأسست على مبادئ سامية كعدم التدخل في الشؤون الداخلية او الجوار الحسن او المنافع المتبادلة، ونعتقد ان من يذهب الى هذا التصور كمن يعدو الى سراب، لان واقع العلاقات اثبت هشاشة هذه التصورات، بل ان اغلب الدول تعمل عكس هذه التصورات وبأساليب ملؤها الحذر والريبة إزاء الدول الأخرى طالما

---

(١) المصدر نفسه، *www.riau.ru*.

المصلحة (المنفعة) هي نقطة التقاء بين الدول،وقد ظهرت الكثير من الوثائق والمعاهدات والمكائد واعمال التجسس تصب فيما ذهبنا اليه، وعلى فرض صحة ما خالفناهم الرأي حول التدخل الخارجي. الأمريكي في السعي الى إنهاء الدور السوفيتي او الروسي على الصعيد الدولي وإغراقه في مشاكل داخلية فقد أتت هذه التدخلات نتائجها، فلنا ان نتساءل اين التدخل الأمريكي في الحيلولة دون توحيد ألمانيا والتي لاتقل أهمية من الاتحاد السوفيتي؟، نعم ان الدول بمختلف الاحجام تسعى وبشكل حثيث لاضعاف الدول الاخرى ومن اجل ذلك فهي تسخر الكثير من الإمكانيات المادية والتقنية لتحقيق ذلك الغرض، اما ان تستثمر هذه الدولة او تلك المشاكل والازمات التي تحل في هذه الدولة او تلك فهذا حق طبيعي لها، وهذا ما فعلته الولايات المتحدة عندما استثمرت تداعيات الأزمات التي مرت وتمر بها روسيا، لكن يبقى الفعل الفيصل في الأحادث هو حسن إدارة تلك الدولة وبخاصة في الشأن الداخلي فأمنها القومي يبدا من الداخل عبر الوسائل المتعددة كاحترام حقوق الإنسان واطلاق الحريات العامة بما فيها حرية الرأي والعبادة والتحزب، مع خلق وشيوع ثقافة الحوار والديمقراطية والشفافية في إدارة الدولة وغيرها، مما سوف تخلق شعبا متماسكا عصيا على كل المخططات التي تريد النيل منه.

خلاصة القول ان الأزمات التي تمر بها روسيا اليوم ما هي الا لعوامل داخلية محضة قد عرجنا على اغلب أسبابها سابقا، ونشير الى ان المجتمع الروسي يتحمل المسؤولية الكاملة متمثلة بمؤسسات المجتمع المدني عما يمر به الان، متى ما انتمى للهوية الروسية ومتى ما استطاع يتوحد رغم تعدد الاعراق وان يجعل من تنوعه مصدر قوة، واعتقد ولست هنا في محل المنظر للروس فامام القادة الروس فرص كبيرة للارتقاء والنمو مستثمرين عناصر القوة كافة بشرية كانت او مادية.

٢ـ الأزمة الشيشانية

تقع الشيشان في منطقة جبال القوقاز حيث تحدها مقاطعة داغستان من الجنوب الى شمالها مرورا بحدودها الشرقية وتلتقي مع مقاطعة ستفروبول في حدودها الشمالية الغربية كما تحدها من الغرب مقاطعة انكوشيتيا اما من الجنوب الغربي فتحدها دولة جورجيا وهي الجهة الوحيدة التي تطل على دولة خارج الكيان الروسي. تتميز ارض الشيشان بوفرة الاراضي الزراعية وتخترقها الكثير من الانهر المحلية ويعد نهر تريك من اعظم انهارها [١].

يبلغ عدد سكانها ما يقارب مليون ونصف المليون اما التركيبة العرقية لهذه المنطقة فهي تحتوي على الكثير من القوميات حيث يؤلف الشيشان ٥٣٪ والانكوش حوالي ١٩٪ ومن الروس ٢٣٪ والباقي هم من الارمن والتتارين واكرانيين [٢]، اما مساحتها فتبلغ حوالي ١٩.٣٠٠ كم٢، ويتدين الشيشانيين بالدين الاسلامي وعلى المذهب الشافعي حيث دخل الاسلام الى هذه الدولة قبل اكثر من الف عام عن طريق التجار العرب، ويتميز الشيشانيون بتمسكهم الشديد بالدين الاسلامي ويحترمون رمومهم الدينية ويغلب على معظمهم النزعة الصوفية والتي كانت السبب الأكبر في مقاومتهم للاحتلال الروسي منذ القدم [٣] ويعد الشعب الشيشاني من الشعوب العريقة والقديمة فقد كانت دولة الشيشان ضمن مملكة سيرير ثم أصبحت فيما بعد من مملكة الانيا بعدها اضحت من مملكة سمسم، اما اللغة الشيشانية فهي من اللغات القديمة تمتد من العصر الحجري

(١) اطلس العالم، قرص مدمج، مصدر سابق.

(٢) علي الزكري، الشيشان والاختيار الصعب العودة الى الحضيرة موسكو ام حرب اهلية، مجلة قضايا دولية، اسلام اباد، السنة الخامسة، العدد ٢٤٤، ايلول ١٩٩٤، ص١٩.

(٣) د. حمزة زوبع، الشيشانيونززز الحرية او الموت. من موقعه على شبكة الانترنيت

وانحصر تداولها فقط بالشيشانيين، حافظ نظام العشائر السائد في هذه المنطقة على طبائعهم وما يميز هذه الطبائع من خصال حميدة منها صلة الرحم التي يتميز بها اهل هذا البلد فضلا عن العادات والتقاليد التي حرصوا على التمسك بها كالكرم والاخلاص والصداقة والوفاء لذا فانهم يقولون. من الصعب ان تكون شيشانيا. لما ما يميز هذه العادات من صرامة عند تطبيقها، كما عرف عن الشيشانيين بأنهم شجعان أقوياء [١].

تعد منطقة الشيشان من المناطق المهمة من حيث الثروات والموقع والتي حرص القادة الروس منذ القدم على السيطرة عليها لهذا فان اغلب القادة الروس حاول اخضاعها لسلطانه، فقد تعرضت منذ القرن السابع عشر الى هجمات روسية تهدف الى ضمها ففي عام ١٧٨٥ قام قيصر روسيا كاترين الكبير بضمها الى اراضي دولته في موقعه عند نهر السونجا[٢]، كما شهدت حربا عام ١٩١٧ـ١٩١٩ للغرض ذاته، كما تعرضوا الى هجمة من قبل ستالين ١٩٤٤ـ١٩٥٧ حيث اخرجوهم من ديارهم ووضعوا بمعسكرات جماعية عرفت بمعسكرات الإبعاد الجماعي [٣].

تعد منطقة الشيشان من المناطق الغنية بالنفط اذ تزود روسيا بحوالي ٣٥٪ من انتاجها من هذه المادة [٤] وتوجد فيها محطات تكرير النفط وتعد من المنتجين الرئيسين في روسيا لهذه المادة، كما تعد ثاني اكبر احتياطي من النفط بعد أذربيجان، وتوجد في أراضيها الكثير من خطوط نقل النفط الرئيسة، لذا تعد الحرب الأخيرة التي يشنها الجيش الروسي هو

---

(١) المصدر نفسه. *www.chehenoline.com*

(٢) حمزة زوبع، مستقبل الشيشان، موقعه في الانترنيت *www.islamonline.net*

(٣) حمزة رزبع، الشيشانيون... الحرية او الموت. موقعه في الانترنيت، مصدر سابق.
www.chehenonline.com

(٤) عبد الكريم حمودي، الصراع الدولي على اسيا الوسطى، مجلة قضايا دولية، اسلام اباد، العدد ٣٠٤، تشرين اول ١٩٩٥، ص٢٠.

تامين مسار هذه الخطوط والسيطرة على مصافي النفط [١].

بعد تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ وقيام الكثير من دول الاتحاد بإعلان استقلالها عن الاتحاد طالبت القيادة في الشيشان باستقلالهم اسوة بباقي الدول وذهبوا ابعد من ذلك عندما وضعوا دستورا لهم معلنين عن استقلالهم عن الاتحاد السوفيتي ورفضوا التوقيع على دستور الفيدرالية الروسية عام ١٩٩٢ باعتبار ان الامر لايعنيهم كونهم دولة مستقلة[٢] هذه الاجراءات وتلك الطلبات لم تكن مرغوبا بها لدى القادة الروس للاسباب التي اوردناها فضلا عن خشية القادة الروس من مطالبة باقي المناطق بالاستقلال وبالتالي سوف ينفرط العقد الروسي فكان لابد من المعالجة بشكل لا يشجع الاخرين على المطالبة بالانفصال حيث تعد منطقة الشياشان اهم حلقة في العقد الروسي وفي حال تمتعهم بالانفصال سوف تتداعى الانفصاليات عن الاتحاد الروسي، وقد حذر النائب في البرلمان فكتور اليوشن حين قال (ان استقلال الشيشان عن روسيا يعتبر كارثة وان العواقب ستكون وخيمة جدا في حال استقلال جمهوريات الجنوب مثل روستوف واستراخان وبهذا تنقطع روسيا عن الموانئ في البحث الاسود وبحر قزوين وتعود الى القرن السادس عشر ابان عهد ايفان الرهيب)[٣] امام هذه المعطيات كان لابد من الوصول الى التصادم ففي كانون الاول من عام ١٩٩٤ وصل الأمر الى إعلان الحرب في هذه المنطقة، ورغم ان الحرب كانت حرباً داخلية تهدف الى المحافظة على وحدة الدولة الا انها أخذت منحى دولي فقد ساهمت دول أخرى في إدامة الصراع مستغلة الطابع الديني مما

---

(١) سميع عبد الفتاح، انهيار الامبراطورية السوفيتية نحو نظام عالمي جديد احادي القطب، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٦، ص٢٠٧.

(٢) د. عاطف معتمد عبد الحميد، المقاومة الشياشانية... روعة النجاح ام رقصة الطائر الجريح، ١٢/٨/٢٠٠٣. موقعه على شبكة الانترنيت *WWW.ISLAMONLINE.NET*

(٣) جريدة العرب العالمية، العدد ٥٧٧٤، ٧/١٠/١٩٩٩.

حدى ببعض الجماعات من مساعدة المقاتلين الشيشانين في قتالهم وقد وقع بعض منهم في الأسر ونقلا عن صحيفة ازفسيتيا الروسية بان الشيشان أصبحت مركزا للمنظمات الإسلامية المتطرفة مثل الذئاب الرمادية وحماس والاخوان المسلمين. كذلك فان بعض الدول القليمية او العظمى ساهمت في تأجيج الصراع وإدامته بغية إرهاق الدولة الروسية في مشاكلها وابعادها عن التدخل في القضايا الدولية وأضعافها للحيلولة دون تمكنها من استعادة دورها الدولي وانفراد الدولة الأكبر في العالم الولايات المتحدة من إنجاز مشاريعها في العالم من دون معارضة او اقتسام وبخاصة في الشان العراقي وبعض القضايا الدولية مثل كوسوفو وتوسع حلف شمال الأطلسي. امام هذه التدخلات كان لروسيا ان تقف موقفاً صريحاً من الدول التي تتدخل في هذه الأزمة فقد حذر الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الروسية من إجراءات جوابية (مكافئة تتخذها موسكو في حالة إقامة دولة أجنبية علاقات مع غروزني)[١].

حاولت القيادة الروسية ان تظهر ان النزاع القائم في الشيشان هو امر داخلي يهدف الى المحافظة على وحدة البلاد من دون استعداء للعالم الاسلامي حيث اوضحت ذلك في الكثير من المواقف مع الدول الاسلامية وذكرت ان روسيا وقفت بجانب المسلمين في قضية مسلمي اقليم ابخازيا في صراعها مع السلطات الجورجية [٢].

بعد صراع دموي تم التوصل الى اتفاقية سلام في أب من عام ١٩٩٦ بين الحكومة والقادة الشيشانين سمي باتفاقية كاسيافورت والذي أرجأ بموجب هذه الاتفاقية طبيعة العلاقة بين روسيا والشيشان لمدة خمس سنوات. كما تم بموجب الاتفاقية سحب الجيش الروسي من الشيشان. وفي تشرين الثاني من عام ١٩٩٦ اصدر الرئيس يلتسين مرسوما

---

(١) جريدة الحياة، العدد ١٢٤٧٨ في ١٩٩٧/٤/٢٩.

(٢) لمى مضر الامارة، سياسة روسيا الاتحادية اتجاه دول الخليج العربي مصدر سابق، ص٥٨.

رئاسيا بحسب القوات الروسية من الشياشان كما حدد موعدا ٢٧ كانون اول من عام ١٩٩٧ لاجراء الانتخابات.

ان ضراوة الصراع وما نتج عنه من تدمير في البنى التحتية الشيشانية وتدمير مدينة غروزني قد قلل من فرص المطالبة بالانفصال لدى العديد من الأقاليم الروسية الطامحة في الاستقلال وهذا بحد ذاته اهم نتيجه خرجت به القيادة الروسية وان اقدامها على التوصل الى تلك الاتفاقية ما هو الا إعادة تنظيم وتقييم وفي حال عدم قناعة الشيشانيين من ان منطقتهم هي جزء من التحاد الروسي سوف تلجا الحكومة من جديد الى إعلان الحرب[١]. بعد انسحاب الجيش الروسي اصبحت مناطق الصراع خارجة عن السلطة المركزية مما ادى الى تدفق المقاتلين المسلمين من أصقاع العالم الإسلامي وبدأوا التعرض للقوات الروسية خارج منطقة الشيشان أوقعوا الكثير من الإصابات الامر الذي دعا القيادة الروسية الى التدخل من جديد في إقليم الشيشان في أيلول من عام ١٩٩٩ وفي هذه الحملة أعلنت الحكومة الروسية ان القادة الشيشانيين (اصلان مسخادوف الذي وقع اتفاقية السلام عام ١٩٩٦) بانهم عصابة ارهابية ولا تفاوض معهم مما يعني فض الاتفاقية وعدم التمسك ببنودها فضلا عن ذلك فان روسيا اتهمت المقاتلين بتلقيهم الدعم المادي والتمويل من دول إسلامية كالسعودية والكويت وقطر وغيرها كما لها تمويل من بعض المنظمات الإسلامية المتشددة في باكستان وتركيا وأفغانستان، الأمر الذي نفته السعودية [٢].

ونعتقد ان الاتهامات الروسية لبعض الحكومات الاسلامية المساهمة بدعم المقاتلين لا تخلو من الواقعية فليس من الغرابة القول ان داخل الحكومات المتهمة توجد تيارات واجهزة على شكل مؤسسات دينية او اجهزة امنية تحاول تنفيذ اهدافها ولو على حساب

---

(١) التقرير الإستراتيجي العربي لعام ١٩٩٦، مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية بالاهرام، ص٩١.

(٢) جريدة العرب العالمية، العدد ٥٧١٢، ١٩٩٩/٩/٢١.

المصالح العليا للبلاد وقد تتخذ تلك المواقف شكل صراع داخلي تنفيذا لارادات مختلفة ويمكننا القول ان داخل بعض الحكومات حكومة مضادة لها لهذا نجد ان المواقف الرسمية تتقاطع مع المعطيات الاخرى وقد تدرك بعض الحكومات الحرج الذي تقع فيه إزاء هذا التناقض بين ما تعلنه وما بين ما تتلمسه من ادلة على تورطها في هذه الحرب او سواها حيث ان بعض تلك الحكومات لا تستطيع ان تقف موقفاً حازما من الجهات التي تتصارع معها داخل كياناتها كما لا تستطيع ان تعلن مناصرتها للمقاتلين لانها تدرك مدى ارتباط مصالحها على الصعيد الدولي، فحال هذه الأنظمة كعيدان الثقاب الواقفة متكئة على بعضها فان احتكت احترقت وان هزت سقطت لهذا فانها تحرص على عدم وصول الصراع الى نقطة لا تستطيع التملص منها وبالتالي ستحكم على نفسها بالفناء. كما ان تلك الاتهامات قد تحمل مبالغات في الوصف وبهذا العمق ذلك لان الروس يحاولون ان يصفوا حربهم بانها حربا على الارهاب وبهذا تستطيع من خلال هذا الوصف ان تحيد الدول كما انها تحاول ان تلقي مشاكلها على الاخرين عبر الاعلان عن وجود تدخلات خارجية وانها لديها القدرة على المقابلة بالمثل او اتخاذ تدابير اخرى.

حاولت القيادة الروسية من خلال هذه الحملة ان تتملص من التعهدات التي قطعتها على نفسها بوجوب تحديد مصير الشيشان عام ٢٠٠١ عبر محورين هما السحق العسكري لقوات المقاومة والاخر هو الخداع السياسي في صياغة موقفها من مشروع استقلال الشيشان.

ان القيادة الروسية استطاعت ان تختار الوقت المناسب لتمرير اهدافها وان تستثمر الأحداث الدولية لتصب في خدمة قضاياها الداخلية والخارجية ففي احداث ١١ ايلول ذهبت روسيا كثيرا بمناصرة الولايات المتحدة بحربها ضد الارهاب وسعت الى ضم المقاتلين الشيشانيين الى لائحة خلايا الارهاب الدولية ففي الوقت الذي كانت فيه القوات الامريكية تضرب افغانستان كانت القوات الروسية بتشدد من قبضتها على الشيشان

مبمباركة الولايات المتحدة وانشغال العالم بتلك الحرب، كما استغلت روسيا سعي الولايات المتحدة للاستصدار قرار من مجلس الامن يخولها بقيام عمل عسكري ضد العراق وبغية الحصول على اعلى قدر من المنفعة وادراكا منها كونها احد اعضاء مجلس الامن الدائمين فان أي قرارالا يصدر الابموافقة روسيا وعلى الاقل عدم ممانعتها راحت روسيا ومن خلال بوتين تهدد بضرب جورجيا متهمها بايواء المقاتلين الشيشان في وادي بانكيس وقد افلحت القيادة الروسية بما سعت اليه حين قبلت جورجيا وتحت الضغط الدولي بدخول فرق التفتيش الدولية في ذلك الوادي [١] كما نلاحظ ان روسيا قد استغلت أحداث الحرب على العراق حيث كان العالم باجمعه صوب الحرب قامت بانتخابات في الشيشان للتصويت على دستور جديد للشيشان ليس مطروحاً فيه امكانية الاستقلال بل كان الاستفتاء هل توافق على اقرار السلام في الشيشان؟ في غياب مراقبين دوليين على الانتخابات، تم اعلان نتائج الانتخابات بموافقة اغلبية الشيشانيين على الدستور الجديد الذي نصر به على ان تبقى الشيشان ضمن الفدرالية الروسية مع توسيع صلاحيات الحكم الذاتي كما نص ان الرئيس الروسي يحق له ابطال سلطات الرئيس الشيشاني، ثم تبع ذلك هو العفو عن المقاتلين والتعهد باجراء انتخابات رئاسية [٢].

وعلى العموم فان القضية الشيشانية تلتقي مع الكثير من القضايا التي لها نزعات انفصالية عن الوطن الام في الكثير من مناطق العالم كالتبت في الصين والباسك في إسبانيا وغيرها لكنها تختلف عن مثيلاتها في الكثير من التداخلات والتداعيات ذلك لوجود المؤثرات الخارجية من دول عدة ولكل دولة لها أغراضها وأهدافها تريد تحقيقه في هذه

---

(١) هشام السيد، روسيا ضرب الشيشان مقابل ضرب العراق. من موقع على شبكة الانترنيت. *www.aljazeerah.net*

(٢) د. عاطف معتمد عبد الحميد، المقاومة الشيشانية... روعة النجاح ام رقصة الطائر الجريح، مصدر سابق. *www.islamonline.net*

المنطقة، او من هذه الحرب. لهذا فاعتقد ان الحرب الجارية في الشيشان لا يوجد من يرغب في إنهائها او تحقيق أهدافها لان إنهائها سوف تنتفي اسباب التدخلات من قبل تلك الدول، فبعض تلك الدول يأتي تدخلها من اجل أرهاق روسيا وزيادة مشاكلها وتقليل او انهاء دورها على الصعيد الدولي وذلك لخشية تلك الدول من إعادة مكانة روسيا دوليا كما تحاول هذه الدول اتباع سياسة الجيبوبولتكية او ما تسمى اللعبة الكبرى للقوقاز والتي تتمثل بمساعدة ودعم المقاتلين الشيشانين وصولا الى استقلالهم واشغال روسيا بحرب مع العالم الاسلامي هذا الطموح والامل ما برح قادة تلك الدول وتقف الولايات المتحدة الأمريكية في طليعة هذه الدول لكن الصراع في هذه المنطقة رغم ان لتلك الدول دوراً في استمراره الا انها لم تستطع ان تجر روسيا الى فرض حرب على العالم الاسلامي اذ نجد ان روسيا تحارب من اجل مصالحها السياسية والاقتصادية ولم تعبه بتاويل حربها من قبل الاخرين ففي حرب جورجيا حول اقليم ابخازيا ساندت روسيا مسلمي الاقليم ضد جورجيا المسيحية [1]. وقد لا نخطئ في اعتقادنا بالقول ان المحرك الرئيس في هذه الحرب هي الولايات المتحدة التي تمسك بخيوطها اما بشكل مباشر او بغير مباشر لكن تبقى تأثيراتها حاضرة في مجمل الاحداث. ففي الدول الساندة للمقاتلين الشيشانين تبدو التاثيرات الامريكية على تلك الدول واضحة فكما هو معروف ان هذه الدول لها علاقات متينة مع الولايات المتحدة بل وبعض منها لها أحلاف ومعاهدات وقد تتخذ الولايات المتحدة اكثر من أسلوب منها سياسة غض الطرف عن الدعم الذي يذهب الى المقاتلين وكما للدول المانحة أهداف ذكرناها سابقا فان للولايات المتحدة اهدافاً أيضا فإلى جانب إغراق روسيا بمشاكلها الداخلية والحيلولة دون ظهورها من جديد على الصعيد الدولي

(١) احمد حسين شحيل، السياسة الخارجية الروسية اتجاه منطقة الشرق الاوسط، مصدر سابق، ص٩٠.

فهي تسعى الى إفراغ الدول التي لها تواجد على أراضيها من اوجه المعارضة كافة وبخاصة المعارضة الإسلامية فضلا عن حرص الولايات المتحدة على إبقاء منطقة الشيشان منطقة جاذبة للمقاتلين المسلمين بغية محاربتهم او احتوائهم، فعندما طلبت روسيا من جورجيا ان تسمح لها بالالتفاف على المقاتلين ومحاصرتهم عبر أراضيها من جهة الجنوب رفضت هذه الأخيرة هذا الطلب وكما هو معلن فان الولايات المتحدة الأمريكية تسعى الى تمديد حلف شمال الأطلسي الى أرمينيا وجورجيا [١]. فضلا عن خشيتها في حال نيل الشيشانيين استقلالهم قد يجر باقي الاقليات الى المطالبة بالاستقلال وبالتالي سوف تظهر كيانات قد تدخل المنطقة بسلسلة من التطورات والاهتزازات مجهولة العواقب [٢].

اما التدخلات الامريكية في الجانب الروسي فتظهر جليا اذ ان الحرب تجري بمباركة امريكية بعدها حربا على الارهاب. اما القادة الروس فهم وقفوا الموقف ذاته وجعلوا من القضية الشيشانية ورقة من اوراق اللعبة الانتخابية ذلك لانهم يدركون تماما ان الحرب لن تحسم عسكريا في الامد الطويل او غير قادرين على حسمها.

فنرى ان الرئيس بوتن عند ترشيحه لرئاسة الدولة كان برنامجه السياسي هو عن قدرته على انهاء التمرد وفي استطلاع اجرته صحيفة نوفي ازفستيا تبين ان نتائج الاستطلاع تظهر ارتفاعاً في شعبية المرشح للرئاسة بوتين خلال شهر حيث كان نصيبه من المؤيدين ١٪ في ايلول من عام ١٩٩٩ ارتفعت الى ١٥٪ عند مطلع تشرين اول [٣].

---

(١) د. حمزة زوبع، مستقبل الشيشان، موقع الانترنيت. مصدر سابق. *www.islamonline.net*

(٢) صلاح الدين الجورشي، الراي العام العربي والاسلامي خارج الدوائر الرسمية، من موقع الانترنيت. *www.scclab.com*

(٣) ضرب الشيشان يرفع شعبية بوتين، من موقع الانترنيت، ١٩٩٩/١٠/٨. *www.bbc.com*

الفصل الثالث

العوامل الخارجية المؤثرة على السياسة الخارجية في روسيا الاتحادية

تناولنا في هذا الفصل العوامل الخارجية التي تؤثر على صانع القرار السياسي في روسيا الاتحادية ومدى قدرة السلطة السياسية في الحيلولة دون تعطيل مصالح بلاده اذا ما ظهر تعارض معين مع تلك المؤثرات. ومن خلال هذه العوامل والمؤثرات نستطيع ان نوجز آراءنا بهذه السلطة او تلك اذ ان العوامل والمؤثرات هي المختبر الحقيقي لقدرة السلطة على ايصال البلاد الى تحقيق اهدافه.

قسمنا هذا الفصل على ثلاثة مباحث احتوى المبحث الاول العلاقات الروسية الامريكية وقد ظهرت العلاقة في احيان كثيرة على وجود صراع خفي تدركه السلطات الروسية كما قد يتخذ هذا الصراع احيانا طابع التحدي المعلن امام تطلعات روسيا في الوصول الى ما تنشده من دور دولي واعادة هيبة روسيا التاريخية. كما اظهرت العلاقة بين روسيا الاتحادية والولايات المتحدة انه يمكن التوصل الى سياسة مشتركة توافقية في بعض القضايا وابقاء الاختلاف في قضايا اخرى مستقلة عن باقي القضايا. كما نستطيع ان نؤشر ان الدولتين عندما تصل علاقتهما الى مرحلة توافقية ومصالح عليا فيمكن لهما ان تهدر حقوق حلفاءهما على حساب مصالحهما العليا او قد يصل الى التنصل عن التزاماتهما ازاء الدول الاخرى اذا ما ضمنت مصالحهما.

اما المبحث الثاني من تلك العوامل فهي العلاقة بين حلف شمال الاطلسي وروسيا الاتحادية وقد حاولنا ان نظهر تاريخ العلاقة بين الحلف وروسيا ونعتقد ان العلاقة هي علاقة فوقية غير متكافئة اذ ان الحلف ومن خلفه الولايات المتحدة تريد ان تهمش دور روسيا عبر سياسة الابتزاز السياسي مستغلة الاوضاع غير الطبيعية التي تمر بها روسيا وساعية الى تحجيم روسيا في اراضيها عبر ترغيبها للعديد من دول اوربا الشرقية للانضمام كاعضاء في الحلف والتي كانت في الماضي القريب جزءاً من المنظومة الشيوعية وصولا الى

دول الاتحاد السوفيتي القديم مثل استونيا ولاتيفيا ولتوانيا اما المبحث الثالث الذي حددناه كمؤثرات خارجية على سياسة روسيا فهي علاقة روسيا مع اليابان حول النزاع على جزر الكوريل التي استولى عليها الاتحاد السوفيتي عقب الحرب العالمية الثانية وبينا رأينا بنهاية هذا النزاع ونعتقد ان روسيا تتنازل عن تلك الجزر لكن سوف تختار الوقت المناسب لذلك وان توصل اليابان الى مرحلة يمكن بها التوافق معها على ثمن التنازل ان كان عبر استثمارات او عن ديون او هبات او مساعدات او نقل تكنلوجيا الصناعة المتطورة التي يتمتع بها اليابان.

العوامل الخارجية المؤثرة على السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية

١ـ طبيعة العلاقات الروسية الأمريكية

تعد الولايات المتحدة الامريكية من اهم الدول ان لم تكن الوحيدة المؤثرة ليست على روسيا الاتحادية فحسب وانما على الدول كافة لما يميز هذه الدولة من مقومات التاثير على سياسات الدول، ولسنا هنا في محل استعراض الامكانيات والقدرات التي تتوفر فيها وكذلك لسنا في محل تعقب مراحل العلاقة بين الدولتين لانها لاتقع ضمن بحثنا لكن لابد من الاشارة الى ان العلاقة بين البلدين مرت بمراحل نوعية مفصلية لم تمر بها العلاقة سابقا، وكما ذكرنا انفا ان روسيا الاتحادية قد ورثت اغلب الحقوق والالتزامات من الاتحاد السوفيتي ازاء الدول الاخرى عدا علاقاتها مع الولايات المتحدة، فقد كانت العلاقة بين البلدين تتصف بانها علاقة تقوم علياساس التكافؤ والتضاد والندية والتسابق والصراع تلك المفاهيم اتصفت بها حقبة الحرب الباردة، اما ما بعد الاتحاد السوفيتي واعلان الدولة الروسية الحالية فيمكن لنا ان نوصف العلاقة بين البلدين على انها علاقة تبعية او ترويضية او ابتزازية رغم ان القادة الروس يصفونها على انها علاقة تقوم على مبادئ التعاون والتفاهم لكنهم يدركون ان هذه المسميات ما هي الا هروبا من الوصف الفعلي.

ففي اول خطاب له في الجمعية العامة للأمم المتحدة قال الرئيس الروسي (... ان القوى الغربية هي من حلفاء روسيا الطبيعين)[١]، بل وصل الامر الى اعلان حالة التوافق والاستسلام عندما اعلن الرئيس الروسي بان بلاده لن تصوب صوراخها تجاه المدن الامريكية وان هذه الاخيرة لم تعد عدوا لروسيا بعد تغيير في العقيدة العسكرية الروسية [٢] كما جرى التوقيع على اتفاقية بين روسيا الاتحادية والولايات المتحدة عام ١٩٩٢ سميت بوثيقة التعاون هذه الاتفاقية تعهدت بها الولايات المتحدة بتقديم المزيد من المساعدات والتركيز على خفض التسلح النووي بالمقابل كان على روسيا المزيد من التنازلات مقابل ضمان وصول المساعدات والقروض الغربية[٣]. ولحقها العديد من الاتفاقيات وبخاصة في الشؤون العسكرية كالميثاق الروسي الأمريكي للشراكة والصداقة الموقع عام ١٩٩٢ حين قامت روسيا بالمشاركة بمناورات عسكرية من خلال أسطولها بجانب الأسطول الأمريكي في مياه المتوسط. وبجميع هذه الاتفاقيات كانت الولايات المتحدة تهدف الى تحجيم الدور الروسي. ازاء ذلك فقد حصلت روسيا على مساعدات بقيمة ١.٦ مليار دولار مع رفع القيود التجارية عنها وقيام الولايات المتحدة بإقناع شركائها الأوربيين بمساعدتها مع تعهدات من قبل تلك الدول بمنحها مساعدات بقيمة ٢٨ مليار دولار [٤].

---

(١) شارلي كروس ومارتينا اوبروتوفا، الصل الجديد في العلاقات الامريكية الروسية، الفرص والتحديات، عرض هبه سمير، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، السنة الثالثة العدد ١٢٧، كانون ثاني ١٩٩٧، ص١٦٣.

(٢) د. محمد السيد سليم، العرب فيما بعد العصر السوفيتي، مجلة السياسة الدولية مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، السنة الثامنة والعشرون، العدد ١٠٨، نيسان ١٩٩٢، ص١٤٩.

(٣) معتز سلامة، العلاقات الامريكية. الروسية وقمة فانكوفر، مجلة السياسة الدولية، مجلة السياسة الدولية مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية بالاهرام، السنة التاسعة والعشرون، العدد ١١٣، كانون ثان ١٩٩٣، ص٢١٦.

(٤) لمى مضر الامارة، سياسة روسيا الاتحادية اتجاه دول الخليج العربي، مصدر سابق، ص٥٥.

مع ادراك روسيا ان العلاقة مع الولايات المتحدة لم تعد بشكلها القديم القائم على اساس صراع الأيدلوجيات او صراع نفوذ وان التوازن بينهما قد تلاشى بعد ان استمر حوالي نصف قرن [١]. وقد ترجم هذا الادراك وزير خارجية روسيا بقوله (ضرورة اعادة تقويم موقف الدولة الروسية من العالم الخارجي والاعتراف بان الولايات المتحدة تستطيع ان تؤدي دورا ايجابيا في العالم وبان الاحتفاظ بوجود عسكري امريكي في العالم الجنوب يمكن ان يكون عاملا للتوازن)[٢]، هذا الادراك والاعتراف من جانب روسيا قابله المزيد من الطلبات بالتنازل في مجالات مختلفة لصالح الولايات المتحدة من ضمنها تركها بالتفرد بادارة الصراعات وتسويتها على الصعيد الدولي مع المزيد من الاصلاحات الديمقراطية داخل روسيا ومواصلة الضغط الروسي على حلفائها ليستجيبوا للشروط الامريكية كذلك الوصول الى الحد من التسلح[٣].

خضعت العلاقة بين البلدين لتقييم من قبل الروس فتبيَّن لهم ان التنازلات الروسية لا تتكافئ مع ما قدمته الولايات المتحدة من مساعدات او قروض بل وجدوا ان الولايات المتحدة تنصلت من وعودها بتقديم الدعم المالي فضلا عن ممارستها الضغط على صندوق النقد الدولي لمنعه من اقراض روسيا الابعد موافقة الروس على شروطها ومنها توسيع الناتو

(١) لستر ثرو، المتناطحون، ترجمة محمد فريد، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستيراتيجية، ابو ظبي ١٩٩٥، ص١٨.

(٢) ان دي تينجي، ظهور روسيا على الساحة الدولية، اعداد سوسن حسين، مجلة السياسية الدولية، مجلة السياسة الدولية مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية بالاهرام، السنة الثامنة والعشرون، العدد ١٠٩، تموز ١٩٩٢، ص٢١١.

(٣) عماد جاد، المقدمات السياسية للانقلاب في الاتحاد السوفيتي، مجلة السياسة الدولية، مجلة السياسة الدولية مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية بالاهرام، السنة السابعة والعشرون، العدد ١٠٦، تشرين اول ١٩٩١، ص٢٣٢.

شرقا [١] الامر الذي جعلهم يعيدوا النظر بطبيعة العلاقة مع امريكيا وعدوا ان الاستمرار بذات الطريقة هو مهانة ومذلة للدولة الروسية وادرك القادة الروس ان الولايات المتحدة لا تسمح لهم بالدخول الى العالم الغربي والاندماج الكامل بالحضارة الغربية مع احساس هؤلاء القادة بخيبة امل ازاء طبيعة العلاقة مع الغرب نتيجة شح المساعدات التي وعد بها لهذا فان الروس اتجهوا الى الشرق نحو الصين لتعزيز مكانتهم امام هذا العالم المتكتل وبدأوا بحل المشاكل مع هذه الدول مع قيام شراكة للتعاون الامني، ففي عام ١٩٩٦ زار الرئيس يلتسين الصين واثمرت تلك الزيارة عن توقيع وثيقة (مبادئ عامة) حيث تؤمن الدولتان بالتعددية ورفض التفرد من قبل دولة او مؤسسة سياسية او عسكرية وهي اشارة الى تفرد الولايات المتحدة والى حلف شمال الاطلسي فضلا عن ذلك قيام الدولتين بتسوية المشاكل الحدودية مع توسع في التبادل التجاري بينهما وبخاصة قيام روسيا بتصدير الغاز الطبيعي لصين الى جانب ذلك تضمن الاتفاق لاول مرة باستحداث خط تلفوني ساخن بين قيادتي البلدين [٢]. ومما عزز هذا التغير هو فوز القوميين والشيوعيين وسيطرتهم على مجلس الدوما وقيامهم بالضغط على الحكومة لاتباع سياسة خارجية جديدة مع الولايات المتحدة تقوم على اساس التوازن بين متطلبات التغير والتحول الاقتصادي وبين المصلحة الروسية. فحاولت روسيا ان تجعل من تصديقها على معاهدة سالت ٢ محل ضغط على الولايات المتحدة كما لوحت باعادة نشر صواريخها باتجاه المدن الامريكية، وغيرها لم تؤت ما يرجى ونعتقد ان (التغيير) الذي لوحت به الحكومة ومن خلفها المعارضة ماهي الا وسيلة انتخابية، اذ بعد جذب ومد صادق الدوما على المعاهدة في نيسان من عام ٢٠٠٠، قد يكون

(١) د. نزار اسماعيل عبد اللطيف، تقييم العلاقات الروسية. الامريكية في ثلاث مراحل، اوراق امريكية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد العدد ٥٧، كانون اول ٢٠٠٠.

(٢) محمد جميل ابراهيم، العلاقات العراقية الروسية في عقد التسعينات، مصدر سابق، ص٨٨.

الروس ادركوا ان الولايات المتحدة غير جدية في وعودها الا انهم غير قادرين على التصدي للطلبات الامريكية ومن خلفها طلبات صندوق النقد الولي، ففي عام ١٩٩٦ طلبت الولايات المتحدة من روسيا بنزع راس ١٣٠٠ صاروخ نووي مقابل وعد بتقديم بعض المساعدات وبعد قيام روسيا ما طلب منها تنصلت امريكيا عن وعودها [١]. واستثمارا لإحداث أيلول ٢٠٠١ ورغبة روسيا بالتقرب من الولايات المتحدة انسحبت هذه الاخيرة من معاهدة الحد من انتشار الصواريخ الموجهة المعقودة بين الدولتين عام ١٩٧٢ ورغم ان قرار الانسحاب قد اثار جدلا وتساؤلات من الصين والهند وغيرها الا انه لم يؤثر على علاقة البلدين بل ان الرئيس الروسي بوتين قال (ان القرار مقبول عالميا) بعد ذلك وتماشيا مع حرص روسيا على ادامة علاقتها بالولايات المتحدة اعلنت عن تقليص ترسانتها النووية بمقدار الثلثين[٢].

ويتضح الدور الامريكي بدا من ترشيح يلتسين لرئاسة بلدية موسكو ووصولا الى الرئاسة حيث دفعت اموالا طائلة لفوزه، اذ تعدّه مواليا للغرب وانه سوف يكمل ما بدءه سلفه غورباتشوف الذي يتبنى التحول الاقتصادي هذا التحول يحتاج الى ربع قرن لاكماله مما يعطي الوقت لاعادة رسم الواقع السياسي في اوربا والعالم [٣]. وبعد الفترة التي قضاها وازدياد مشاكل روسيا مع تدهور صحته وخشيتها من ظهور زعماء من الشيوعيين او القوميين دعمت المرشح الجديد فلاديمر بوتين من خلال علاقاتها بجماعة تسمى اصدقاء امريكا في روسيا والتي وجدت فيه ما يامل من السير على خطى من سبقه لذا عد بوتين احد صمامات الامان

(١) نقلا من برنامج عن الانتخابات الاكرانية من قناة العربية الفضائية بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٦.

(٢) د. كمال مظهر، تطوير التعاون الأمريكي الروسي تتطلبه مصلحة الطرفين، مجلة الحكمة، الصادرة من بيت الحكمة، بغداد، العدد ٢٣ شباط ٢٠٠٢، ص٣٣.

(٣) د. ضاري رشيد الياسين، العلاقات الامريكية الروسية في ضوء فوز بوتين بالرئاسة الروسية، اوراق امريكية، مركز الدراسات الدولة، العدد ٤٠، حزيران ٢٠٠٠.

للحفاظ على طبيعة العلاقة بين البلدين المتمثلة بابعاد روسيا عن المحيط الدولي من خلال زيادة في مشاكلها الداخلية عن طريق اثارة القضايا الامنية ومشاكل الاقليات[١].

ورغم الخلافات والصراع توجد نقاط لقاء بين الدولتين وبخاصة في موضوع التسوية في الشرق الاوسط ومكافحة الإرهاب فضلا عن مقاموتهما للحركات الأصولية الدينية، ففي الموضوع الاول نجد ان الدولتين تسعيان الى ايجاد تسوية مقبولة لدى أطراف النزاع ففي الجانب الامريكي تحرص على الحفاظ على اسرائيل لاعتبارها القاعدة الامريكية في المنطقة المهمة مع ضمان حصولها على مصادر الطاقة بيسر، اما الجانب الروسي فتعتقد ان تأزم الاوضاع في المنطقة سيجرها الى المزيد من تعميق الصراعات وبالتالي سيلقي ذلك على عموم المنطقة مما يهدد مصالحها فيها. اما في موضوع الارهاب فيبدو ان الدولتين قد علقوا مشاكلهم مع الاخرين على الارهاب والإرهابيين فالولايات المتحدة لها من المشاكل مع العالم ما يكفي لاثارة الجميع فحاولت جر العالم الى خطر متحرك ليس له وطن وارادة تجيش الاخرين معها ضد من يتصدى لمصالحها. اما روسيا فلها ايضا مشاكلها وان لم تكن بحجم نظيرتها حيث تعد الحركة الانفصالية الشيشانية من بعض مشاكلها لذا اجتمعت مصلحتي الدولتين كل منها تسعى الى التوصل الى حلول لمشاكلهما، ففي تشرين اول من عام ١٩٩٩ عقدت مجموعة العمل الامريكية الروسية الخاصة بمقاومة الإرهاب حيث قدم الروس طلبات الى نظرائهم يطلبون فيها بغلق مواقع الشيشانين على شبكة الانترنيت إضافة الى توقف المسؤولين الأمريكيين بانتقاداتهم في موضوع الحرب فحصلوا على الاستجابة [٢]. وبعد هجمات ايلول ٢٠٠١ اقتربوا اكثر من التصدي للارهاب وازداد

---

(١) المصدر السابق.

(٢) د. سارة مندلسون، تعاون عالي المستوى بين العسكريين الروس والامريكيين، مجلة الحكمة، الصادرة من بيت الحكمة، بغداد شباط ٢٠٠٢، العدد ٢٣، ص٢٤.

التفهم الأمريكي للحرب في الشيشان بعد اتضاح الجهة المنفذة للهجمات وان بعض من هذه الجماعة كانت تتخذ من الشيشان منطلقاً لاعمالهم وراح الرئيس الامريكي بوش يبني سياسته للتهيئة للحرب [١].

كما ان احداث ١١ ايلول قد غيرت الخريطة الجيوبوليتيكية في العالم فظهر تقارب بين اضداد الامس وخلق توتر بين بعض الحلفاء كالذي حصل بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية، فبالقدر الذي يتعلق بروسيا تجاه الولايات المتحدة عقب تلك الاحداث نرى ان روسيا قد تنازلت عن المنافسة المباشرة وهي مستعدة للعمل ما دام ذلك العمل يورد لها الاموال، اما وجه التقارب بين الدولتين فهو قيام الولايات المتحدة باعتبار روسيا والشركات النفط الروسية التي تمت خصخصتها بتقديم المساعدات لتلك الشركات لزيادة انتاجها النفطي كما قامت بتحسين صورة تلك الشركات لدة المجتمع الامريكي فكانت شركة *TNK* اول شركة نفط روسية تنضم الى غرفة التجارة الامريكية ومعها شركة *YUKOS* انفق عليها اموالا طائلة في عملية جمع المعلومات والسعي لكسب التاييد من واشنطن[٢].

كما ان الدولتين لا ترغبان بظهور انظمة دينية، فنجد ان الولايات المتحدة أعانت روسيا في الحيلولة دون حصول الحركات الانفصالية في الجمهوريات المنفصلة عن الاتحاد السوفيتي ورأوا ان بقاءها انظمة علمانية موالية افضل ان كانت هذه الدول تحت السلطة الروسية او انظمة مستقلة[٣]. ولنا ان نتساءل الى أي مدى ترغب الولايات باضعاف روسيا

---

(١) المصدر السابق، ص٢٣.

(٢) قضايا الخليج، مركز الدراسات الاستيراتيجية والمستقبلية / جامعة الكويت، من موقع على شبكة الانترنيت. *www.islamdir.com*

(٣) احمد حسين شحيل، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط، مصدر سابق، صحفة ٩٨.

وانهائها كدولة عظمى؟ نعتقد ان الولايات المتحدة سعت كثيرا لاضعاف روسيا وإنهائها عبر العديد من الاجراءات ومارست حيالها سياسة المنح مقابل المزيد من التنازل عن قدراتها فالى جانب المطالبة بالتغيرات على مستوى نظام السياسي بادخال الاصلاحات وشيوع العمل بالديمقراطية الى تغير في الانظمة الاقتصادية وادخال روسيا الى نظام السوق الحر والخصخصة الى ترغيبها بتدمير مخزونها من السلاح الاستيراتيجي وما خفي من محاولات الولايات المتحدة التي تصب في هذا الاتجاه الا اننا نعتقد ان احداث ١١ ايلول قد اعادت الولايات المتحدة النظر في اسلوب تعاملها مع روسيا اذ كانت تخشى بشكل كبير من تمكين المنظمات او ما تدعوها الجماعات الارهابية من حصولها على اسلحة الدمار الشامل واقرب دولة يمكن الحصول منها على تلك الاسلحة هي روسيا وذلك لانها تملك الكثير من ذلك السلاح وبالوقت نفسه لم تستطع الاهرة الترهل والفساد الذي يجعل من تداول هذه الاسلحة ووصولها الى جهات او منظمات مسلحة امرا غير مستبعد كما ان تلك الاسلحة منتشرة في اصقاع الاتحاد السوفيتي القديم رغم ان روسيا الاتحادية قد استحوذت على اغلبها الا انها لم تستطع ان تعيدها جميعها وان الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتي غير قادرة على الاحتفاظ بها للاسباب ذاتها الى جانب انها دول فقيرة وهي في مرحلة النمو.

كان الاتحاد السوفيتي قد صنع قنابل نووية ابان الحرب الباردة على شكل حقائب سميت (بحقيبة القنبلة)[1] وكان عددها ١٣٢ حقيبة وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي سئل

(١) هي قنابل نووية تقدر حجم التدمير التي تحدثها بحوالي كيلو متر مربع وتقضي على عشرون الف نسمة وهي تشكل ١٦/١ من حجم القنبةل التي ضربت مدن اليابان عام ١٩٤٥ وتتميز تلك القنبلة بحجمها الصغير وبوزنها التي يتراوح بين ٣٠-٤٠ كغ من استطاعت شخص واحد على التحكم بها وتفجيرها. نقلا عن قناة دبي الفضائية في تقرير عن سلاح النووي السوفيتي.

(اليكس) المسؤول عن تلك الاسلحة عام ١٩٩٧ فاجاب ان روسيا استطاعت ان تجد ٤٨ حقيبة فيما ٩٤ منها لا تزال مجهولة المصير [١]. لهذا نعتقد ان الولايات المتحدة لا تريد ان تضعف روسيا او انهاء دورها وبخاصة فيما بعد احداث ايلول ولا ترغب بايصالها الى مرحلة يكون انهيارها انفجارا بالضرورة ستصل شظاياها للولايات المتحدة. كما ان عدو الولايات المتحدة الرئيس هو الجماعات المسلحة ولن نستطيع ان تواجهها بمفردها لذا عليها ان تحافظ على امكانيات الدول الاخرى الساندة لها في هذه المواجهة.

اما نقاط الخلاف بين الدولتين هو محاولة الولايات المتحدة بمنع روسيا من بيع التكنولوجيا النووية ذات الاستخدام المزدوج ونقلها فضلا عن الاسلحة التقليدية الى الدول التي تعدها امريكيا معادية لها مثل ايران وكوريا الشمالية وليبيا وسوريا، بقطع المساعدات لروسيا التي تجاوز ٧٥٠ مليون دولار في العام [٢]. كما اتهمت الولايات المتحدة روسيا بتجهيز إيران بأسلحة متطورة. ان التعاون الروسي الايراني تعده روسيا هو ضمانة لاستقرار المنطقة وخلق نوع من التوازن بين القوى الإقليمية وان الدول الاخرى في الخليج يتم تزويدها بالسلاح من الدل الغربية. فضلا عن ذلك فان الولايات المتحدة قد فرضت عقوبات على ثلاث شركات روسية لقيامها بتزويد سوريا بأسلحة مضادة للدبابات، مع اشهار التهديد لروسيا في حال قيامها بتزويد سوريا بالأسلحة فان المساعدات ستنخفض الى ٧٠٪ سنويا [٣]. قد يحمل المستقبل عودة الى توتر العلاقات او التنافس بين الدولتين وبخاصة من جانب الروس الذين على مايبدو غير راضين بموقع

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) احمد حسين شحيل، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط، مصدر سابق ص١٠١.

(٣) نقلا عن جريدة الشرق الاوسط، العدد ٧٤٣٢ في ١٩٩٩/٤/٤.

دولتهم في الساحة الدولية ولهذا فقد سعوا الى ايجاد أية قدرات اقتصادية كانت ام عسكرية والحصول عليها وعلى ذلك فقد تمكن الروس من امتلاك صاروخ والذي اطلق عليه تسمية (TOPOL-M) والذي سمي من قبل القيادة العسكرية لحلف الاطلسي باسم (الشيطان) هذا السلاح يحمل من المواصفات ما هو قادر على حمل عشرة رؤوس نووية دفعة واحدة كما يستطيع ان يختفي من الرادارات الامريكية المتطورة الى جانب سرعته الفائقة والى مدى يصل الى عشرة الف كم مما يعني انه قادر للوصول الى جميع المدن الامريكية لهذا يصفه الجنرال الالماني مايكل بيلز (انه شيطان يملك مفاتيح الجحيم)[١]. ان هذا الانجاز في الصناعة العسكرية الروسية هو بمثابة العود الى اجواء الحرب الباردة وعصر سابق التسلح بين الدولتين وعلى ما يبدو ان هذا السلاح له من الاهمية ما يجعل الرئيس بوتين ان يعلن للشعب الروسي ان الدرع الصاروخي الامريكي سيهزم في أي مواجهة امام النظام الصاروخي الجديد الذي طوره الروس تحت اسم الطلقة الفضية وان روسيا طورت ايضا سلاحا نوويا لايتوفر مثيله في العام[٢].

وتاسيسا على ما تقدم نعتقد ان العلاقة بين الدولتين رغم المواقف التي يتخذها هذا الطرف او ذاك ورغم الصراع الظاهر من خلال تصريحات الدولتين فان العلاقة تبدو اكثر انسجاما لمعرفة كل دولة بقدرات الاخرى، مع البيان ان الدولتين لها من مراكز البحوث والدراسات الاستيراتيجية التي من خلالها سوف ترسم خطوط العلاقة بينهما ليس من خلال قدرات الدولتين الحالية فحسب بل الى التنبؤ برسم خطوط العلاقة بينهما

---

(١) غسان ابو حمد، شيطان روسيا الجديد، من موقع على شبكة الانترنيت.
www.al-jazirah.com

(٢) اشرف البريري، العالم على ابواب سباق التسلح امريكي روسي جديد، مجلة الجزيرة العدد ١٠٧ في ٢٠٠٤/١١/٣٠، من موقع على شبكة الانترنيت. *www.aljazirahmagazien.com*

في المستقبل فضلا عن ذلك ترسم تلك الخطوط العلاقة في حالة الحرب والسلم على حد سواء.

2. روسيا الاتحادية والحلف شمال الاطلسي (الناتو)

قبل ظهور حلف شمال الاطلسي بهذه الصيغة المعروفة مرة علاقته بروسيا بالعديد من المراحل قبل الوصول الى حالته الان، فقبل الحرب العالمية الثانية ظهرت فكرة إيجاد حلف يجمع الدول المطلقة على المحيط الاطلسي أي حلف يقوم على قومية أطلسية [١]. وبعد خروج الاتحاد السوفيتي منتصرا من الحرب زاد من خشية الدول الاوربية من النفوذ الشيوعي فقامت كل من بريطانيا وفرنسا بالتوقيع على معاهدة في عام ١٩٤٧ وكانت الغرض منها هو تعزيز قواتهما امام الاتحاد السوفيتي بعد ان انهت الحرب الكثير من قدراتهما الاقتصادية، ثم مالبثت دول اخرى بالدخول الى تلك الاتفاقية كبلجيكا وهولندا ولموكسيمبرج سميت بمعاهدة بروكسل هذا الانضمام الجديد قد رحبت به الولايات المتحدة وتعهدت بتقديم المساعدات للحفاظ على السلم والامن الدوليين. ازاء ذلك شعرت الدولة السوفيتية بخطورة تلك المعاهدة وزاد من قلقها مما حدى بها الى توجيه مذكرة الى الدول المنظوية تعرب عن تحفظها على المعاهدة واعتبرت انها تهدد السلم والامن الدوليين ثم اردفتها بحصار برلين لفترة تقارب السنة وعلى اثر ذلك انظمت الولايات المتحدة على المعاهدة عرف بنظام الدفاع الغربي [٢]. تاسس الحلف في نيسان من عام ١٩٤٩ بواشنطن بخمس دول اوربية فضلاً عن الولايات المتحدة وكندا ثم توسع ليظم النرويج والدنمارك وأيسلندا وإيطاليا والبرتغال وأسبانيا بعدها دخلت ألمانيا في

---

(١) د. احمد نوري النعيمي، تركيا وحلف شمال الاطلسي، اطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة القاهرة، القاهرة ١٩٧٩، ص٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٤١.

الخلف، تحول الحلف الى منظمة عسكرية في عام ١٩٥٢، يقوم الحلف على مبدا الدفاع المشترك ففي حال تعرض أحد الأعضاء لهجوم يعد هجوما على الأعضاء كافة. يقع مقره الرئيس في مدينة بروكسل وله قيادات عسكرية موزعة على مناطق في اوربا بين وسطها وغربها وشمالها وجنوبها والبحر المتوسط.

رغم ما تعرض له الحلف من ضغوطات وهزات داخلية وخارجية كانسحاب فرنسا من التنظيم العسكري فضلا عن تشكيل حلف بالضد من اهتمامه هو حلف وارشوفي عام ١٩٥٥ الذي يظم الكتلة الشرقية بقيادة الاتحاد السوفيتي. استمر الحلفين طيلة الحرب الباردة الى عام ١٩٩١ عند تفكك الاتحاد السوفيتي وحل حلف وارشو من العام نفسه. مع بقاء حلف شمال الاطلسي بجميع مؤسساته الامر الذي قاد روسيا للاعلان عن ضرورة إلغائه لانتفاء سبب وجوده ومنح منظمة الامن الجماعي في قيادة السلام الاوربي من خلال مؤتمر الامن والتعاون في اوربا (*OSCE*) باعتبارها المؤسسة التي تعبر عن مصالح المجتمع الاوربي لانها تعطي الظمانات لكل دولة بالتساوي من دون الاعتبار فيما كانت الدولة لها عضوية في المعاهدات او الاتحادات المختلفة[1].

بالمقابل فان الدول الاوربية تجد ان دور الحلف مازال مهما ويؤدي دوره للحفاظ على الاستقرار في القارة كما يبقى الرابط الاساسي بين الولايات المتحدة واوربا. ياتي هذا الموقف من قبل الاوربين لشعورهم ان روسيا لا تزال مصدر تهديد لها والى عشر سنوات قادمة، مع مد يد العون لروسيا من اجل اندماجها بالمجتمع الدولي. وتماشيا مع هذا النهج عرضت دول الناتو على روسيا الارتباط معه في اطار الشراكة من اجل السلام حيث

(١) موقف روسيا الاتحادية من حلف الاطلسي، ترجمة د. شكري محمود نجم، توسيع الاطار الجغرافي لحلف الاطلسي الواقع والتوقعات مركز دراسات وبحوث الوطن العربي، الجامعة المستنصرية، العدد ٢١، اذار ١٩٩٩، ص٨.

جاءت هذه المبادرة من قبل الولايات المتحدة، وفق هذه المبادرة وتماشيا مع الانفتاح الروسي على الدول الغربية وافقت على الانضمام بالرغم من التاجيل على الموافقة بسبب الشك الذي يبديه قادة الجيش الروسي بدعوى إنهاء مصطلح العدو الممكن المنسوب الى روسيا مما تطلب ادخال روسيا في جدل داخلي من جدوى الموافقة على الانظمام وبنهاية المطاف وافق على الدعوى التي دعيت اليه فأصبحت عضوا في هذا البرنامج. كانت روسيا تهدف من خلال انضمامها الى هذا البرنامج لاجل السلام والمحافظة على كيانها باعتبارها احد اطراف التوازن[١] هذا من جهة ومن جهة اخرى او للتصدي لاي اعمال تضر بدولتهم من خلال التدخل واحتواء من داخل المنظمة [٢]. ازاء ذلك لم تستطع الدول الاوربية من إخفاء شكوكها بالدولة الروسية فقد استثنوا دخول روسيا كعضو مرشح لحلف شمال الأطلسي برغم من إعلانهم ان الدول المنضمة الى برنامج الشراكة لها ان تكون عضوا مرشحا في الحلف مدعيةً ان روسيا من الدول الكبرى فضلاً عن مشاكلها الداخلية والخشية من انتشار هذه المشاكل الى الدول الأوربية [٣]، فضلا عن ذلك يرى الرافضون لانضمام روسيا الى الحلف ان روسيا لم تستقر سياسيا حيث لا توجد داخل روسيا المؤسسات الديمقراطية وعدم قدرتها للتعاون السياسي والعسكري مع ضرورة سيطرة المدنين على المؤسسة العسكرية فضلا عن اعتبار روسيا الجزء الاعظم من اراضيها ليس من القارة الاوربية الى جانب عدم قدرة الحلف في حال انضمامها الى تامين حدودها الطويلة المتددة حتى الصين ومنغوليا كما ان انضمامها سوف يجعل من الحلف منظمة

(١) احمد حسين شحيل، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط، مصدر سابق، ص١٠٧.

(٢) د. خالد محمود الكومي، جيرنوفسكي بين السياسة الروسية والدولية، مصدر سابق، ص٣٨.

(٣) زيغينو بريجنسكي، الفوضى، الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين، ترجمة مالك فاضل، الاهلية للنشر والتوزيع عمام ١٩٩٨، ص١٢١.

للامن الجماعى أسوة بالأمم المتحدة وسيفقد صفته الدفاعية [١]، لهذا فقد استبعدت من الانضمام الى الحلف لعدم استيفائها لشروط الانضمام. كما الدور الامريكي واضح في الحيلولة من ابعاد روسيا بالانضمام الى الحلف بدواع شتى منها ان روسيا قد فشلت في سياستها الاقتصادية والاجتماعية فضلا عن الحرب التي تشنها في الشيشان واعتبرت انها في طور التكوين لذا لا يمكن ان تكون شريكا يعتمد عليه [٢] بالوقت ذاته سعت دول الحلف وبخاصة الولايات المتحدة الى توسيع الحلف نحو الشرق ليقترب اكثر من حدود روسيا الامر الذي جعل روسيا تقف موقف المعارض لاي توسع للحلف، وامام هذه التناقضات بين دور الناتو روسيا توصل الطرفان الى اتفاق وقع في باريس في عام ١٩٩٧ التي عرفت بـ ١٦+١ ينظم العلاقة في مجالي الامن والتعاون وبناء مساحة من الثقة بين الناتو وروسيا الاتحادية [٣] لقد جاءت هذه الاتفاقية لوضع حد من الجدل الدائر بين توسع الحلف وبين انضمام روسيا فمن جهة حاول الناتو اعطاء تطمينات بعدم نشر اسلحة نووية او تخزينها في اراضي الدول التي ستنضم الى الحلف مع الوعد بالمشاركة في البناء الداخلي الروسي ومن جهة اخرى حافظ الحلف على عنوانه وهو الدفاع عن نفسه في حال عودة روسيا بالتهديد لاوربا [٤] كما حصل الرئيس الروسي على وعد من قبل المانيا وفرنسا على انهما سيعترضان انضمام دول البلطيق (استونيا ولاتفيا ولتوانيا) الى الحلف [٥] وقد عبر

---

(١) التقرير الاستيراتيجي العربي لعام ١٩٩٧، ص٤٩. *www.alahram.com*

(٢) احمد حسين شحيل، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط مصدر سابق، ص١١٠.

(٣) د. ابراهيم عرفات، روسيا والناتو الجديد، قراءة في مدلولات اللائحة التأسيسية، مصدر سابق، ص١١٥.

(٤) المصدر نفسه، ص١١٧.

(٥) رضا محمد هلال، مستقبل التعاون الفرنسي الروسي الالماني، مجلة السياسة الدولية مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية بالاهرام، السنة الرابعة والثلاثون، العدد ١٣٣ تموز ١٩٩٨، ص٢٠٦.

بعض المسؤولين الروس في اكثر من مناسبة عن قلقهم واعتراضهم لتوسيع الحلف وعدو التوسع بمثابة القضاء على أملهم في الاندماج في العملية الاقتصادية والسياسية والامنية وقد تعيد أجواء الحرب الباردة [١]، كما يرى البعض الاخر ان أمل روسيا لازال محل اهتمام بخصوص الدول التي لم تنضم الى الحلف لحد الان وامكان إرجاعها الى الحظيرة الروسية بعد تجاوز الصعوبات التي تمر بها واستعادة عافيتها[٢]. ادركت الدول الغربية وبخاصة الولايات المتحدة ان الظروف التي تمر بها روسيا مواتية لزيادة الضغط والعزل عليها فقامت بتجديد المعاهدة الامنية مع اليابان وتهديدها بالغاء معاهدة خفض الصواريخ البالستية الموقعة عام ١٩٧٢ فضلا عن التفرد بالشأن العراقي. ازاء ذلك قامت روسيا بتذكير العالم بالقرار المتخذ والذي يسمح لورسيا باستخدام السلاح النووي في حال تعرضها لهجوم من قبل حلف او أية جهة وان لم تكن تلك الدولة تملك أسلحة نووية حيث اعلن وزير الدفاع الروسي في مقالة صحفية في نيسان من عام ١٩٩٩ (بان مذهب الناتو الجديد يتضمن الانتشار خارج المنطقة تجبر روسيا لإعادة الاعتبار للعديد من الشروط لضمان امنها العسكري فيما يتعلق بكل من القوات التقليدية وقوة الردع النووي الاستراتيجي وبان ابعاد توسع الناتو مثل ضم دول البلطيق سوف يكون تهديدا كبيرا لروسيا ونحن سوف نتخذ كل الإجراءات الضرورية لتقليل التهديد العسكري والذي سوف يأتي من مثل هذه التطورات)[٣].

لم يقتصر القلق والشك والاعتراض من توسع الناتو مقابل التطمينات التي حصلت

---

(١) محمد دياب، توسيع الناتو وحرب البلقان / أهداف إستراتيجية وجيوسياسية، مجلة شؤون الأوسط، العدد ٨٣، مايس ١٩٩٩، ص٢٧.

(٢) احمد حسين شحيل، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط، مصدر سابق، ص١٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ص١١١.

عليها روسيا على المسؤولين فحسب بل عم الاحزاب السياسية كافة ورجال الاعلام والراي العام وبخاصة بعد قيام وزارة الخارجية بنشر بعض الوثائق للمباحثات التي جرت بين قادة الاتحاد السوفيتي والدول الغربية عام ١٩٩٠ـ١٩٩١ عندها حصل السوفيت على وعود من قبل وزير خارجية الولايات المتحدة انه بعد إزالة جدار برلين فان الناتو لا يتقدم شرقا ولا انجاً واحداً كما سار بالاتجاه ذاته كل من رئيس وزراء بريطانيا جون ميجر والمستشار الألماني هولمت كول [١].

وتأسيسا على ما تقدم حاول الروس الحصول على ضمانات واضحة بالمعاهدة الموقعة مع الناتو الا ان تلك الضمانات لم تمنح لهم مما زاد من عمق ازمة الثقة بينهما، وتولدت لدى الروس ان كانوا في السلطة او من المعارضة ان الناتو له موقف تكتيكي من انضمام دول البلطيق وعندما يحين الوقت المناسب سوف لن يترددوا بانضمام تلك الدول من دون اهتمام بالموقف الروسي[٢]، ونعتقد ان روسيا ليس لديها سبيل في التصدي لتوسع الناتو وان ما تظهره من معارضة ليس سوى إظهار روسيا بمظهر الشريط انما حقيقة الامر ليست لديها أي وسائل لوقف ما يزمع عمله من قبل الناتو الذي وصفت جرية اليوم سياسته ازاء روسيا بالابتزاز الرقيق حيث لم تتضمن المعاهدة أي التزمات من قبل الناتو قد تؤثر على الامن الروسي [٣].

ولغرض لملة مصادر القوة اتجاه الناتو اتجهت روسيا لاقامة تحالفات مع دول لها تاثير على الساحة الدولية كالهند والصين وتجمع الاسيان والتي تسعى من خلالها الى عالم متعدد الأقطاب ورفضها لعالم احادي القوة حيث قام الرئيس الروسي بوتين بزيارة الى الهند في

---

(١) لوسنين ايونيد، روسيا والناتو معضلة وتوسيع الناتو شرقا في السياسة الروسية والراي العام الروسي ١٩٩٢ـ١٩٩٧ التقرير النهائي، مصدر سابق ٢٠٠٢، ص١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٠.

(٣) المصدر نفسه، صفحه ١٨.

تشرين الاول من عام ٢٠٠٠ وتوقيع اعلان المشاركة الإستراتيجية الذي يتضمن العديد من المجالات واهم هذه المجالات هو التعاون النووي والعسكري [١]. كما استطاعت السياسة الروسية ان تخرق الجدار الاوربي عن طريق فرنسا والمانيا بتوقيعهم على اتفاقية التعاون الثلاثي الموقعة عام ١٩٩٨ والتي تضمنت في المجال الاقتصادي تقديم المساعدات المالية لروسيا مقابل فتح الاسواق الروسية امام البضائع وسلع دول الاتحاد الأوربي اما في المجال السياسي فالاتفاق يعمل من اجل عالم متعدد الأقطاب فضلا عن إمكانية فتح مجالات اخرى للتعاون ليشمل الجانب الامني كاشتراك روسيا في البرنامج الأوربي لأقمار التجسس العسكري لمواجهة الأزمات التي تهدد الأمن الأوربي [٢].وللمزيد من الشراكة بين روسيا والحلف فقد تم توقيع اتفاقية بينهما في ايار من عام ٢٠٠٢ في ايطاليا تم بموجبها بتأسيس مجلس يضم روسيا ودول الحلف التسعة عشر تمنح في موسكو صوتا مساويا لدول الحلف في عدد من القضايا كمكافحة الارهاب وحفظ السلام ومنع انتشار الاسلحة وعلى اثر ذلك افتتح الحلف مكتبا عسكريا له في موسكو [٣]. وعشية الحرب الاخيرة على العراق شهد الحلف شرخا كبيرا بين دوله النافذة في الحلف وهي المانيا وفرنسا وبلجيكا عند طرح موضوع تقديم المساعدة لتركيا لتقوية دفاعها اثر ذلك فقد احتدم النقاش الساخن من قبل الدول الرافضة اذ قام المستشار الالماني ان الحلف هدفه تحقيق الامن والسلام وليس المصالح [٤].

---

(١) العلاقات الروسية الهندية / مرحلة العلان الاستيراتيجي، مصدر سابق، ص٣.

(٢) د. نزار اسماعيل عبد اللطيف الحيالي، تقييم العلاقات الروسية ـ الامريكية، اوراق امريكية، مركز الدراسات الدولة، جامعة بغداد العدد ٥٧ كانون اول ٢٠٠٠.

(٣) نقلا عن *BBC* من موقع شبكة الانترنيت ٢٠٠٢/٥/٢٩. *www.bbc.com*

(٤) محمد زين العبادين محمد، النظام العالمي الجديد والشرخ في العلاقات عبر الاطلسي، من موقع على شبكة الانترنيت. *www.arabicebook.com*

اعتقد ان طرفيّ المعادلة يدركون تماما مقدرة الاخر، فروسيا تعرف نوايا واعمال الدول الغربية ازاءها وكذلك تعرف قدراتها بمواجهة الناتو نعتقد ان قدرتها تتمثل بخزينها النووي وبوسائل انتاج الاسلحة النووية لا باستخادمها عند الضرورة بل في السعي لانتشارها في. حال زيادة الضغط عليها. بين الدول و (المنظمات) وبخاصة الدول المعادية للولايات المتحدة اذ ان روسيا خبرت المناطق الرخوة في الجسد الغربي الامر الذي سيجعل الدول الغربية تفكر كثيرا قبل الاقدام على خطوة باتجاه مضايقة روسيا قد لا تستطيع تدارك ردود الافعال الروسية. اما الطرف الاخر (الناتو) فهو يدرك ايضا نقاط ضعفه وقوته ونقاط ضعف روسيا وقوتها وعلى هذا التصور لا اعتقد ان الغرب سيوصل بروسيا الى حالة التصادم به او التصادم الداخلي والذي لا يقل اهمية من التصادم الخارجي اذ يخشى منه هو سيطرة المحافظين ان كانوا قوميين او شيوعيين او رجال الجيش على السلطة وأعادت أحلام هذه النخبة في تحقيق الإمبراطورية الروسية، وقد تبدو سياسة الوعود والإغراء منسجمة مع الطلبات الروسية تلك السياسة التي تهدف الى تجريد الروس من خزينهم النووي والوصول الى جعل روسيا دولة تحتاج دائما العالم الغربي أسوة بالدول الاخرى ترتبط بعلاقات مع الدولة الاكبر في العالم الولايات المتحدة لا على أساس الندية او التوازن. وعلى ما يبدو ان كلا الطرفين يراهنون على الوقت الذي يعتبرونه كفيلا بتحقيق أهدافهما.

3. نزاع روسيا الاتحادية واليابان حول جزر الكوريل

تتالف جزر الكوريل من مجموعة جزر اربع منها رئيسة هي شيكوتان وهابوماي وكوناشير ووايتورون حيث تقع اقصى شمال شرق الارخبيل الياباني من المحيط الهندي وهي لاتبتعد عن السواحل اليابانية كثيرا اذ ان اقرب جزيرة لا تبتعد سوى اقل من اربعة

كيلومترات عن جزيرة هوكابدو اليابانية، وتبلغ عموم مساحة الجزر ٤٩٩٦ كم٢ [١].

يرجع الخلاف الحدودي بين روسيا واليابان الى ما قبل الحرب العالمية الاولى حين وقعت الدولتان معاهدة شيمودا عام ١٨٥٥ عندما حددت تلك المعاهدة حدودهما وبعد عشرين عاما وقعت الدولتان معاهدة اخرى تم بموجبها تنازل اليابان عن جزيرة ساخالين مقابل ان تحتفظ بجزر الكوريل المتكونة من ثمانية عشر جزيرة الممتدة من جزيرة اوربو جنوبا الى جزيرة شيموشو شمالا [٢] وفي عام ١٩٠٥ وقعت الدولتان معاهدة بورتسماوت بعد صراع عسكري استطاعت اليابان من تحقيق إنجازات عسكرية وبموجب تلك المعاهدة منحت جزيرة ساخلين الجنوبية الى اليابان [٣] عند نهاية الحرب العالمية الثانية وخروج اليابان منهزمة فيها عام ١٩٤٥ مكن الجيش السوفيتي من احتلال الجزر والتي تعدها اليابان جزءاً من اراضيها حيث تقع من جهة شمالها شرقي، حيث تتالف من اربع جزر رئيسية فضلاً عن العديد من الجزر الصغيرة والممتدة بشكل مستقيم، يقطن هذه الجزر حوالي ثمانية عشر الف نسمة اغلبهم من الروس ويمتهنون مهنة صيد الأسماك فضلا عن ذلك ان هذه الجزر تم فيها اكتشاف موارد وخامات من نفط وغاز ومعادن اخرى بما فيها معادن نادرة كذلك تحتوي على منتجات بحرية متنوعة ومعظم تلك الموارد والخامات تقع تقريبا في الجزيرتين اللتان ترغب روسيا بالاحتفاظ بها [٤] كما انها تعد ذات موقع مهم لامن اليابان لذا فان اليابان تجدد المطالبة بإعادتها منذ ذلك الحين الى يومنا هذا رغم ان اليابان قد تخلت بادعاء لحقوقها

---

(١) اطلس العالم. مصدر سابق.

(٢) د. سحر المجالي، جزر الكوريل وتطور العلاقات اليابانية الروسية الجديدة، موقع البيان على شبكة الانترنيت، ١٩٩٨/٥/١٠. *www.albayan.com*

(٣) احمد سعد الدين، الحرب الروسية اليابانية، من موقع على شبكة الانترنيت *www.alrez.net*

(٤) هادي شادي، نافذة من موسكو، جزر الكوريل من جديد من موقع على الانترنيت *www.alwatan.com*

في جنوب ساخالين بموجب اتفاقية السلام الموقعة عام ١٩٥١[١]. كما تعد الجزر بالنسبة لروسيا من الاهمية الاستيراتيجية اكثر منها اقتصادية وذلك لانها تشرف على المنفذ الذي تعبر منه القطع البحرية والغواصات الروسية المتمركزة في ميناء فلاديفوستوك. وقد انشأ الاتحاد السوفيتي قاعدة عسكرية في جزيرة شيكوتان قد تتركها روسيا في حال التنازل عن تلك الجزيرة. في عام ١٩٥٦ عادت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وعلى اثر ذلك تعهد الاتحاد السوفيتي باعداة جزيرتين الى اليابان بموجب اتفاقية (الاعلان المشترك) حيث تؤلف هاتان الجزيرتان حوالي ٧٪ من المساحة الاجمالية للجزر. لكن اليابان وقعت معاهدة مع الولايات المتحدة من العام نفسه سمحت بتواجد امريكي عسكري على اراضيها مما جعل الاتحاد السوفيتي يعلن عن عدم امكانية تنفيذ الوعود التي قطعها على نفسه [٢] ومنذ ذلك الحين لم يتم تنفيذ ما تعهد به رغم مطالبة اليابان المستمرة بعودة الجزر اليها. وحتى انهيار الاتحاد السوفيتي لم تكن مطالبة اليابان بالجزر تلقى اهتماماً من القيادة السوفيتية لكن بعد تفكك الاتحاد السوفيتي عاد الامل بعودة الجزر ففي عام ١٩٩٣ اكد الرئيس يلتسين بصلاحية الاتفاق الموقع عام ١٩٥٦ واعتبر ان الاتفاق ملزم لروسيا دون ان يحدد جدولاً زمنياً بتنفيذ ذلك الاتفاق. ونتيجة للحوادث التي وقعت بين الصيادين الروس واليابانين تم التوصل الى اتفاق عام ١٩٩٧ يسمح للصيادين اليابانين بالصيد حول الجزر كما يسمح لهم بزيارة الجزر من دول حصولهم على تاشيرة الدخول [٣]. ومع اشتداد الازمة الاقتصادية في روسيا قام الرئيس يلتسين بزيارة الى اليابان متخذا من عودة الجزر مدخلا للحصول على

---

(١) هاكمادة جاجيكي، العلاقات الروسية اليابانية، اعداد رانيا سعد توفيق، اصدار مركز دراسات الاهرام، كانون اول ١٩٩٧ *www.alahram.com*

(٢) هادي شادي، نافذة موسكو، جزر الكوريل من جديد، مصدر سابق. *www.alwatan.com*

(٣) د. سحر المجالي، جزر الكوريل وتطور العلاقات اليابانية الروسية الجديدة، المصدر السابق. *ww.albayan.com*

الوعود بالاستثمار الياباني داخل روسيا اذ اعلن عن قرب التوصل الى حل للنزاع القائم حول الجزر مع رغبة الدولتين الى تعزيز علاقاتهم الاقتصادية وفتح شراكة اقتصادية بينهما ودعا الرئيس يلتسين الشركات اليابانية لصناعة السيارات الى فتح فروع لها داخل روسيا فضلاً عن ذلك دعوته لليابان للقيام بالاستثمار في كافة المجالات [١].

نعتقد ان اليابان لم يستثمر السنوات العجاف التي مرت بها روسيا لاستعادة الجزر عبر تقديم بعض المساعدات او الهبات او الاستثمار داخل روسيا وقد يكون اليابان اراد ان يعيد الجزر بابخس الاثمان ونعتقد ان اليابان كان يراهن على الوقت فعجلة التدهور متسارعة وسياتي اليوم الذي تبادر روسيا للتنازل عن الجزر مقابل أي ثمن لهذا نجد ان اليابان طيلة الفترة الماضية لم يسع بشكل مثابر الى المطالبة بها. نعتقد ان روسيا لن تتنازل عن الجزر بالسهولة التي تتوقعها اليابان بعد ان تجاومت المحن الرئيس واستطاعت ان تبدأ برامج تنموية لتعيد الى روسيا مكانتها الدولية على الصعيد الامني والاقتصادي. ففي ايلول من عام ٢٠٠٠ قام الرئيس بوتين بزيارة الى اليابان وقد استبعد أي تنازل عن الجزر بمناسبة تلك الزيارة ونقلت عنه خلال زيارته الى جنوب جزيرة ساخالين (لن نتنازل عن جزر الكوريل وستطفئ مسالة الجزر المعقدة التي ضمها الاتحاد السوفيتي سابقا عام ١٩٤٥)[٢]. الا ان هذا الامر لم يرق لليابان فقد طالب رئيس وزرائها باعداة جزيرتين طبقا للاتفاق المبرم بين الدولتين عام ١٩٥٦ مقابل توقيع اتفاقية سلام دائمة، اما رئيس وزراء اليابان الجديد فقد دشن حكومته بالطلب الى روسيا باعداة جميع الجزر إذ يعتبر هذا الطلب مختلفا عن سابقه نظرا للمطالبة بالجزر جميعها ليس فقط ما متفق عليه [٣]. اما تلك

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) نقلا عن وكالة انتر فاكس الروسية في ٢٠٠٠/٩/٣ *www.interfax-news.com*

(٣) محمد ابراهيم الدسوقي، مجلة العالم، العدد ١٢٥، ٢٠٠١/٥/١٥ موقع على شبكة الانترنيت *www.alaalam.com*

الضغوطات اعلنت روسيا وعبر وزير خارجيتها ان روسيا ملتزمة باعادة جزيرتين بحسب الاتفاق بينهما لكنه لم يحدد تاريخ التنازل. كما الزمت هذه الطلبات الرئيس بوتين باعادة الجزر اذ اعلن على استعداده لإعادتها مقابل التوقيع على اتفاقية سلام رسمية، وتساءل مستغربا من الطلب الياباني حول المطالبة بجميع الجزر وهي التي وقعت الاتفاق على جزيرتين فقط [١] ونعتقد ان الاسباب التي جعلت الرئيس الروسي باعلانه هو شعور من خشيته من تصاعد القوة الصينية والتي قد تحجم دور روسيا في اسيا الوسطى الامر الذي يقتضي بوجود حليف يعتمد عليه امام تلك القوة المتصاعدة وخير حليف هو اليابان. والى حين اتمام ما يامل به كلا الطرفين فان تدفق الاستثمار الياباني في روسيا يبقى متعثرا.

واعتقد ان روسيا ستجعل من هذه الجزر البوابة التي من خلالها ستنفذ الى تكتلات اقتصادية وامنية آسيوية ردا على زحف الناتو اليها من الشرق. او تحوطا من جر اليابان الى تحالف قد يشكل تهديدا لها.

(١) من حديث بوتين في احد المؤتمرات الصحفية نقلا عن موقع *www.masrawy.com*

الفصل الرابع

العلاقات بين العراق وروسيا الاتحادية

تالف هذا الفصل من ثلاث بحوث افردنا منه مبحثا يجيب عن سؤال لماذا العلاقة بين الدولتين من مختلف النواح الاقتصادية والأمنية والجغرافية والسياسي وتأثير تلك الاسباب على طبيعة العلاقة.

اما في المبحث الآخر فقد تناولنا اثر القرارات الدولية على علاقة العراق بروسيا وحاولنا ان نصل الى طبيعة التوجهات الروسية حيال العراق من خلال طرحنا لعدد من الاستفسارات ونحن نعتقد ان روسيا تعاملت بالقضية العراقية وفق اسلوب تكتيكي او مرحلي، فتباينت مواقفها بين جرأة المجازفة حين تعيد قراءة قرارات مجلس الامن المتعلقة بتسير الرحلات الجوية الى العراق وبين مواقف تكون تبتعد عن العراق بطريقة او باخرى. فكلما واجهت مشاكل مع الولايات المتحدة كلما القت بظلالها على تعاملها مع العراق. كما حاولنا ان نظهر ان سعي العراق لاعادة علاقته مع روسيا لم تكن مشفوعة بعلاقته التاريخية معها فحسب بل ان العراق قد افرز القوى القادرة على كبح اندفاع الولايات المتحدة اتجاهه ونعتقد ان السلطة في العراق ان تدرك الخارطة السياسي العالمية لكن نعتقد ان ادراكها جاء متاخرا وغير ذي نفع.

اما المبحث الثالث فقد اوجزناه باوجه التعاون او التبادل التجاري بين العراق وروسيا في المجالات التي فتحت للعراق وسمح وفق اتفاقية النفط مقابل الغذاء. وحاولنا ان نظهر ان السلطة في العراق ارادة ان تنفذ من خلال تلك الاتفاقية الى عالم اوسع، ونرى ان العراق استطاع ان يجر الدول لاتخاذ موقفا منحازا له امام العقوبات لكن احداث ايلول حالت دون تحقيق ما يصبو اليه فقد جاءت احداث ايلول بمثابة الفاصل بمواقف الدول

ازاء الولايات المتحدة بين مؤيد ومناصر لها في قضاياها وبين رافض لكل مشاريعها على المستوى الدولي ونعتقد ان العديد من الدول قد ناصرت الولايات المتحدة والبعض الاخر اثر الصمت على ما تعزم على عمله في الساحة الدولية.

المبحث الاول

الأسباب والدوافع التي دعت روسيا بالتوجه نحو العراق من الناحية الأمنية والاقتصادية والجغرافية والسياسية

كما سبق واشرنا ان روسيا الاتحادية قد ورثت اغلب الحقوق والالتزامات من الاتحاد السوفيتي ومن ضمن ما سعت الحافظ عليه هو اهتمامها بمنطقة الشرق الاوسط وبخاصة العراق حيث يعتبر انه الاقرب اليها جغرافيا كما ان روسيا تتصرف وفق المكانة الدولية التي تتمتع بها بصفتها عضو بمجلس الامن وما يرتب عليها من التزام بضمان الامن في المنطقة.

1. الدوافع الجغرافية والأمنية

استطردنا في الفصل الاول من هذا البحث رغبة روسيا بالحصول على موطئ قدم في المنطقة العربية من خلال العراق عبر الحوادث التاريخية، ولا فرق بين روسيا القيصرية او الاتحاد السوفيتي او روسيا الاتحادية فالاهتمام هو ذاته طالما ان روسيا بمختلف أسماءها هي دولة تسعى الى تامين مصالحها [1].

لماذا العلاقة ما هي مصالح روسيا بارتباطه مع دولة مثل العراق ازاء هذا التساؤل لبد لنا ان نستعرض مكانة العراق من النواح الامنية والجغرافية من الناحية الجغرافية.

---

(١) انظر الفصل الاول من هذا البحث ص٥٧.

أ) **الموقع**: يقع العراق في الجزء الجنوبي الغربي لقارة اسيا اما بالنسبة لموقعه في الوطن العربي فهو يحتل الجزء الشمالي الشرقي له وهذا فهو يجاور دولتين أجنبيتين هما تركيا وايران وتفصلهما عنه حدود طبيعية متمثلة بسلسلة جبال طوروس وزاكروس. شغل العراق موقعا فلكيا بين دائرتي عرض ٢٩ و ٣٧ شمالا وطول ٣٨ و ٤٨ شرقا وهذا الموقع يضعه كليا في المنطقة المعتدلة الشمالية ويتيح له ظروفا ينعم فيها بفصول مناخية جيدة [١].

وله حدود مع اقطار عربية فمن الغرب تحده سوريا والاردن ومن الجنوب تحده المملكة العربية السعودية والكويت. ولاهمية هذا الموقع فقد لعب العراق دورا هاما في القضايا الاقليمية والدولية قديما وحديثا. فقبل اكتشاف طريق الرجاء الصالح وممر قناة السويس كان العراق بموقعه هذا له دور مهما في خدمة التجارة العالمية حيث يتوسط العالم القديم المتمثل بالقارات الثلاث (اسيا و اوربا وافريقيا) ويعتبر حلقة وصل بينهما اما حديثا ومنذ اكتشاف النفط في منطقة الخليج العربي فقد أعيد لهذا الموقع دوره في تامين طرق المواصلات والذي يقع على راس الخليج العربي ولاهمية هذا الموقع سعت اليه المانيا في مطلع القرن العشرين عندما بدأت بمد سكة حديد برلين ـ بغداد وصولا الى راس الخليج العربي.

ب) **مساحة العراق**: تبلغ مساحة العراق حوالي ٤٤٤،٣٢٠ كم٢ وتبلغ الكثافة السكانية حوالي ٤٧ نسمة لكل كم٢. يمر عبر أراضيه نهرين رئيسين هما دجلة والفرات وهما يخترقانه من الشمال الى الجنوب ومن شرقه الى غربه اضافة الى وجود روافد وانهار محلية [٢].

تعتبر ارض العراق من اخصب البقاع حيث يضم على اراضي صالحة للزراعة وبمساحات واسعة. والعراق يقع بين خطي عرض ٢٩-٣٧ شمالا لذا فهو يتمتع بتنوع

---

(١) اطلس العراق، من موقع على شبكة الانترنيت. *www.raadsk.com*

(٢) مساحة العراق، من موقع على شبكة الانترنيت *www.arabsawa.com*

مناخي تمتد من مناطق جبلية باردة جافة الى مناطق سهلية دافئة رطبة لهذا ففي أرضه تزرع معظم المنتجات الزراعية كالحبوب والتبغ والتمور وباقي اشجار الفواكه [١].

ج) **سكان العراق**: يبلغ سكان العراق ٢٢.٤٣٧.١٥٠ مليون نسمة حسب احصاء عام ١٩٩٧ يؤلف الحضر منهم حوالي ٧٤.٦٪ اما سكان الريف فيؤلفون حوالي ٢٥.٤٪ وان نسبة الامية فيه تصل الى حوالي ٤٢٪.

المجتمع العراقي يتالف من عدة قوميات (عرب وكرد وتركمان واشور وكلدان واخرين) فالعرب الذين يؤلفون حوالي ٧٥ـ٨٠٪ من مجموع السكان في حين تصل نسبة ١٥-٢٠٪ اكراد واما باقي القوميات فتؤلف حوالي ٥٪ [٢].

د) اقتصاد العراق وموارده: يعتمد اقتصاد العراق اعتمادا كليا على ما ينتجه من مواد خام وبخاصة النفط اضافة الى بعض النتجات الزراعية. يبلغ الناتج القومي حوالي ٤٦.٦٦ مليار دولار (١٩٩٠). ووفقا لما يتميز به هذا البلد فقد كان ومنذ القدم اول المناطق التي يستوطنها الانسان ويبني حاضرته واصبح مهد الحضارات (ان اقدم حضارة في العراق هي حضارة العبيد واريدو التي ترجع الى ٥٠٠٠ ق.م وهي تمثل اقدم استيطان سامي عربي في جنوب العراق)[٣] ومحل الطامعين فيه من غزاة ومستعمرين ولهذا فقد مر العراق بالكثير من فتراة الاحتلال والتخلف. وقد نال استقلاله في ٣ تشرين اول من عام ١٩٣٢.

ان روسيا تعتبر العراق من المناطق المهمة على الساحة الدولية للأسباب جيوستراتيجية وان تبذل روسيا كافة الوسائل والسبل للحصول على علاقة معه تكفل تامين مصالحها.

---

(١) ارض الرافدين من موقع على شبكة الانترنيت *www.menfn.com*

(٢) اطلس العالم، قرص مدمج.

(٣) د. احمد سوسة، حضارة وادي الرافدين بين السامين والسومرين، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٠، ص١٧٨.

ان الظروف الداخلية للمنطقة العربية والعراق بشكل خاص وما يمر به من تناقضات واوضاع غير مستقرة الى جانب التواجد العسكري الغربي في منطقة الخليج الغربي بحجة الحفاظ على الاستقرار في هذه المنطقة فضلا عن المشاكل الداخلية لدول المنطقة بشكل عام دعت روسيا الى ان تعلن موقفها وفي هذا يقول الخبير الروسي فكتور بوسفاليوك ما نصه (... منطقة الخليج العربي المرفهة في داخلها ليست في موقع مامون تماما اذ انها تقع في وسط ما يشبه الطوق من المناطق غير مستقرة سياسيا واجتماعيا)[١] وابقت روسيا الاتحادية عينها على المنطقة رغم المشاكل التي تعصف بها وقد يكون احد اسباب تلك المشاكل هو ابتعادها عن الاهتمام بالمنطقة وبالعراق بعد ابتعادها الطوعي عن نفوذها بالمنطقة.

بداع انها تبدا مع العالم الغربي بعلاقة تعاون وشراكة مما جعل الغرب يهيمن على المنطقة دون السماح التواجد الروسي فيها ان هذا الموقف الروسي جاء نتيجة انسياقها وراء الوعود الغربية والتي كانت تأمل بالحصول على أعلى قدر ممكن من تدفق المساعدات بتخليها عن فكرة الصراع وإحلال محلها مفاهيم جديدة بينها والغرب كالتواؤم والتوافق وليس الندية لكن تلك المفاهيم لم تأتي ثمارها بل أثبتت عجزها ولم تحقق ما كان يرجى وبخاصة مشاكل روسيا الاقتصادية والذي بدوره انحسر النفوذ الروسي بالساحة الدولية والإقليمية [٢] الامر الذي دعا ولو بعد حين الى الإعلان عن رغبة روسيا بالعودة الى المنطقة باعتبارها دولة لا زالت تعد من الدول المؤثرة على العلاقات الدولية وانها احد الدول القادرة على حفظ الامن والاستقرار في المنطقة والعالم وقد اورد رغبة روسيا الخبير نفسه حين قال ان اهتمام روسيا هو المزيد من الانفتاح على منطقة الخليج الواعدة والغنية وبوصفها اقرب جار ودولة بحرية عظمى وعضو دائم في مجلس الامن يتعزز لديها الاهتمام بان تكون احد

(١) د. منعم صاحي العمار، ص١٩١. مصدر سابق.

(٢) د. عبد القادر محمد فهمي، مصدر سابق، ص٤١.

ضامني الأمن والدفاع في المنطقة الخليج ولا يستبعد ان يكون العراق اهم مقومات هذه المنظومة [١].

فضلا عن ذلك ان روسيا تدرك جيدا ان التواجد الغربي (الامريكي) في المنطقة ليس لحفظ الامن والاستقرار بل يتعدى الى السيطرة على منابع النفظ في المنطقة وبالتالي سوف ترهن روسيا والعالم عن طريق سيطرتها على تلك الثروة الحيوية مما سيهدد روسيا إستراتيجيا وعلى المدى البعيد الامر الذي يتقاطع مع تطلعاتها على الصعيد السياسة الخارجية الدولية ويجعل من الامن القومي الروسي يقع في التأثير الغربي عليه [٢].

وتأسيا على ما تقدم نجد ان روسيا تحاول ان تجد لها مكان في المنطقة عبر إقامة علاقات مع دول المنطقة مبتدئة بالعراق ساعية لتوفير أمن مستقبلها لإدراكها ان إقامة مثل تلك العلاقات إنما تهدف إلى مكاسب إقليمية مستقلة عن أهدافها الدولية ومن بين أهدافها هو تكريس نفوذها بالمنطقة عبر العراق والى هذا فقد صرح مسؤول في الخارجية الروسية حين قال (ان روسيا ينبغي ان تتحمل مسؤولية عن الأمن في الخليج)[٣].

2. الدوافع الاقتصادية

يتمتع العراق بمكانة اقتصادية مرموقة على مستوى الاقليمي وحتى العالمي لما يحتوي على امكانيات كبيرة وثروات هائلة يجعله ان يكون محور اهتمام لجميع الدول فالى جانب موقعه الجغرافي يمكن اجمال امكانية العراق بالاتي:

١ـ العراق يحتضن ثالث اكبر مستودع نفطي في العالم اذ تشير البيانات ان العراق له من

---

(١) عبد الملك خليل، موسكو تسعى لتجاوز علاقات التماس مع دول الخليج العربي، جريدة الأهرام، ١٩٩٤/٤/١٩.

(٢) عبد القادر محمد فهمي، مصدر سابق، ص٣٦.

(٣) نقلا عن محمد جميل ابراهيم، رسالة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، ص٧٢.

الاحتياط المضمون ما يقارب ١١٣.٨ مليار برميل او ما يعادل ١١٪ من اجمالي الاحتياط العالمي ورابعا دولة من الاحتياط الغير مؤكد ما يقدر بحوالي ١٨٠ مليار برميل في حين تشير تقديرات اخرى الى رقم اعلى من ذلك بكثير حيث تقدر ٣٠٠ مليار برميل فضلا عن تنوع نفطه من الثقيل جدا الى الخفيف جدا ويقدر عمر النفط العراقي بحوالي ٢٥٠ سنة الى جانب ذلك فان النفط العراقي يتميز بقلة كلفة الانتاج حيث يقدر ب ٩٧ سنت للبرميل الواحد [١] ويعد من اغنى بلدان العالم بثروته النفطية [٢] كما ان العراق تتوفر فيه كافة البنى التحتية للانتاج النفط ولديه شبكة كبيرة من انابيب التصدير مع تعدد منافذ التصدير ولديه القدرة على نقل نفطه في اغلب البحار الرئيسية مثل البحر المتوسط والخليج العربي والبحر الاحمر.

٢ـ وجود احتياطي مثبت من الغاز يقدر بحوالي ٣.١٤٩ تريليون متر مكعب.

٣ـ يحتوي العراق على العديد من الوارد الطبيعية كالحديد والألمنيوم واليورانيوم والفوسفات والكبريت.

٤ـ يعتبر العراق من الاسواق الواعدة ويستطيع ان يستوعب اغلب المنتجات المصنعة او شبه المصنعة.

٥ـ ديون العراق لروسيا والتي تقدر حوالي ٧ مليار دولار.

٦ـ محاولة اعادة تسليح الجيش العراقي من جديد اذ تشير البيانات ان العراق قد استورد من الاتحاد السوفيتي سلاح بقيمة ٢٤ مليار دولار حيث غطى حوالي ٥٠٪ من احتياجاته العسكرية [٣] ويشير وزير العلاقات الاقتصادية الخارجية الروسية سيرغي

---

(١) اشواق عباس، الملف النفطي العراقي، الحوار المتمدن، العدد ١٠٩٨ في ٢٠٠٥/٢/٣. من موقع على شبكة الانترنيت.

(٢) د. مجيد الهيتي، مساهمة في النقاش حول نقطنا، من موقع على شبكة الانترنيت.

(٣) احمد شفيق، بانهيار الاتحاد السوفيتي انهارت صادرات روسيا الى العرب، مجلة بيان الاربعاء، من موقع على شبكة الانترنيت.

غلاييف ان روسيا قد خسرت حوالي ٢.٥ مليار دولار بسبب توقف مبيعات السلاح العراق تسبب العقوبات الاقتصادية التي فرضتها الامم المتحدة عليه[١].

٧ـ ضمن اتفاقية النفط فلروسيا عقود مؤجلة لحين رفع العقوبات تقدر بحوالي ٤٠ مليار دولار.

(١) نقلا عن صحيفة ازفيستيا، من موقع الصحيفة على شبة الانترنيت، ١٩٩٣/٦/٢١.

المبحث الثاني

مدى تاثير قرارات مجلس الامن على علاقة العراق مع روسيا الاتحادية

كما اسلفنا ان العراق قد خضع لقرارات اممية طيلة الفترة التي اهتم بها البحث ولسنا هنا في محل شرعية القرارات او التأثيرات الإنسانية التي اصابت المجتمع العراقي جراءها وبالقدر الذي يتعلق الامر بعلاقة العراق مع روسيا ضمن حدود لتلك القرارات ومدى قدرة روسيا على التعامل مع العراق او المساعدة في وجود ثغرات يمكن من خلالها الولوج الى العراق الصديق القديم. ولنا ان نتساءل هل كان بمقدور روسيا ان تتجاوز على القرارات التي صاغت بعضها ومرت بموافقتها او بالأقل بعدم ممانعة منها؟. وهل كان العراق بالنسبة لروسيا الورقة التي يمكن ان ينفذ منها الى الغرب والدول الخليجية الغنية؟ هل كانت روسيا جادة بمطالبتها بعودة العراق الى الحضيرة الدولية؟ ما هي مصالح روسيا في حال انهاء العقوبات الاقتصادية على العراق؟ هل كان العراق يسعى لتمتين العلاقة مع روسيا وفق المنطلق التاريخي لعلاقة الدولتين ام لاسباب اخرى؟

وللوصول الى اجابات تقترب من الواقع لابد لنا ان نبيين ان سياسة روسيا تحكمها جملة من لاعتبارات التالية:

١ـ ان روسيا لها من المشاكل ما تحول دون الاعتماد عليها في التدخل او ايجاد الحلول للمشاكل الدولية وبخاصة الازمات التي للولايات المتحدة حضورا فعليا بها وقد بينا في

فصل سابق مدى اعتماد روسيا على الولايات المتحدة في حصولها على المساعدات او التقنية الغربية لرفد صناعتها بها [١].

٢ـ ان روسيا قد ادخلت التغييرات في بنية سياستها الاقتصادية وعليها ان تتعامل مع ذلك النظام بدء من تشريع القوانين الى التوافق مع متطلبات تطبيق هذا النظام [٢]. فعند تطبيق خصخصة القطاع العام ذهبت العديد من المؤسسات الانتاجية والاعلامية الى جهات قد لا تتوافق مع التوجهات الرسمية الروسية كما ان السماح بالاستثمار الخارجي بالدخول لروسيا قد افضى الى اظهار الشركات متعددة الجنسيات وبالتالي فان سياسة الشركات ليس بالضرورة هو التوافق مع سياسة الخارجية لروسيا.

٣ـ ان سياسة الانفتاح والتغير الديمقراطي قد اظهر صراعا بين كتل ياسية تتمثل بالاحزاب التقدمية والاحزاب القومية وكل من تلك الاحزاب لها مشروعها السياسي ازاء العراق والولايات المتحدة لهذا فان صانع القرار السياسي ضل مترددا باتخاذ قرارا جريئا مع الاخذ بالاعتبار الواقع الذي تمر بها روسيا. فضلا عن وجود اجهزة او مؤسسات كل منها له من العلاقات مع جهات خارج وداخل روسيا ما تستطيع به التاثير على تلك الاجهزة والمؤسسات.

٤ـ تتازل روسيا عن بعدها الايدلوجي في علاقتها مع الاخرين وتاثير ذلك البعد على مواقفها من الاحداث الدولية، لذلك جعلت من القضية العراقية محل ابتزار واسترزاق او تصفية قضايا عالقة امام الدول الاخرى. وهذا النهج قد توارد من سابقه الاتحاد السوفيتي عندما حصل على قروض بمبلغ مليار دولار ومائة مليون دولار من الكويت تقديرا لمواقفه من الازمة عام ١٩٩٠ فضلا عن ذلك فان الكويت اعلنت على سعيها للحصول

---

(١) انظر المشكلة الاقتصادية في الصل الثاني من هذا البحث، ص٥٧.

(٢) المصدر نفسه.

على السلاح الروسي بقيمة مليار دولار كاغراء لها لضمان صمتها ازاء القضية العراقية [١]. ما ذهب اليه ايفور مليخوف مدير ادارة الشرق الاوسط في الخارجية الروسية عندما صرح في مقارنة بين العهد السوفيتي والعهد الجديد قائلا (ان السياسة السوفيتية السابقة اتجاه الشرق الاوسط ادت الى موقف مليء بالتناقضات فبينما منحت موسكو البلايين للدول العربية فانها لم تحصل في مقابل ذلك على أي عائد مادي محسوس وفضلا عن ذلك فاننا قد تركنا الدول العربية الغنية خارج نطاق سياستنا النشطة [٢]. اما مبعوث الخاص للرئيس يلتسين لشؤون الشرق الاوسط فقد قال ان علاقتنا مع دول العربية قد انتهت حيث كانت ترهقنا بسبب حجم الديون المقدمة من روسيا الى تلك الدول مؤكدا ان تلك العلاقات انطوت الى غير رجعة [٣].

وفق هذه الاعتبارات نعتقد ان روسيا ضلت حبيسة بها ولم تستطع مغادرتها رغم اننا اوضحنا ان بعض مشاكل روسيا في طريقها الى الحل وبعضها تم تجاوزها الا ان سياسة روسيا ازاء القضية العراقية لم تشهد خطوات عملية توصل الى انهاء الازمة او تقليل من وقع العقوبات لكلا الدولتان. وعودا الى التساؤلات التي طرحناها والوصول الى صيغة نستطيع بها تحديد الاطار العام لسياستها لابد من الوقوف على الاراء والمواقف التي كان يتخذها القادة الروس.

من سوء طالع العراق ان العقوبات التي فرضت عليه تزامنت مع انهيار الاتحاد السوفيتي ولسنا هنا في البحث عن توقيت افتعال الازمة، وان روسيا الاتحادية في ذلك الوقت كانت تمر باسوء مرحلة مما جعل الولايات المتحدة تتخذ العديد من الاجراءات المنفردة او بغطاء دولي ضد العراق برض او بتغيب الروس لانشغالهم بتسوية ما تركه لها

---

(١) صحيفة الاهرام في ١٩٩٤/٢/١٢.

(٢) *Igor Melikov "Russia and the Middle East" Intemational Affairs, ١٩٩٣, p* ٦١

(٣) مجلة الوطن العربي، العدد ٨٩٥ في ١٩٩٤/٤/٢٩.

الاتحاد السوفيتي، واعتقاد الروس ان جزء من التخلص من مشاكلهم هو بالسعي وراء الولايات المتحدة بعد تقديم الوعود بالمساعدات والتسهيلات عند صندوق النقد الدولي لذا فان الموقف الروسي من الازمة العراقية تيمز بتكرار الطلبات الامريكية رغم ان ما احدثه العراق من خرق فاضح بالعلاقات الدولية لا يمكن لاحد السكوت او التغاضي عنه، استمر هذا الموقف الروسي الى حين اجراء الانتخابات البرلمانية عام ١٩٩٣ وما رشح عنها من فوز الاحزاب المحافظة تلك الاحزاب التي ترى ان السعي وراء المجتمع الغربي ليس بنافع لروسيا وان الوعود التي وعدوا بها ما هي الا سراب وان الافضل لروسيا هو الاعتماد على قدراتها واعادة علاقاتها الخارجية وفق مصالحها وان الولايات المتحدة لن تتوانى في ايذاء روسيا باي وسيلة كانت. ان نتائج الانتخابات التي افرزت الكتل المحافظة والقومية التي طالبت باستئناف العلاقات التجارية مع العراق وهذا ما يشير على قيام وفود برلمانية بزيارات للعراق عام ١٩٩٢ و ١٩٩٣ [١] ولم تكتف تلك الوفود بتلك الخطوات فحسب بل ذهب البعض للتذكير بماضي دولتهم حين قال زعيم الحزب الشيوعي زيغانوف ما نصه (لو كان الاتحاد السوفيتي لا يزال موجودا لكان اصدار بيان واحد يعلن فيه رفضه للحرب على العراق ولكان كل شيئ انتهى بسلام) [٢] فبدء قادة الروس بالتململ من الازمة رغم انه لم يوصل الى ما هو واضح وعملي الا انه جاء على ما نعتقد احتواء النفور الذي شاب مواقف الاحزاب الفائزة بالانتخابات كما نعتقد ان الروس يدركون جيدا ان قرارات مجلس الامن ما هي الا غطاء لتمرير التواجد الامريكي في المنطقة وبالتالي فان امنهم القومي ليس بمنئ عن التهديدات الخارجية. لهذا نرى ان نائب مدير عام دائرة الشرق الاوسط في وزارة الخارجية الروسي حين قال (ان

---

(١) نقلا عن صحيفة الشرق الاوسط اللندنية من موقع الصحيفة على شبكة الانترنيت، ١٩٩٣/١٠/٢٦.

(٢) خليل الجنداوي، موسكو تبدا رحلة العودة الى المنطقة العربية، مجلة السياسة الدولية، مركز دراسات الاهرام، العدد ١٢٧، اذار ١٩٩٨.

روسيا لا تنطلق في معالجتها للقضية العراقية من مصالحها الاقتصادية فقط وانما تنطلق ايضا من دوافع روسيا السياسية التي هي اوسع بكثير، واكد ان بلاده تتحمل مسؤولية أخلاقية كدولة عظمى في مسالة عدم بروز نقاط توتر عسكرية جديدة في منطقة الخليج العربي ويجب التذكير ان العراق يقع على مقربة مباشرة مع الحدود روسيا وان ما يجري من احداث هناك لا يمكن الا ان تمس المصالح السياسية والاستراتيجية لروسيا)[١].

قد نستطيع القول لن روسيا تدرك ان الولايات المتحدة قج تعسفت باستخدام الحق وبخاصة عند قيام الولايات المتحدة بتوجيه ضربات عسكرية بين الحين والحين فكان موقف روسيا من تلك الضربات هو ضرورة تبني الوسائل السلمية في انهاء الازمة وهو ما اكده يفيغيني بريماكوف حين قال (ان الولايات المتحدة لا تملك حقا يجيز لها استخدام القوة العسكرية ضد العراق وان روسيا ترفض محاولات املاء معايير النظام الدولي الجديد على الطريقة الامريكية)[٢] اذ كان ينظر الى الولايات المتحدة عند تطبيق قرارات مجلس الامن بخصوص العراق بصرامة مبالغة فيها وانما تسعى لمصالحها او لتصفية حساباتها بغطاء دولي حيث ان موقفها هذا المتشدد لم تشهد له في باقي الازمات الدولية التي ليس لها مصالح بل واحيانا نجد مواقفها تعترض الشرعية الدولية. ازاء هذا الادراك وذلك الضغط الداخلي خرج ذلك التململ الذي حذر منه السياسيون الامريكيون كما اورد عن بريجنسكي اذ قال (للاسف ما زال النبض الامبراطوري قويا في روسيا بل انه يزداد قوة)[٣].

حاولت روسيا ان تقف من الازمة العراقية وباقي الازمات موقف وسط بين

---

(١) نقلا عن صحيفة الراي الاردنية العدد ٩٠٠٠ في ١٩٩٥/٤/١٦.

(٢) رضا محمد هلال، مستقبل التعاون الفرنسي الروسي الالماني، مصدر سابق، ص٢٠٥.

(٣) لمى مضر الامارة، سياسة روسيا الاتحادية اتجاه دول الخليج العربي، مصدر سابق، ص٥٩.

مصالحها وبين احتواء المتطلبات الدولية وبخاصة الامريكية لئلا يصل الى نقطة التصادم ففي مناسبة الاحتفال بيوم النصر في ٩/ ٥/ ١٩٩٤ قال الرئيس يلتسين (بان روسيا اصغت في العامين الماضيين الى نصائح الاخرين في كيفية بناء حياتها الجديدة ولكنها اليوم ستمضي في دربها الخاص بعد ان تكدست لديها التجربة الكافية فطريق روسيا على مدى التاريخ متميز من دور الدول الاخرى)[١] في تشرين ثان من عام ١٩٩٤ حاول العراق ان يجر العالم الى حدث لم يكن يرجى فيه الا اسماع صوته بعد ان نسى العالم ازمتة وهو غارق في مشاكله المتعددة فاقدم على تحريك جزء من قطعاته العسكرية باتجاه الجنوب منذرا باجتياح جديد للكويت اذا ما انهي الحصار المفروض عليه وحيال هذا التصعيد دخل الروس في الازمة راعيا للتفاوض مع العراق بالوصول الى انهاء الازمة، تلك الازمة التي انتهت باعتراف العراق بالكويت كدولة مستقلة ولها السيادة على اراضيها. استطاعت الدبلوماسية الروسية من نزع فتيل الازمة واخذ اعتراف العراق عبر مؤسساته الدستورية بالكويت ثم حمل الاعتراف وذهب به الى الكويت واعدا العراق بان روسيا ستقف موقفا حازما من موضوع الحصار وانها ستسعى لاستصدار قرار بهذا الشان. وقد جاء تصريح وزير خارجية روسيا (اندريه كوزيريف) عقب انهاء الازمة (ان روسيا في الوقت الذي تحرص فيه على حتمية تنفيذ العراق لقرارات الدولية فانها معنية بخفيف العقوبات على العراق بالارتباط مع امتثال العراق لقرارات مجلس الامن، ونحن نعتقد انه لا معنى لحشر العراق في الزاوية الحرجة بل على العكس يجب تشجيعه على تنفيذ قرارات مجلس الامن الهادفة لتسوية الوضع في الخليج)[٢] نعتقد ان الازمة لم تكن ازمة حادة بالغة التعقيد بل ازمة يراد منها تحقيق شيئ.

---

(١) عبد الكريم حمودي مصدر سابق ص١١.

(٢) صحيفة الراي الاردنية، العدد ٨٨١٧ في ١٢/١٠/١٩٩٤.

ولو على حساب الحقوق الوطنية ونعتقد ان الروس لم يكونوا دبلوماسين حاذقين في ايجاد الحلول، كما لم تكن القيادة في العراق تابه بالاعتراف او النازل عن جزء من الاراضي العراقية الى دولة كانت في الامس القريب يعدها جزء من العراق ونعتقد ان السلطة الحاكمة كانت تعتبر ان ما هو قائم ليس من الصعوبة التملص منه او التحلل من جميع الاتفاقات حال رفع العقوبات المفروضة عليه. رغم ان الاعتراف جاء بمثابة مهر مقابل تخفيف الحصار بناءا على الوعد الروسي اذ نقلت وكالة ايتارتاس عن وزير خارجية روسيا بقوله سوف تعمل روسيا من اجل ان يجئ رد مجلس الامن في جلسته القادمة مناسبا للخطوة السياسية القوية الحقيقية التي اتخذها العراق [١] الا انه لم تستطع روسيا من حلحلة موضوع الحصار او الوقوف بوجه أي قرارات من شانها احكام القبضة على العراق.

ان التدخل الروسي لانهاء الازمة قد منحها العديد من الامتيازات الداخلية والسياسية والاقتصادية فعلى الصعيد الداخلي ان القادة الروس استغلوا الازمة بعد ان تعالت الاصوات داخل البرلمان وفي اجهزة الاعلام بضرورة ان تاخذ القيادة الروسية طريقا يبتعد عن ما ترغب به الولايات المتحدة عليها ان تضع المصالح الوطنية في تعاملها مع القضية العراقية.

اما على الصعيد الخارجي فقد مكن الروس من الاعلان عن عودتهم الى المنطقة وان على الاخرين ان يحترموا الدور الروسي ودعم من مكانة روسيا في الساحة الدولية وما صرح به نائب رئيس مجلس الدوما يصب في ذات الاتجاه حين قال (ان جهود الرئيس يلتسين ووزير الخارجية توجت بنجاح وتشهد على ان دبلوماسيتنا اليوم لها مكان تستحقه في العالم والتي اوردها بعد الاعتراف بالكويت خير دليل على ذلك)[٢] ففي كانون اول من

(١) صحيفة الراي الاردنية، العدد ٨٨٤٩ في ١٣/١١/١٩٩٤، موقع على شبكة الانترنيت، الارشف.

(٢) صحيفة الراي الاردنية، العدد ٨٨٤٩ في ١٣/١١/١٩٩٤، موقع على شبكة الانترنيت. الارشيف.

عام ١٩٩٤ وفي مؤتمر الامن والتعاون الاوربي صرح مسؤول في الخارجية الروسية في حال حصول تعارض بمصلحتي روسيا والولايات المتحدة فستعسعى روسيا الى ايجاد صيغة مشتركة ولكن في حال وصولها الى التعارض فلا يجب ان تشغلنا المصالح الامريكية عن تحقيق مصالحنا [١] كما اشار وزير الخارجية الروسي بذات الاتجاه عندما قال (ان روسيا لن تكون قوة من الدرجة الثانية)[٢].

اما على الصعيد الاقتصادي فقد استطاعت روسيا ان تنفذ عبر هذه الازمة الى دول الخليج واعتبارها صديق وحليف لها ونعتقد ان قبول دول الخليج بالدور الروسي هو الثمن الذي ناله الروس من انهاء الازمة فقد تمت صفقة لبيع السلاح الى الكويت بقيمة ٧٦٠ مليون دولار واظن ان الكويت ليست بحاجة الى تلك الصفة بقدر ما تحتاجه من روسيا هو التملص من التزاماتها اتجاه العراقوتركه وحيدا بلا مناصر.

لم ترتق المطالبات الروسية بضرورة رفع الحصار الاقتصادي عن العراق طيلة هذه الفترة لغاية اتفاق النفط مقابل الغذاء الموقعة عام ١٩٩٦ الى ما يدلل من جدية او قدرة على احداث تغيير او شرخ في ارادة الاخرين ويمكننا القوم ان المطالبات الروسية الخجولة لم تكن تهدف سوى السير مع التوجهات المعارضة المحافظة في الدوما وهي بمثابة استهلاكا داخليا مع الاخذ بالاعتبار ان اغلب التصريحات الرسمية الصادرة من المسؤولين الروس لا تشير الى التفرد بفهم القضية العراقية وانها أي روسيا لا يمكن لها الخروج عنالاجماع الدولي فضلا عن ذلك فان تلك المطالبات لم تكن سوى لزيادة الغلة من الدول المانحة مذكرة تلك الدول بالمواقف السابقة التي اتخذها الاتحاد السوفيتي ومن بعده روسيا رغم ان مثل هذه الصفقات لن نستطيع ان نقف على ادلتها الا ان ما رشح من

---

(١) ملفين جودمان، موسكو والشرق الاوسط خلال التسعينات مصدر سلبق ص٤٧.

(٢) نقلا عن صحيفة الراي الاردمية، المصدر السابق.

بعض المصادر تدلل على وجودها فعندما قدمت الولايات المتحدة عرضا لروسيا تضمن لها تسديد الفوائد بنسبة ٨٪ على مبالغها التي بذمة العراق والتي تقدر بثمانية مليارات اذا ما اعتدلت ازاء القضية العراقية وسارت على الايقاع الامريكي تذهب الى ما اشرنا اليه وكما اسلفنا ان روسيا لم تكن عابهة وبخاصة اثناء تلك الفترة سوى الى جني اكبر المبالغ لقاء أي موقف تتخذه او يطلب منها [١]. اما العراق فقد ادرك عمق الهوة التي وضع فيه جراء سياسته وادرك ايضا ان دول العالم تعمل وفق مصالحها لا مصالح الاخرين وان الولايات المتحدة قد استفردت به دون منازع واحكمت قبضتها عليه لهذا راحت السلطة في العراق تبحث عن دولة تتصدى للجبروت الامريكي فاعتقدت ان روسيا هي الدولة القادرة ولو بنسبة معينة من كبح الاندفاع اللامريكي نحوه من خلال قراءة طبيعة العلاقات بين روسيا والولايات المتحدة. ونعتقد ان العراق كان محتاج الى دولة قادرة على الوقوف اما الولايات المتحدة وبخاصة في مجلس الامن فكما هو معروف ان الدول التي تستطيع المواجهة باضافة الى روسيا هي الصين وفرنسا وبريطانيا كونهم من الدول دائمة العضوية في المجلس. ان الدول المعنية قد ادركت ان العراق اصبح تحت القبضة الامريكية ولن تستطيع ان تقف موقف مناهض للولايات المتحدة حياله خشيتها من التدخلات الامريكية في شؤونها الداخلية، الى جانب ذلك ان هذه الدول لها من المشاكل الدولية والداخلية التي لا تستطيع معالجتها في حال وقوفها امام الولايات المتحدة في القضية العراقية. ولطالما ان الدول تسعى الى مصالحها من خلال علاقتها بالدول الاخرى نجد ان روسيا لها الاولولية في اختيار العراق لها للاسباب التالية:

أولاً: قيمة التبادل التجاري بين الولايات المتحدة والصين تعاضم بشكل كبير ليصل عام ٢٠٠١ الى حوالي ٨٠.٥ مليار دولار اذ ان الصين هي رابع اكبر شريك تجاري

(١) خير الله سعيد، الحوار المتمدن، العدد ٣٧٨ في ٢٠٠٣/١/٢٦. *tamman@qaqarinclub.ru*

لامريكيا وامريكيا هي ثالث اكبر شريك تجاري للصين [١] في حين لم يتجاوز التبادل التجاري بين الدول العربية مجتمعتا والصين الى حوالي من ملياري دولار. والصين ليست بعيدة عن ما يقلقها من التدخل الامريكي ان حاولت التصدي بجدية للولايات المتحدة ازاء القضية العراقية، فجزيرة تايوان الطامحة للاعلان استقلالها عن الصين يقف عقبة امام أي محاولة للتصدي للولايات المتحدة وبخاصة بالشان العراقي وخشيتها من الدعم الامريكي لتحقيق استقلالها، الى جانب ذلك فان للصين مشاكل قد تجر البلاد الى الكثير من التعقيدات منها مقاطعة التبت الساعية الى الانفصال والانفجار السكاني وعدم قدرتها على الوصول الى الامن الغذائي فضلا عن ما ذكرناه من حجم التبادل التجاري مع الولايات المتحدة جميعها تقف حائلا دون التصدي للولايات المتحدة حيال القضية العراقية.

ثانياً: قيمة التبادل التجاري بين الولايات المتحدة وفرنسا يصل الى اكثر من ٣٠ مليار دولار بينما لم يصل التبادل التجاري بين العراق وفرنسا الى ٧٠٧ مليون دولار [٢]. ففرنسا التي تقيم علاقات تجارية بذلك الحجم مع الولايات المتحدة لها من المشاكل ما يقلق مصالحها والتي تكبح أي اجراء قد تفكر به لصالح العراق، فالدول الفرانكوفونية والتي كانت في الماضي القريب جزء من ممتلكات الدولة الفرنسية تلك الدول اصبحت موطئ قدم للإغراءات الامريكية التي تسعى الى فك ارتباطها بفرنسا عن طريق تقديم القروض والمساعدات وادخالها الى نظام السوق الحر حيث تعتبر تلك الدول سوقا كبيرا للمنتجات الفرنسية فضلا عن كونها مصدرا مهما للخامات الاولية الداخلة في الصناعة الفرنسية. كما

(١) صحيفة الشعب الصينية في ٢٠٠٢/٢/٢١.

(٢) د. مجيد الهيتي، مساهمة في النقاش حول نفطنا / من موقع على شبكة الانترنيت.

لدى فرنسا من هاجس مقلق من قيام جزيرة كورسيكا الواقعة في البحر المتوسط باعلان انفصالها وخشية تقديم دعم الولايات المتحدة لها في مسعاها.

ثالثاً: رغم ان وجود بعض المنغصات في علاقة بريطانيا والولايات المتحدة الا انها لم تصل الى حد التعارض بل ان السياسة البريطانية ما برحت تتوافق مع السياسة الامريكية حيال العراق مع الاخذ بالاعتبار ان التبادل التجاري بينهما لا يقابل بنسبة بين العراق وبريطانيا. اما بريطانيا فقد حافظت على نمط ثابت بعلاقتها بالولايات المتحدة منذ افول نجمها وانحسارها داخل جزرها بعد ان تنازلت عن اغلب مستعمراتها لصالح الولايات المتحدة وهي بالتالي فقد ادركت ان الوقوف بالضد من الولايات المتحدة في تطلعها لبسط سلطانها يعني تحقيق المزيد من التنازل والمزيد من الافول.

رابعاً: قيمة التبادل التجاري بين روسيا والولايات المتحدة يصل الى ١٠ مليار دولار[1] في حين ان ديون العراق لروسيا التي بقدر بحوالي ثمانية مليار دولار مع افاق العلاقة بين الدولتين قد يرتفع ليتجاوز قيمة التبادل التجاري بين الولايات المتحدة وروسيا.

لهذا فان الدول (دائمة العضوية) لاتفرط بتلك الاقيام المتبادلة مع الولايات المتحدة من اجل العراق فضلا عن ذلك ان الدول التي استعرضنا قدراتها ومشاكلها تدرك جيدا ان الورقة التي يتمتعون بها وهي حق النقض الفيتو في مجلس الامن قد منحت لهم عقب الحرب العالمية الثانية ليس سوى تكريما لخسائرهم من قبل الدول المحور ولكبح تطلعات تلك الدول في المستقبل وتطويقهم بدول تتمتع بعضوية كاملة فلم تكن الصين في ذلك الوقت من القوة بحيث تتميز بذلك الامتياز انما فقط لمواجهة اليابان والحال ينطبق على الدولتين الاخريتين لمواجهة المانيا.

---

(١) د. عاطق معتمد عبد الحميد، الاعلام الروسي من النقيض الى النقيض، من موقع على شبكة الانترنيت في ٢٠٠٣/٤/١٥. *www.students.washington.edu*

وحتى روسيا لها من المشاكل ما استعرضناها في فصل سابق تحول دون الوقوف امام الرغبات الامريكية وما تسعى الى تحقيقه في المنطقة عبر العراق.

وعليه فان الدول دائمة العضوية في مجلس الامن لاتستطيع بفردها او مجتمعة من محاولة تغير التوجه الامريكي ازاء العراق فلكل منها ما يكفيه من مشاكل او طموح للتخلص من المشاكل ما يكفي لابتعادها عن القضية العراقية رغم الطلبات المتكررة من تلك الدول لايجاد حلول او تخفيف للمشكلة العراقية، اذ وصف وزير خارجية فرنسا اوبير فيدرين العقوبات بانها قاسية وغير فعالة وخطيرة وان العقوبات تهدد تماسك المجتمع العراقي والاستقرار الاقليمي وانها قاسية لانها تعاقب الشعب العراقي بكامله [1] ونعتقد ان المطالبات من قبل هذه الدول وغيرها لا تتعدى الواجب الاخلاقي وما تمليه عليها من المواقف الانسانية امام ما يتعرض له العراقيين من مآسي جراء العقوبات التي فرضت عليه ولكن بذات الوقت فان تلك الدول تعرف تماما ان اصواتها وطلباتها لا تبعد اكثر من المكان الذي قطنونه كما نعتقد ان مواقف تلك الدول من موضوع العقوبات والداعلية الى ايجاد طريقة ما لتخفيف وقع تلك العقوبات على العراقيين تحمل ادراكا من ان الولايات المتحدة لن تتنازل ولم تسمح لاي اجراء يفضي الى تخفيف العقوبات بل ومن خلال تصريحات المسؤولين الامريكان فانها تريد الذهاب بعيدا وصولا الى احتلاله وكان هذا الهاجس هو ما يحرك تلك الدول ليس حبا للعراق او حرصا على سلامته بالقدر الذي لا ترغب تلك الدول بترك العراق لقمة هيينة للولايات المتحدة وبالتالي زيادة فوائدها وسيطرتها على نفط العراق والمنطقة وهذا يعني ان مصالح هذه الدول تغدو مهددة من قبل الولايات المتحدة. ويؤكد يفغيني بريماكوف حين قال (صدقت توقعات روسيا بان هناك من يسعى لاقامة عالم احادي القطب ويريد ان يكون في العالم دولة عظمى واحدة

(١) نقلا عن صحيفة الحياة في ٢/٨/٢٠٠٠.

تملي شروطها على الدول الاخرى)[١].

كما ان تلك الطبات التي يتضمنها خطابهم السياسي انما هو من اجل امتصاص للرفض الشعبي الذي يعلو بين الفينة واخرى وحتى تلك الاصوات الشعبية الرافضة قد تحمل في طياتها موقفا معاديا للولايات المتحدة لا بسبب موقفها من موضوع العقوبات على العراق فحسب انما لشيوع ظاهرة ثقافة العداء للولايات المتحدة فتتخذ تلك الاصوات والطلبات احدى الركائز التي يسند اليها خطابهم السياسي.

وعليه نعتقد ان العراق قد سعى الى تمتين علاقته بروسيا منطلقا من هذا التمايز بين الدول وطبيعة علاقتها بالولايات المتحدة فوجدت من روسيا خير حليف او بعبارة اخرى اسوء الخيرين ان لم يكن افضل السيئين فتمسك بروسيا الى حتى الرمق الاخير، ولكن هل كانت روسيا ترى المشكلة العراقية من نفس المنظور الذي يتطلع منها العراق؟ نعتقد ان روسيا ومن خلال تصريحات الرسمية التي كان المسؤولين الروس يعلنونها بين الحين والاخر قد مرت باكثر من مرحلة ولكل مرحلة تحمل تطلع جديدا وفهما متباينا. ففي بداية عهد الدولة الروسية الجديدة لم تكن المواقف الروسية سوى التاييد المطلق لما تريد الولايات المتحدة تحقيقه وقد اوضحنا ذلك سابقا [٢] ثم مالبثت مواقفها تتميز بفهم نعده بالمعتدل وبخاصة بعد الانتخابات البرلمانية وما رشح عنها من فوز الاحزاب القومية والمحافظة بذات الوقت فان الوعود بالمساعدات التي قدموها لروسيا لم تكن جادة او لم تكن بالحجم الذي اعلن عنها [٣]. بعد اذ ادخل العراق روسيا بازمة هي تحريك لبضع من قطعاته العسكرية باتجاه الجنوب مهددا باجتياح الكويت مجددا ونعتقد ان العراق اراد بها

---

(١) نقلا عن د. حميدة سميسم، مصدر سابق. *www.darhayat.com*

(٢) انظر المفضل الثاني من هذا البحث، ص٣٧ وما بعدها.

(٣) انظر المشلكة الاقتصادية من هذا البحث، ص٥٧ وما بعدها.

جر روسيا الى العودة الى الساحة العراقية عن طريق ادخالهم كطرف مفاوض وسعى الى انجاح مهمة الروس من انهاء تلك الازمة وبخاصة ان تلك الفترة كان العراق منعزلا تماما عن العالم فاراد من اسماع صوته والعودة الى سطح الاحداث عبر والوسائل السياسية والاعلامية [١].

ان التصرفات التي قامت بها السلطة في العراق بعد تكبيله بجملة من القرارات الدولية كانت غير دقيقة، وعلى ما يبدو ان العراق نسى ان تناسى انه مثقل بقرارات دولية انتزعت منه السيادة، وبين الحين والحين يتصرف وفق ارادته ومن ثم يصدم بتلك القرارات وزاء تلك التصرفات تلقى العراق للعديد من الضربات العسكرية بسبب او بدونه [٢]، ونعتقد ان العراق لو تصرف وفق الحقائق قد ينئى بعيدا عن العديد من المشاكل،

---

(١) في اشرين اول من عام ١٩٩٤ قام العراق بتحريك بعض قطعاته العسكرية باتجاه الجنوب واعتبرت تهديدا من قبله الى الكويت مما حدى بالولايات المتحدة من التهديد بتدخلها في حال لم يسحب العراق بلك القطعات من تلك المناطق وعلى اثر ذل تدخلت الخارجية الروسية للتوصل الى حلول ترضي الاطراف وبخاصة الجانب الكويتي الذي يطالب من العراق باقراره واعترافه بالكويت كدولة مستقلة استاعت الخارجية الروسية من خلال وزير خارجيتها اندريع كوزريف بعد الاجتماع باعضاء المجلس الوني العراقي وبرئيس العراقي من اخذ الاعتراف العراقي بالكويت من كافة المؤسسات الدستورية، بعد اعطاء وعد من قبل روسيا للعراق بالسعي لدى مجلس الامن من استصدار قرارا يعيد النظر باجراءات المفروضة على العراق وصرح اندريه كوزريف عقب انهاء الازمة (ان روسيا في الوقت الذي تحرص فيه على حتمية تنفيذ العراق للقرارات الدولية فانها معنية بتخفيف العقوبات على العراق).

(٢) تعرض العراق الى العديد من الضربات التي تقوم بها الولايات المتحدة متذرعة باكثر من سبب ففقي عام ١٩٩٣ اطلقت الولايات المتحدة مجموعة من الصواريخ الى بغداد مستهدفة مقر المخابرات العراقية بحجة ان الرئيس الامريكي المنتهية ولايته قد خطط لاغتياله لدى زيارته للكويت كما تعرض العراق الى ضربات جوية عام ١٩٩٦ بعد دخول جزء من قطعاته العسكرية منطقة كردستان العراق وكذلك تعرض الى ضربات جوية من عام ١٩٩٨ بحجة ان العراق لم يكن متعاونا

وقد يلاقي التعاطف اولا من قبل الدول التي اثرت الصمت في احداث ١٩٩٠.

اعلن العراق انه لا يرضى بديلا عن رفع كافة العقوبات عنه ولن يرضى بانصاف الحلول لهذا نرى العراق عام ١٩٩١ رفض القرار المرقم ٧٠٥ الذي يسمح له بتصدير النفط بمبلغ ١.٦ مليار دولار واستخدام هذه العوائد لاغراض انسانية، كما رفض اكثر من قرار بهذا الاتجاه [١]. استمر الرفض العراقي لكل تلك القرارات حتى دخل البلاد في وضع ماساوي وحرج حيث ازدادت معدلات الوفيات الى مستويات مقلقة كم صاب مرافق الدولة باضرار جسمية جراء الحروب والحصار فلم يستطيع العراق من توفير الاموال الازمة لصيانة وتشغيل للعديد من منشاته الخدمية وتفاقمت المشاكل في مجال الصحة والكهرباء والمجاري والنقل وفي كافة القطاعات الاخرى فضلا عن المشاكل الاجتماعية كالطلاق والجريمة والهجر والفساد الاداري[٢]. كان العراق يسعى لاشعار العالم من خلال المؤسسات المدنية والانسانية الى ضرورة رفع العقوبات كافة. فكان لابد من وضع حد لما الت اليه العقوبات فاصدر مجلس الامن قراره ٩٨٦ في نيسان من عام ١٩٩٥ [٣] او ما يسمى النفط مقابل الغذاء والحاجات الانسانية الذي سمح للعراق ببيع جزء من نفطه ما يعادل ملياري دولار لكل ستة اشهر الا ان العراق رفضه حال صدوره وهذا ما يعزز ما ذهبنا اليه سابقا، كما مارست السلطة كافة انواع التاويل لهذا القرار حيث كانت تهدف الى تبرير رفضها وقد

مع فرق التفتيش عن الاسلحة العراقية اضافة الى العديد من الضربات بين الحين والاخر بحجج ان العراق يقوم باختراق المجال الجوي دون خطوط العرض التي وضعتها الولايات المتحدة في شمال وجنوب العراق.

(١) انظر قرارات مجلس الامن ٧٠٥ و ٧٠٩ و ٧١٢ من موقع الامم المتحدة على شبكة الانترنيت. *www.un.org*

(٢) يشير التقرير الذي اصدره مركز الشفافية ان العراق يتصدر الدول من حيث الفساد الاداري.

(٣) نص قرار مجلس الامن ٩٨٦. من موقع على شبكة الانترنيت *www.un.org*

استعرض تلفزيون العراق اغلب المسئولين السياسيين والفنيين والقانونين لتقديم الطعون والخروقات التي كان يحملونها على القرار بل وذهب وزير الخارجية الى ابعد من ذلك عندما حاول ان يثير مشاعر العراقيين باعتبار ان القرار ما صدر الا لخذذ الكرامة والحياء العراق [١]. وامام عمق المعانات لم تكن السلطة قادرة على معالجتها وهنا لابد من البيان ان العراق ورغم العقوبات كان قادرا ان لم نقل تجاوز العقوبات وتداعياتها كان قادرا على تخفيف الكثير من وقع تلك العقوبات على المجتمع لما يملكه من قدرات اقتصادية وإمكانيات بشرية احسب لم تتوفر في أي بلاد اخرى فبلد كالعراق لا يحاصر وان حوصر فان الاخرين هم الخاسرين فقط ان احسنت السلطة ادارتها. لم يستطع العراق ان يحافظ على موقفه من القرار فابدى استعداده للدخول بمفوضات تهدف الى تنفيذ ذاك القرار وبعد طول مفاوضات وقع العراق مع الامين العام للامم المتحدة مذكرة التفاهم حيث اعتبرت هذه الاتفاقية اضخم مشروع انساني في تاريخ الامم المتحدة[٢].

ان القرار ٩٨٦ قد ركز صانعوه على امر مهم هو تحيد السلطة في العراق وعدم تمكنها من الحصول على اموال تكون قادرة على اعادة التسلح كما كان القرار يهدف الى كسر شوكة السلطة عبر التجاوز على ارادتها حتى على مواطنيها، وطبقا لتلك الاتفاقية اضحى العراق من الناحية القانونية فاقدا للسيادة والاستقلال الوطني بشكل صريح وواضح وبارادته رغم ان سيادته واستقلاله قد خرقت منذ ان فرضت عليه الجزاءات الدولية عام ١٩٩١[٣] لكن تنفيذ الاتفاقية جعل من السلطة في العراق مجرد وعاء او اداة تنفيذ ليس

---

(١) من لقاء مع الوزير محمد سعيد الصحاف عبلا تلفزيون بغداد في نيسان من عام ١٩٩٥.

(٢) *Un Oil-for Food Program Grosses ٥٠$ Bn. Middle East Economic Survey. ٢٨jan ٢٠٠٢*

(٣) دعى الرئيس العراقي في اكثر من مناسبة على وجوب احترام سيادة العراق من قبل الولايات المتحدة مستفسرا عن الخروقات التي تقوم بها الولايات المتحدة وبعض الدول لسيادة العراق

لديها القدرة على الاعتراض او المطالبة وبدأً من تصدير النفط وبيعه الى استلام الحاجات الانسانية تخضع لإرادة الدول المتنفذة في مجلس الامن ولجنة قرار ٦٦٠ التي كانت المسؤولة عن تجهيز العراق بتلك الحاجات، فيصل ما توافق عليه ويرد ما ترفضه.

بلغ ما حصل عليه العراق من بيع نفطه بين عام ١٩٩٧ ولغاية ٢٠٠٢ بحوالي ٥٢ مليار دولار وباسقاط المبالغ المقتطعة والتي تذهب جزء منها كتعويضات عن حرب عام ١٩٩١ وهي ٢٥٪ واستقطاعات اخرى للهيئات الدولية العاملة في العراق تقدر بحوالي ٣٪ ورغم ذلك يبقى المتبقي من اصل المبالغ ما يستطيع به العراق من تجاوز العديد من المشاكل التي اجتاحت البلاد الا ان واقع حال البلاد لم يتحسن بشكل ملحوظ وظل الفرد العراقي يعيش بالحد القاتل من مستويات الفقر والجوع [١] ان خروقات التي ظهرت بتنفيذ الاتفاقية قد تناوب عليها العديد من الجهات وهذا ما استدعى لاكثر من مرة ان يعلن الامين العام للامم المتحدة بان الاتفاقية لم تكن تسير بشكل ايجابي او منتج [٢].

نعتقد ان ثمة اسباب دعت السلطة في العراق ان تعلن موافقتها على تنفيذ الاتفاقية بعد رفض وتشهير بالقرار، ففضلا عن ما ذكر من ضعف في مقدرات الدولة وتاكل اغلب البنى التحتية مع تدهور في مستوى معيشة المواطنيين نعتقد ان السلطة اعتبرتها افضل الممكن ضمن الظروف التي يمر بها العراق وما تمر به العلاقات الدولية بين الولايات المتحدة وباقي الدول التي لا تسير معها وبخاصة روسيا التي اعتبرها العراق الامل الاوحد في التخلص من الازمات التي وضع فيها، كما نعتقد ان العراق جعل من الاتفاقية البوابة التي يحاول من خلالها الولوج الى المجتمع الدولي مبتدأ من الدول التي لا تتماشى

ومذكرا المجتمع الدولي بسيادة العراق التي تخترق دائما.

(١) نبيل شبيب، خدعة تخفيف الحصار، ٢٠٠٢/٩/١٩. *www.albayan-magazine.com*

(٢) انظر الامم المتحدة، برنامج النفط مقابل الغذاء. *www.un.org*

وتتوافق مع المواقف الامريكية وفي مقدمتهم روسيا الاتحادية والاردن وفيتنام واليمن وماليزيا وغيرها مع النظر ان بعض تلك الدول لم تكن كفؤة لتوريد او تصنيع سلع جيدة.

وبقدر ما يتعلق بالدولة الروسية حيال العراق فقد اعتبر الروس ان الاتفاقية هي النافذة الجديدة لعودتهم الى العراق فهم يدركون ان العراق يحاول تسيس الاتفاقية للحصول الى اعلى التاييد له في المحافل الدولية اذ بنى اعتقاده على انهاء العقوبات والحصار من خلال جمع اكبر عدد ممكن من الدول لاعانته بطلباته في المحافل الدولية وملس الامن، لهذا تقدت روسيا بخطوة نحو العراق منطلقا من مواقفها التاريخية الداعلية الى اعادة قراءة قرارات مجلس الامن وكما اسلفنا ان روسيا اتخذت مواقف (مناسبة) من القضية العراقية وحاولت ان توازن مواقفها بين الضغط الامريكي والتطلع لعودتها الى العراق فكانت تطالب بتقديم تشجيعات للعراق امام أي تنازل من قبله وكان هذا الاختلاف قائم بين الفرقاء في الموضوع العراقي فروسيا لا ترى ضرورة تطبيق كل شيئ او لا شيئ[١].

(١) صحيفة ازفستيا، روسيا ستتكبد خسائر اقتصادية في العراق، ١٩٩٦/٩/١٩ من موقع الصحيفة *www.izvestiya.ur*

المبحث الثالث

العلاقات التجارية بين العراق وروسيا الاتحادية ضمن اتفاقية النفط مقابل الغذاء والحاجات الانسانية

فتحت اتفاقية النفط مقابل الغذاء[1] نافذة جديدة و (مشروعة) لمحاولة اعادة العلاقات بين الدولتين والسعي للوصول بها الى سابق عهدها في الحقبة السوفيتية، ورغم المواقف الروسية بوجوب رضوخ العراق لقرارات مجلس الامن المتعلقة بنزع سلاحه فقد دشنت الدولتان بتنفيذ العديد من الاتفاقات التي تسمح بها الاتفاقية. كان العراق ينطلق بتعامله مع الدول وفق مواقف تلك الدول ازاء قضيته الكبرى وليس لامتيازات سلعها من حيث الجودة والسعر ووفق هذا التصور العراقي فقد حرصت على تنفيذ عقود البيع والشراء من دول تغزل على منواله، ادركت روسيا ما يسعى لاجله العراق مشفوعا بعمق علاقته به مع الرفض الظاهر للتوجه الامريكي في المنطقة وبخاصة القضية العراقية. لهذا لا نجد غرابة

---

(١) اصبح برنامج النفط مقابل الغذاء اكبر برنامج في تاريخ الامم المتحدة يتناول الاحتياجات البشرية الاساسية في بلد واحد، وفق توجيهات مجلس الامن فقد تم تخصيص ٧٢% من عائدات صادرات النفط العراقي لتمويل البرنامج وترصد ٥٩% من العاذدات الى الحومة العراقية لادارة خمس عشر محافظة في الوسط والجنوب في حين تم تخصيص ١٣% للمحافظات الشمالية حيث ترك تنفيذ البرنامج للامم المتحدة ما تم تخصيص ٢٥% من عائدات النفط لصندوق التعويضات لتغطية تعويضات الحرب ما تم تخصيص ٢.٢% لتغطية تكاليف ادارة البرنامج فضلا عن ذلك تم تخصيص ٠.٨% للجان التفتيش ونزع السلاح العراقي.

ان الشركات الروسية تعد من اكبر مستوردي النفط العراقي بموجب تلك الاتفاقية اذ بلغت الصادرات العراقية الى روسيا خمسة مليارات دولار سنويا [١].

تعد روسيا الاتحادية اكبر شريك للعراق ضمن نطاق الاتفاقية اذ بلغ حجم التبادل التجاري بين الدولتين الى حوالي ٢.٥ مليار دولار عام ٢٠٠١[٢] مع وجود عدة صفقات عقدتها الدولتان شملت للعديد من القطاعات كصناعة النفط والنقل والغاز والاتصالات حيث بلغ عدد الاتفاقيات الموقعة بينهما الى ٦٧ اتفاقية نفذت بعضها والبعض الاخر ينتظر في حال رفع العقوبات عن العراق [٣].

كان قطاع النفط قد حاز على اعلى نسبة من المبالغ بين العقود الموقعة بين الدولتين وضمن اطار مذكرة التفاهم فان العراق تعهد ببيع ما يقارب ٤٠٠ الف برميل / يوم الى روسيا أي ما يعادل ٧٠-٨٠٪ مما يبيعه العراق [٤] وعدت شركة لوك اويل من اكبر الشركات التي تعاقدت مع العراق لاستثمار النفط في منطقة القرنة بقيمة ٤ مليار دولار [٥] عندما وقعت هذه الشركة عام ١٩٩٧ مع الجانب العراقي اتفاقية تطوير حقل غرب القرنة حيث من المؤمل ان يصل انتاج هذا الحقل الى حوالي ٦٠٠ الف برميل يوميا [٦]. اما شركة زاروبزنفت عهد لها بحفر ٤٥ بئراً نفطيا في شمال العراق بمبلغ ٨ ملايين دولار،

---

(١) التعاون الاقتصادي بين موسكو وبغداد... الغنم ما بعد التغيير. *www.aljazeerah.net*

(٢) خالد ابو الفتوح، بعد ان ابتلعت امريكيا العراق هل تستطيع هضمه، مجلة البيان، على موقع شبكة الانترنيت. *www.albayan.co.ae*

(٣) د. عاطف معتمد عبد الحميد. الاعلام الروسي من النقيض الى النقيض، مصدر سابق. *www.students.washington.edu*

(٤) صحيفة الحياة، في ١٩٩٧/٣/١١.

(٥) د. عاطف معتمد عبد الحميد، الدب الروسي يحصي خسائرة، ٢٠٠٣/٤/٦، من موقع على شبكة الانترنيت. *www.islamonline.com*

(٦) من موقع الشركة على شبكة الانترنيت. *www.minos.ru*

فضلا عن ذلك فان الشركات الروسية حصلت على عقود بقيمة ٤٠ مليار دولار تشمل على ١٧ مشروعاً تنفذ في مجال النفط والغاز و ١٥ مشروعاً في مجال الصناعة و ١٤ مشروعاً في مجالات النقل والمواصلات والسكك الحديدية و ٦ مشاريع في مجال الكهرباء والصناعات البتروكيمياوية والسدود و ٥ مشاريع في مجال الزراعة و ٣ مشاريع في مجال الصحة [١]. بلغت حجم عقود المؤسسات الروسية مع العراق خلال المراحل الإحدى عشر الأولى أكثر من خمسة مليارات دولار، ومن بينها عدد غير قليل من العقود الضخمة للأمد الطويل في القطاع المدني، محطات كهربائية ومنشآت لتحليلة مياه الشرب ومستشفيات ومرافق للأطفال، أي منشآت تحمل طابعاً مدنيا وإنسانياً بحتاً [٢]. ان اجمالي العقود التي تم توقيعها مع روسيا بحدود ٩٠٠ عقد بواسطة اكثر من ٢٢٧ شركة [٣].

حاول العراق ان يعامل روسيا بسخاء مفرط املا منه بتحفيزها لكسر طوق العقوبات الدولية عليه وفي الجانب الاخر فان روسيا تعاملت مع العراق وفق مصالحها الى اخر رمق من دول ايصال مواقفها بالتضاد مع الولايات المتحدة. فكانت مواقفها تتراوح بين تاكيدها على وجوب تنفيذ العراق التزاماته بنزع اسلحته ومن جهة اخرى كانت طامعة بالكرم العراقي، ففي اللقاءت المتكررة بين مسؤولي الدولتين استطاع المسئولون الروس ان لا ينزلقوا بالمغريات التي يقدمها السمؤولين العراقيين وحرصوا في تصريحاتهم على وجوب تنفيذ قرارات مجلس الامن، ففي تصريح لوزير الطاقة الروسي ايغور بوسوفوف اثناء بدء اعمال اللجنة الروسية العراقية المشتركة للتعاون قال (ان روسيا والعراق اتخذا

---

(١) من موقع على شبكة الانترنيت، نقلا عن وزير التجارة العراقين ٢٠٠١/٩/٣٠. مصدر سابق. *www.aljazeerha.net*

(٢) ما اعلنه نائب وزير الخارجية الروسي يوري فيدوتف في مقابلة مع مراسل *bbc*. *www.bbc.com*

(٣) وكالة الانباء الفرنسية، نقلا عن وكيل وزير النفط العراقي. مصدر سابق.

خطوات لتعزيز التعاون بينهما من دون المساس بمصالح اية دولة ثالثة)[١] كما نستطيع القول ان مواقف روسيا كانت متربصة لحركة السياسة العراقية في المحافل الدولية التي كانت قد استطاعت ان توصل صوتها الى مديات مؤثرة وبدا في الافق تململا واضحا من العقوبات والحصار من قبل العديد من دول العالم بعد ان اظهرت (النوايا) الامريكية من العراق، كما نعتقد ان روسيا قد ساعدت العراق في توافق موقفها معه رغم تاكيدات المسؤولين الروس انهم يصرون على امتثال العراق لقرارات مجلس الامن. لكن هذا الالتزام الروسي بوجوب تنفيذ قرارات مجلس الامن من قبل العراق لا يرغب بسماهعه المسؤولون العراقيون. وامام العقود والمشاريع المزمع البدء بها يأمل العراقيين من روسيا ان تؤدي دورا اكبر في مجلس الأمن وهذا ما صرح به وزير النفط العراقي عام محمد رشيد عند البحث في المشاريع الروسية في العراق قال (اننا ننظر باحترام كبير الى جهود روسيا في مجلس الامن الدولي التابع للامم المتحدة لازالة الحصار الاقتصادي الجائر المفروض علينا)[٢].

ان وقع العقوبات على العراقيون لم يستطع احد ان يتجاوزه وباتت معاناتهم تقلق المجتمع الدولي ونعتقد ان السلطة في العراق كان لها دور مباشر في تلك المعانات وحاولت ان تزيد من اثارها على المواطنين بمختلف الوسائل ليتسنى لها إيصال صوتها والمطالبة بانهاء العقوبات.

شمل التعاون الروسي العراقي بموجب الاتفاقية قطاع النقل حيث قامت روسيا بتزويد العراق بكميات معتبرة وعلى اختلاف الانواع في هذا القطاع فقد زودت روسيا العراق بحوالي ٢٧٠٠٠ الف سيارة فضلا عن تزويده بالمكائن الزراعية الى جانب ذلك

---

(١) نقلا عن *ANS-Russia-Iraq-Trade.*

(٢) نقلا عن وكالة ايتار تاس الروسية للانباء، في ٢٠٠٢/٣/١٨. *www.itar-tass.com*

فقد تعاقدت الدولتان على تزويد العراق بدراجات نارية من مصنع اربيت[١].

اما قطاع الصناعات الثقيلة فقد شمل التعاون على تجهيز العراق بعربات للسكك الحديدية فضلا عن تزويده بقطع غيار للعربات، الى ذلك فان الدولتين قد تعاقدتا على تزويد العراق بالآلات والمعدات الكهربائية وظلت الشركات الروسية هي الرائدة في العراق وبخاصة بهذا القطاع وتم بموجب الاتفاقية بإنشاء محطات لتوليد الطاقة الكهربائية على نهر دجلة [٢].

تعتبر الشركة الهندسية الروسية من الشركات التي حققت نجاحا كبيرا في العراق حيث ساهمت بتوريد العديد من السلع بموجب الاتفاقية حين وقعت على اكثر من ٨٠ عقدا لتجهيز الغذاء والمعدات النفطية مع مختلف انواع السيارات والاليات اذ اعتبر العقد الخاص بتجهيز سيارات الفولغا من اكبر العقود حيث تم بموجبه توريد حوالي ٣١١٠ سيارة متعددة الاغراض منها للركاب واخرى حفارات وسيارات اسعاف واخرى بيك اب مع ما يقارب ٣٠٠٠ دراجة نارية من طراز (ايج) فضلا عن الات تستخدم للكشف عن عيوب في منصة البكر لتامين البترول، الى جانب ذلك قامت الشركة نفسها من توريد حوالي ٦٥٠٠ طن متري من الحليب الجاف و ١٠٠ الف طن متري من الحنطة [٣]. كما ساهمت شركة موسكو للطاقة الروسية بتوقيع عقد لانشاء وتطوير محطة المسيب، خلاصة القول ان الشركات الروسية قد استحوذت على حصة الاسد من العقود الموقعة بموجب مذكرة التفاهم بما فيها العقود التي تخص قطاع النفط، وبات الاقتصاد العراقي اعتمد

(١) من موقع الشركة على شبكة الانترنيت، مصدر سابق. *www.minos.ru*

(٢) المصدر السابق.

(٣) نشاطات شركة الهندسية الروسية في العراق، من موقع على شبكة الانترنيت. مصدر سابق. *www.minos.ru*

بشكل كبير على المواد والاجهزة الروسية [١] كما ساهمت شركة كاماز عبر توريد للعراق ٣٥٠٠ شاحنة عام ٢٠٠١[٢] ان هذا النصيب من العقود ومقدارها جعل روسيا حريصة جدا على ابقاء الاوضاع على ماهي عليه.

استطاع العراق ان يزحف نحو المجتمع الدولي وبات مقبولا بدرجة معينة اذ اصبح بمقدوره ان يشعر الاخرين بمعاناته وان سياسته المتمثلة بفتح التعاون الاقتصادي بينه وبين دول العالم وباتفاقيات كان الرابح الاوحد بها هي الدول التي تتعاقد مع العراق ومن باب التجارة تمكن من الولوج نحو مناصرة قضيته عبر المواقف السياسية. لا يمكننا القول ان مواقف روسيا ازاء القضية العراقية قد تاتى من هذا الوصف فحسب بل نستطيع القول ان مواقفها عززتها ذلك الوصف. وبعد مضي اكثر من سنتين على تطبيق اتفاقية النفط شعر العراق ان الحصار بدء بالتصدع فذهب ابعد من ذلك عندما رفض السقف الانتاجي المخصص له اذ اعلن وزير النفط (اننا سنستمر في الانتاج والتصدير ضمن امكاناتنا بشكل مستقل عن أي اجراء اخر وخططنا التوزيع الى مختلف دول العالم والشركات وروسيا بكل تأكيد لها الاولوية) حتى اذا تجاوز السقف المحدد للعراق من الامم المتحدة والبالغ قيمته ٥.٢ مليارات دولار المبلغ المتوقع في الثامن من اكتوبر المقبل كما يقدر الخبراء [٣]. اما روسيا ورغم موقفها الرسمي من موضوع العقوبات على العراق وانها لاتقبل الا بتطبيق قرارات مجلس الامن والمتعلقة بنزع السلاح العراقي الا انها قد حاولت ان تتسلل الى العراق عبر اتفاقية النفط وزادت من مشاركتها وحضورها على

---

(١) من محاضر الاجتماعات بين الشركات الروسية مع الجانب العراقي ضمن جمعية الصداقة العراقية الروسية، من موقع على شبكة الانترنيت. مصدر سابق.

(٢) من موقع الشركة على شبكة الانترنيت. مصدر سابق. *www.minos.ru*

(٣) تصريح وزير النفط عامر محمد رشيد، نقلا عن جريدة البيان في ١٩٩٩/٩/٣٠، من موقع الجريدة على شبكة الانترنيت. *www.albayan.com*

الساحة العراقية وهذا ما يفسر وصول حوالي ٧٥ عضوا برفقة وزير الطاقة الروسي فيكتور كاليوجني [١].

ان سياسة العراق التي سار عليها باعتقادنا لو كتب لها الاستمرار لكن بامكانه ان يصل الى ما كان يصفه بتفتيت الحصار. ونعتقد ان احداث ايلول ٢٠٠١ قد وضعت حدا فاصلا بحركة العراق وباتت الدول التي (تتعاطف وتتعاون) مع العراق في موقع عداء للولايات المتحدة. فقبل هذا الحدث نعتقد ان شروخا حصلت بجدار الحصار وتمكنت العديد من دول العالم ان تصل الى العراق بمختلف السبل منها تسيرة طائراتها ووفودها وحتى بعض المسؤولين الرسميين، وكان الفضل الاكبر في تحفيز الدول الاخرى هي روسيا عندما بادرت الى ارسال اول طائرة مدنية الى بغداد في ١٧/ ٨/ ٢٠٠٠ وكان على متنهى ٨٠ شخصية من بينهم وزير الطاقة وعدد من المسؤولين الروس مبررة ذلك بان الاساس القانوني للرحلات الجوية المدنية لم يكن واضحا في قراري العقوبات رقمي ٦٦١ و ٦٧٠ بل يكتفي فقط باشعار لجنة العقوبات بالرحلة من دون انتظار رد منها [٢]. وقد تبع روسيا بهذه الخطوة العديد من الدول التي تشعر ان مصالحها في العراق قد تتهدد او قد تضيع فرصة من التبادل التجاري مع العراق فالمال العراقي وفير والسخاء العراقي كبير، الى ذلك يشير الخبراء الى ان شركات النفط الروسية كانت تتوقع تحقيق ارباح تبلغ قيمتها نحو عشرين مليار دولار من تنفيذ عقود استثمار حقول النفط والغاز في منطقة غرب القرنة العراقية وحدها [٣] فلنا ان نتصور عظم الكرم العراقي في عقد يذهب نصفه ربحا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) محمد عبد العاطي، الجهود الرسمية على رفع الحصار، من موقع على شبكة الانترنيت، مصدر سابق. *www.amanjordan.org*

(٣) خالد ابو اتلفتوح، بعد ان ابتلعت امريكيا العراق هل تستطيع هضمه، مجلة البيان مصدر سابق. *www.albayan.co.ae*

للشركات، ورغم التبرير الرسمي فاننا نعتقد ان روسيا حالها حال الاخرين قد حل بها التململ والرفض من طول الحصار دون ظهور في الافق ما يشير الى نهايته وان تبريرها يؤخذ عليها وليس لها فدولة كروسيا تعيد قراءة قرارات مجلس الامن بعد اكثر من عشر سنوات من اصدارها وتكتشف ان الرحلات المدنية لا يحتاج إلا الى اشعار للجنة العقوبات يدلل ان المواقف التي تتخذها الدول ليست سوى مواقف تكتيكية او برغماتية وليس لها سند اخلاقي او قانوني.

ان احداث ١١ ايلول قد حسمت الاندفاع الدولي تجاه العراق وبخاصة روسيا فقد جاءت تلك الاحداث بالتوافق مع مصالحها حيال الولايات المتحدة وبغض النظر عن الجهات التي قامت بتلك الاحداث ومن يقف وراءها لانها لا تقع ضمن اهتمام بحثنا فان روسيا قد وجدت تلك الاحداث الفرصة المناسبة للوقوف مع الولايات المتحدة ضد عدوها التي اسمته الارهاب ابتغاء تصفية بعض المشاكل العالقة والتي ترى ان الولايات المتحدة لها دور رئيس فيها، فروسيا تتطلع الى انضمامها الى العالم الغربي وادخال التقنيات الحديثة اليها فضلا عن سسعيها للحصول على الفروض او المساعدات او ادخول الاستثمار الاجنبي على اراضيها، الى جانب ان روسيا تريد انهاء النزاع المسلح في منطقة الشيشان وقد استعرضنا في فصل سابق الاجراءات التي اتخذتها روسيا في منطقة الشيشان عشية الحرب في افغانستان. ويمكننا القول ان العراق تمكن من النفاذ الى المجتمع الدولي متخذا اكثر من وسيلة واسلوب بهذا الاتجاه، وكما قلنا فبأسلوب غشهار المعانات وايصالها الى المؤسسات الانسانية التي كان لها دور مهم في ايصال تلك المعانات الى شعوبهم وبرلماناتهم حيث اثمرت تلك الضغوطات في بعض الدول من اعادة تفهم القضية العراقية وهذا ما اعطى لروسيا زخما جديدا للمطالبة بانهاء العقوبات وبخاصة في مجلس الامن حين رفضت روسيا في ايار من عام ٢٠٠١ مشروع قرار ما سمي (العقوبات

الذكية) ويعد موقف روسيا وتهديدها بحق النقض الفيتو انما جاء من خلال من تعاطف واضح مع العراق ورفض ضمني للعقوبات اذ يرى العديد من الدول ان العقوبات تخدم بعض الدول فقط في حين العديد من دول الاقليمية او الدولية قد تكبدت خسائر كبيرة جراء العقوبات على العراق. خلاصة القول ان العراق استطاع ان يوثق عرى العلاقة مع روسيا ولم يكتف بما سمحت بها اتفاقية النفط بل بلغ التعاون بين الدولتين الى الجانب العسكري حين التقى وزير الدفاع العراقي بنظيره الروسي وتبادلا الافكار حول تطوير التعاون العسكري والتكنولوجي [١] رغم ان هذا التعاون المزمع اقامته لا يصل الى مرحلة ما قبل الحصار اذ كان حجم التعاون العسكري بين الدولتين لثلاث سنوات من عام ١٩٨٦ ولغاية ١٩٨٩ يبلغ ٧.٨ مليار دولار وقد انخفض تعاون البلدين للفترة من عام ١٩٨٩ ولغاية ١٩٩٢ الى ٥٠٠ مليون دولار [٢]. ومن الممكن ان تكون الاتهامات الأمريكية لروسيا واقعية بعد الشكوى التي قدمتها الولايات المتحدة في الحرب على العراق عام ٢٠٠٣ بان روسيا قد زودت الجيش العراقي بمعدات عسكرية حساسة [٣].

يمكننا القول ان العراق صار وسطا بين روسيا والولايات المتحدة اللتين اصبحتا طرفي المعادلة فنلاحظ ان روسيا تتعامل مع المشاريع الامريكية في مجلس الامن وفق ما تراه من مصلحة ما، ففي عام ١٩٩٩وعند صدور قرار مجلس الامن آثرت روسيا عن التصويت لكنها لم توقفه لتضمن صمت الولايات المتحدة عما يدور في منطقة الشيشان [٤]. وكذلك عندماهددت روسيا باستخدام حق النقض عند تمرير مشروع العقوبات الذكية

---

(١) صحيفة البيان، نقلا عن وكالة انباء انترفاكس الروسية، في ٢١/٤/٢٠٠٠.
www.interfax.news.com

(٢) نورهان الشيخ، صناعة القرار في روسيا، مصدر سابق، ص١١١.

(٣) نقلا عن في ٢٤/٣/٢٠٠٣. *www.bbc.com*

(٤) عن *bbc*، نقلا عن احد اعضاء المجلس الوطني العراقي، ١٨/١٢/١٩٩٩. *www.bbc.com*

في ايار من عام ٢٠٠١ واجهضت مشروع القرار وذلك لاعتبارات اقتصادية وتحقيق اضرار بتعاملها مع العراق، لكن بعد احداث ايلول وظهور طرفي المعادلة كشريكين في محاربتهما للارهاب ادراك الروس ان الولايات المتحدة لا تستطيع مواجهة الاخطار بمفردها ويتطلب منها ان تقف موقفاً مناصراً لها وبالوقت ذاته سوف تجني الكثير من الفوائد، وعند اعادة طرح مشروع قرار العقوبات الذكية وافقت روسيا عليه.

وقع العراق مع روسيا في اب من عام ٢٠٠٢ مشروع اتفاق ثنائي للتعاون الاقتصادي والتجاري طويل الامد تحت اسم البرنامج طويل المدى لتعزيز التجارة والتعاون الصناعي والعلمي والتقني تقدر بأربعين مليار دولار. حيث جاءت تلك العقود في وقت ازدادت التهديدات الامريكية بشن الحرب على العراق مع ادراكه ان الحرب واقعة مهما قدم من تجاوب وتعاون مع اللجان الخاصة بنزع اسلحته، ان توقيت توقيع العقود جاء متزامنا باقتراب الحرب واراد العراق ان تجد روسيا ما تدافع عنه.

على ما يبدو ان العراق لم يستطع قراءة المتغيرات الدولية بشكل جيد وظل محافظا على اسلوبه بل ورغب من الاخرين ان يقرأوا تلك المتغيرات بمنظوره، ان السلطة في العراق لم تحاول ان تعيد النظر في نمط ادارتها للبلاد ونعتقد ان التمسك بالأسلوب ذاته جعل من دول (المحاصرة) تملك الحجة في حصارها مثلما اسقط الحجة على الدول المطالبة بانهاء الحصار.

الى ذلك فان العراق لم يدرك جيدا التغير في التركيبة السياسية في روسيا وتعامل معها بما يتمنى منها لا بما هو واقع حقا، فروسيا دخلت نظام السوق الحر وطبقت الخصخصة على قطاعاتها ومنشاتها واغلب الشركات لم تعد حكرا للحكومة الروسية باعتبارها اصبحت ضمن كارتلات دولية لها تعاملاتها الخارجية ولا تعتد بمدى الربح المتحقق للحكومة الروسية، وكما اعلن النائب العام الروسي في احدى تصريحاته ان مجموع ١٥ مليار دولار حصلت عليها الشركات الروسية من بيع وشراء النفط العراقي لم يدخل الى

الميزانية الروسية منها سوى ٤٠٠ مليون دولار [١] وتقدر حصة الحكومة الروسية في شركة لوك اويل ١٤٪ من اسهامها [٢].

ادركت اغلب الدول بما فيها روسيا والعراق ان الحرب ان وقعت فانها سوف تختلف عن سابقاتها من حيث النتائج والاهداف ولا يجدي اعتراض روسيا في مجلس الامن في حال تمرير مشروع يجيز استخدام القوة ضد العراق في حال ثبت عدم تعاونه مع لجان نزع الاسلحة، استمرت سياسة روسيا بالتوازن بين مصالحها في العراق وبين التطلعات الامريكية بشن الحرب وفق هذا الادراك تعاملت روسيا مع المتغيرات القادمة باسلوب عملي وتصرفت وفق الاحتمالين الاحتمال الاول هو انهاء الازمة من دون تدخل عسكري ومن دون تحقيق ما تريده الولايات المتحدة وهو الاطاحة بنظام الحكم في بغداد وباتالي فان مصالحها في العراق سوف تتعاظم بشكل كبير ولتحقيق ما يامله الروس ازاء هذ الاحتمال فقد وصل وفد كبير يراسه نائب وزير الخارجية فضلا عن عدد كير من ممثلي الشركات النفطية الروسية مع عدد من رجال الاعمال الى بغداد قبل بدء الحرب بحوالي شهرين وتم خلال هذه الزيارة التوقيع على عدد من الاتفاقيات النفطية التي شملت الحقول التالي:

١ـ تطوير حقل رقم ٤ في الصحراء الغربية عهد الى شركة ستروي ترانس غاز.

٢ـ توقيع عقدين مع شركة زاروبيج نفط لتطوير الحقل العملاق بن عمر.

٣ـ توقيع عقد مع شركة سيوز نفط غاز لانتاج ١٠٠ الف برميل / يوم من حقل الرافدين في الجنوب.

---

(١) خير الله سعيد، موسكو، الحوار المتمدن، العدد ٣٧٨ في ٢٠٠٣/١/٢٦، من موقع على شبكة الانترنيت. *www.rezgar.com*

(٢) نقلا عن *bbc arabc news* في ٢٠٠٢/١٠/٢. *www.bbc.com*

٤ـ توقيع عقد مع شركة تات نفط لاستثمار حقل لمنطقة ٩ في الصحراء الغربية.

٥ـ توقيع عقد بين وزارة الطاقة الروسية ووزارة النفط العراقية لتنفيذ مشاريع لم يعلن عنها. وفي الزيارة ذاتها اعاد العراق حقوق شركة لوك اويل بعد إلغائه من قبل الحكومة العراقية قبل هذه الزيارة بحوالي شهرين [١].

اما الاحتمال الاخر وهو قيام الحرب وتحقيق اهدافها، فقد تعاملت مع هذا الاحتمال بصيغة اوصلت موقفها الى الولايات المتحدة، ونستطيع ان نؤشر تغير الموقف الروسي من القضية العراقية في اللحظات الحاسمة فالرئيس بوتين اشار في احدى اجاباته عن الموضوع العراقي قال (ان استخدام القوة ضد العراق يجب ان يكون مبررا) كما نقل عنه (هناك قلق من احتمال ان يكون العراق قد طور اسلحة كيمياوية وبيلوجية) و (ان المسوؤلية الاكبر عن الازمة العراقية تقع على بغداد... قد توافق موسكو على قرار جديد)[٢] واكد بالاتجاه ذاته فلاديمير ايسايف مدير معهد الدراسات الشرقية بقوله (ان موسكو اعادت النظر في بعض الاولويات)[٣]. وفي تصريح امام طلبة جامعة كييف قال (روسيا قد تغير مواقفها من العراق لتصبح اكثر تشددا)[٤] ونعتقد ان الموقف الروسي ان الموقف الروسي اتسم في البدء بالتردد او بعدم الوضوح وبخاصة الوجه المعلن لمواقفه وذلك قد تكون لاسباب داخلية سياسية واقتصادية يراد منها كسب الوقت وما يشير اليه مدير قسم الابحاث السياسية في المعهد الروسي للدراسات الاميركية والكندية بافل بودليسني قد يكون في محله حين عزا

---

(١) د. جمال حسين، خلفيات المداولة الروسية الامريكية قبل الوصول الى مجلس الامن، صحيفة الزمان، عدد ١٤٥٣ في ٢٠٠٣/٣/١٥. *www.azzaman.com*

(٢) نقلا عن *bbc* في ٢٠٠٢/٢/١١. *www.bbc.com*

(٣) تغير الموقف الروسي تجاه العراق *Iraqhurr* عبر شبكة الانترنيت. *www.iraqhurr.com*

(٤) د. جمال حسين/، خلفيات المداولة الروسية الامريكية قبل الوصول الى مجلس الامن، مصدر سابق *www.azzaman.com*

سبب التردد في الموقف الروسي الى صراع داخل البلاد (تشهد روسيا حاليا صراعا داخليا في المستويات العليا من السلطة، ويتقلب الرئيس بوتين دون ان يعرف ما هو الموقف الذي يجب ان يتخذه. لكن الرئيس الروسي لا يمكن ان ينحاز علنا الى جانب الولايات المتحدة، والا فلن يفهمه سكان البلاد. الا ان الموقف الروسي تغير لان موسكو وواشنطن تدعوان بغداد الآن سوية الى نزع السلاح... لم يعد هناك ما يمكن تغييره في الموقف الروسي. ولا يبقى لبوتين الا ان يقول ان موسكو تؤيد واشنطن. لكن تاييد بوتين للولايات المتحدة علنا سيفقده نفوذ السياسي داخل البلاد)[١]. كما كان للدور الامريكي دورا مهما في التاثير على الساحة السياسية الداخلية لروسيا واستطاعت الولايات المتحدة من سحب الحليف القومي العنيد والصديق القريب للسلطة في العراق (فلاديمير جيرينوفسكي) وتمكنت من تغيير قناعاته بعد قيامه بزيارة للولايات المتحدة فقد اعلن (الولايات المتحدة اصبحت منذ الان حليفتنا الاستراتيجية وشريكتنا... اطالب بتغير النظام الداخلي للحزب الذي يشير الى ان الولايات المتحدة بلد عدو لروسيا... مستقبل روسيا وازدهارها مرتبطان بشكل وثيق بالتعاون مع الولايات المتحدة في كافة المجالات)[٢].

اما الاسباب الاقتصادية فعلى ما يبدو ان روسيا قد ضمنت حقوقها من العقود المؤجلة مع العراق في حال قيام الولايات المتحدة بالحرب وتحقيق اهدافها، ففي لقاء الرئيس الامريكي بالرئيس الروسي ابدى الرئيس الامريكي (احترامه للمصالح الاقتصادية الروسية في العراق)[٣] كما جاء بنشرة انرجي انتليجنس حول تصرح رئيس شركة لوك

---

(١) تغير الموقف الورسي تجاه العراق *iraqhurr* المصدر السابق. *www.iraqhurr.com*

(٢) د. جمال حسين، هل تغيرت بوصلة موسكو تجاه العراق، مصدر سابق.

www.islamicdawaparty.org

(٣) د. عاطف معتمد عبد الحميد، روسيا ودول البلطيق تصفية الحسابات القديمة، ٢٠٠٢/١٢/١٠.

www.islamonlin.com

اويل حين قال (ان الشركة حصلت على تاكيدات سياسية من موسكو بانها لن تخسر الحقل اذا اطيح بصدام)[١]. وفي السياق ذاته نشرت الصحف الروسية انباء عن توصل الرئيس بوش مع الرئيس بوتين بعد زيارته الاولى الى روسيا قبل اشهر عدة الى اتفاق حول ضمان وابقاء ٣٥٪ من المصالح الاقتصادية الروسية في عراق المستقبل اذا تعهدت روسيا بدعم امريكا[٢].

(١) نقلا عن وكالة رويتر للانباء. *www.routar.com*

(٢) شورش خالد سعيد، مجلة الاتحاد، من موقعها على شبكة الانترنيت. *www.serdem.org*

الخاتمة

قبل الحديث عن تصوراتنا واستنتاجاتنا حول العلاقة بين العراق وروسيا لابد الاشارة الى امر اعده مهما عند تقييم العلاقة او وضع تصور معينا عنها وهو ان العلاقات بين الدول تبنى وتنمو او تتقاطع حتى بين دولتين او اكثر على ان لا يكون احد اطراف العلاقة مرهون بالتزامات دولية تثقل وتعيق حركاتها او خياراتها. فالعراق وطيلة فترة البحث وكما هو معروف قد فرضت عليه جملة من الالتزامات الدولية فالى جانب الحصار الاقتصادي وحضر على مبيعاته من النفط هناك الحصار الدبلوماسي والسياسي لهذا فان حرية او حركة العراق باختيار نمط او نوع علاقته مع الاخرين باتت مرهونة بتصورات تلك الدولة ومدى حرصها على استمرار علاقتها مع العراق، ورغم ان الدول تعلن بين الحين والاخر بانها لها الحرية المطلقة باقامة علاقاتها مع العراق او مع غيره الا اننا نعتقد ان تلك الدول مورست عليها العديد من الاملاءات بغية جبها ومنعها باقامة علاقة وفق أي درجة مع العراق وقد تقاطر على هذا الدور كل من الولايات المتحدة وبعض دول الخليج النفطية فتارة بالتهديد واخرى بالمنح او ما تسمى بسياسة الدولار. لهذا لا يمكن ان نبني تصوراتنا بشكل دقيق عن علاقة البلدين دون حضور تلك الالتزامات وتاثيرها على ما نزعم ابداءه.

وحيث ان روسيا الاتحادية هي الوريث الاكبر من التركة السوفتية وبموجبها فقد انتقلت اغلب الحقوق التزامات الدولة السوفيتية الى روسيا لهذا فيمكن لنا ان نبدي تصوراتنا على طبيعة العلاقة بين الدولتين ما قبل فترة البحث والتي اتصفت بالاتي:

اولا: تحليلاتنا وتقييمنا لعلاقة الدولتان قبل فترة البحث.

١ـ منذ الاهتمام الروسي (قيصري وسوفيتي) بالعراق لم يكن القياصرة او السوفيت قد اهتموا بشكل رئيس بالعراق الا باعتباره البوابة التي ينفذون منها الى مياه الخليج، وقد شغلت الحربان العالميتان الدولة السوفيتية بالتطلع نحو العراق اذ كان هم تلك الدولة اولا حرصها في الاقل عن تامين طرق مواصلاتها وبخاصة الممرات البحرية في الدولة العثمانية، وهذا ما كشفته معاهدة سايكس بيكو. وثانيا البدء ببناء الدولة الشيوعية من الداخل من دون الاهتمام بسياسة الدولة الخارجية وبخاصة مصالحها في المنطقة العربية والعراق من ضمنها.

٢ـ بعد الحر بالعالمية الثانية وبدء الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ولاهمية العراق جغرافيا واقتصاديا وامنيا اضحى موضع اهتمام من قبل المعسكرين، وبحكم العوامل التاريخية فان العراق بات من الدول المحورية في المنطقة التي تمثل العالم الغربي الرسمالي وبخاصة بعد انضمامه الى حلف بغداد الذي كان موجها بالاساس الى الدولة السوفيتية.

٣ـ بعد تغيير الحكم في العراق عام ١٩٥٨ وخروجه من حلف بغداد اقترب كثيرا من الاتحاد السوفيتي بعد ان اظهر السوفيت تاييدهم للتغير الحاصل في بغداد، وما اتسمت به العلاقة بين الدولتين هو التقدم الحذر باتجاه العراق بعد ان دخل العراق في دوامة الانقلابات العسكرية وما خلفته من اللااستقرار سياسي وبالتالي فقد القت تلك الانقلابات بضلالها على علاقة العراق بالسوفيت.

٤ـ يعتبر تغير الحكم عام ١٩٦٨ في العراق نقطة تحول مهمة في طبيعة العلاقة بين الدولتين وقد دخل السوفيت بكل ثقل المنطقة من خلال العراق وبخاصة بعد توقيع معاهدة ١٩٧٢. نستطيع القول ان العراق قد كشف الغطاء الذي كان يتستر به السوفيت

بادعائهم ان علاقتهم مع الاخرين تبنى وفق الافكار الشيوعية ولها بعدا ايدلوجيا اذ اظهر السوفيت وبشكل عملي في اكثر من موقف ان سياستهم الخارجية مرهونة بمدى تحقيق مصالحهم بغض النظر ان كانت مصالحهم تلك جاءت متقاطعة او متماثلة مع الفكر الشيوعي، ونعتقد ان القيادة السوفيتية كانت تتلاعب بأنصارها وفق المحافظة على مصالحها وديمومتها لهذا نجد ان السوفيت يلجأون الى تهديد الدول التي تهدد مصالحهم من خلال الاعهلان ان هذه الدولة او تلك قد اضطهدت انصارها الشيوعيين، كما نجد السوفيت يعترضون على الاعمال التي تقوم بها الحكومة الخاصة بالاكراد ونعتقد ان العراق كان مدركا للنوازع السوفيتية ويتصرف وفق ذلك الادراك فمن جهة يؤمن المصالحه السوفيتية ومن جهة اخرى يستطيع ان يبسط سلطانه من دون معارض وبموافقة السوفيت وبمباركتهم.

ثانيا: ما نعتقده وما نراه لطبيعة علاقة الدولتين في فترة البحث.

١ـ ان علاقة الدولتين قد خضعت الى مؤثرات داخلية ودولية رغم ان المؤثرات الداخلية لم تكن بمستوى يجعلها محور سياسة الدولتان إزاء بعضهما، ونعتقد ان كلا السلطتين في روسيا والعراق لم تكن للتاثر بالمؤثرات الداخلية نظرا لهشاشة دورها ولضعف امكانياتها، فالدولتان تقتربان من بعضهما في العديد من الاوجه ومن طريقة ادارة الحكم فضلا عن ان الدولتين واجهتا ازمات وصراعات داخلية ودولية ومن الجهة نفسها التي تتعارض معهما وهي الولايات المتحدة ولابد ايذا من تحديد التوقيت الذيمرت بهما الدولتان حيث اعتبر عام ١٩٩١ وهو التاريخ الفاصل في حياة الاتحاد السوفيتي بالوقت ذاته فان السنة ذاتها هي بداية لاخضاع العراق الى جملة من الالتزامات الدولية.

٢ـ الازمة الاقتصادية في روسيا لم تكن بازمة تقليدية او اعتيادية بل هي أزمة سياسية وتاريخية وقيّميّه اثرت وتاثرت من اغلب المجتمع الروسي بين مسؤول وأفراد وجماعات

ومنظمات عبر شعور تراكمي مختزن مملوء بالتمرد والتذمر والكبت، تلك المحصلة ما جاءت الا لسوء ادارة الدولة في العهد السوفيتي، فالازمة الاقتصادية الروسية لا تختلف عن مثيلاتها في دول العالم من حيث الشكلية او من حيث نتائجها لكنها تختلف تمام الاختلاف عن باقي الازمات من حيث العوامل المؤثرة، فإمكانيات روسيا الاقتصادية قد استعرضناها ونعتقد ان اجتماع هذه الإمكانيات مع هذه الازمة في مكان واحد هو امر شاذ وغير طبيعي.

نستطيع القول ان الأزمات التي تمر بها روسيا اليوم ما هي الا لعوامل داخلية محضة قد عرجنا على اغلب أسبابها سابقا، ونشير الى ان المجتمع الروسي يحتمل المسؤولية الكاملة متمثلة بمؤسسات المجتمع المدني عما يمر به الان، متى ما انتمى للهوية الروسية ومتى ما استطاع يتوحد رغم تعدد الاعراق وان يجعل من تنوعه مصدر قوة، واعتقد ولست هنا في محل المنظر للروس فامام القادة الروس فرص كبيرة للارتقاء والنمو مستثمرين عناصر القوة كافة بشرية كانت ام مادية.

٣ـ اعتقد ان الحر بالجارية في الشيشان لا يوجد من يرغب في إنهائها او تحقيق أهدافها لان إنهاءها سوف تنتفي اسباب التدخلات من قبل تلك الدول، فبعض تلك الدول يأتي تدخلها من اجل إرهاق روسيا وزيادة مشاكلها وتقليل او انهاء دورها على الصعيد الدولي وذلك لخشية تلك الدول من إعادة مكانة روسيا دوليا كما تحاول هذا الدول اتباع سياسة الجيبوبولتكية او ما تسمى اللعبة الكبرى للقوقاز والتي تتمثل بمساعدة ودعم المقاتلين الشيشانين وصولا الى استقلالهم واشغال روسيا بحرب مع العالم الاسلامي هذا الطموح والامل ما برح قادة تلك الدول وتقف الولايات المتحدة الأمريكية في طليعة هذه الدول لكن الصراع في هذه المنطقة رغم ان لتلك الدول دوراً في استمراره الا انها لم تستطع ان تجر روسيا الى فرض حرب على العالم الاسلامي اذ نجد ان روسيا تحارب من اجل مصالحها السياسية والاقتصادية ولم تعبه بتاويل حربها من قبل الاخرين وقد لا نخطئ في اعتقادنا

بالقول ان المحرك الرئيس في هذه الحرب هي الولايات المتحدة التي تمسك بخيوطها اما بشكل مباشر او بغير مباشر لكن تبقى تأثيراتها حاضرة في مجمل الاحداث. ففي الدول الساندة للمقاتلين الشيشان تبدو التاثيرات الامريكية على تلك الدول واضحة فكما هو معروف ان هذه الدول لها علاقات متينة مع الولايات المتحدة بل وبعض منها لها أحلاف ومعاهدات وقد تتخذ الولايات المتحدة اكثر من أسلوب منها سياسة كغض الطرف عن الدعم الذي يذهب الى المقاتلين وكما للدول المانحة أهداف ذكرناها سابقا فان للولايات المتحدة لها اهداف أيضا فإلى جانب إراق روسيا بمشاكلها الداخلية والحيلولة دون ظهورها من جديد على الصعيد الدولي فهي تسعى الى إفراغ الدول التي لها تواج على أراضيها من أوجه المعارضة كافة وبخاصة المعارضة الإسلامية فضلا عن حرص الولايات المتحدة على إبقاء منطقة الشيشان منطقة جاذبة للمقاتلين المسلمين بغية محاربتهم او احتوائهم. فضلا عن خشيتها في حال نيل الشيشانيين استقلالهم قد يجر باقي الأقليات الى المطالبة بالاستقلال وبالتالي سوف تظهر كيانات قد تدخل المنطقة بسلسلة من التطورات والاهتزازات مجهولة العواقب. اما التدخلات الامريكية في الجانب الروسي فتظهر جليا اذ ان الحرب تجري بمباركة امريكية بعدها حرب على الارهاب. اما القادة الروس فهم وقفوا الموقف ذاته وجعلوا من القضية الشيشانية ورقة من اوراق اللعبة الانتخابية ذلك لانهم يدركون تماما ان الحرب لن تحسم عسكريا في الامد الطويل او غير قادرين على حسمها. فنرى ان الرئيس بوتن عند ترشيحه لرئاسة الدولة كان برنامجه السياسي هو عن قدرته على انهاء التمرد وفي استطلاع اجرته صحيفة نوفي ازفستيا تبين ان نتائج الاستطلاع تظهر ارتفاع في شعبية المرشح للرئاسة بوتين خلال شهر حيث كان نصيبه من المؤيدين ١٪ في ايلول من عام ١٩٩٩ ارتفعت الى ١٥٪ عند مطلع تشرين اول.

٤ـ نرى ان روسيا الاتحادية ترتبط بعلاقات مع الولايات المتحدة اذ تبدو اكثر انسجاما لمعرفة كل دولة بقدرات الاخرى، مع البيان ان الدولتين لها من مراكز البحوث

والدراسات الاستراتيجية التي من خلالها سوف ترسم خطوط العلاقة بينهما ليس من خلال قدرات الدولتين الحالية فحسب بل الى التنبؤ برسم خطوط العلاقة بينهما في المستقبل فضلا عن ذلك ترسم تلك الخطوط العلاقة في حالة الحرب والسلم على حد سواء.

٥ـ اما علاقة روسيا الاتحادية مع منظمة حلف شمال الاطلسي (الناتو) فكلا طرفي العلاقة يدركون تماما مقدرة الاخر، فروسيا تعرف نوايا واعمال الدول الغربية ازاءها وكذلك تعرف قدراتها بمواجهة الناتو نعتقد ان قدرتها تتمثل بخزينها النووي وبوسائل انتاج الاسلحة النووية لا باستخدامها عند الضرورة بل في السعي لانتشارها في حال زيادة الضغط عليها. بين الدول و (المنظمات) وبخاصة الدول المعادية للولايات المتحدة اذ ان روسيا خبرت المناطق الرخوة في الجسد الغربي الامر الذي سيجعل الدول الغربية تفكر كثيرا قبل الاقدام على خطوة باتجاه مضايقة روسيا قد لا تستطيع تدارك ردود الافعال الروسية. اما الطرف الاخر (الناتو) فهو يدرك ايضا نقاط ضعفه وقوته ونقاط ضعف روسيا وقوتها وعلى هذا التصور لا اعتقد ان الغرب سيوصل بروسيا الى حالة التصادم به او التصادم الداخلي والذي لا يقل اهمية من التصادم الخارجي اذ يخشى منه هو سيطرة المحافظين ان كانوا قوميين او شيوعيين او رجال الجيش على السلطة وأعادت أحلام هذه النخبة في تحقيق الإمبراطورية الروسية، وقد تبدو سياسة الوعود والإغراء منسجمة مع الطلبات الروسية تلك السياسة التي تهدف الى تجريد الروس من خزينهم النووي والوصول الى جعل روسيا دولة تحتاج دائما العالم الغربي أسوة بالدول الاخرى ترتبط بعلاقات مع الدولة الاكبر في العالم الولايات المتحدة لا على اساس الندية او التوازن. وعلى ما يبدو ان كلا الطرفين يراهنون على الوقت الذي يعتبرونه كفيلا بتحقيق أهدافهما. اما عن طبيعة النزاع بين روسيا واليابان حول جزر الكوريل نرى ان روسيا ستتخذ من تلك الجزر النافذة التي تنفذ منها الى عالم اوسع والى تكتلات امنية واقتصادية اقليمية ردا

على زحف الناتو اليها من الغرب ونعتقد ان الجزر سوف تكون مدخلا اخر لليابان في الانفتاح داخل روسيا عن طريق الاستثمار والتعاون بين الدولتين.

٦ـ نعتقد ان علاقة الدولتين خلال فترة البحث لم تكن علاقة تكافئية او طبيعية ذلك لان العراق لم يكن لدية فرص عديدة لبسط طلباته او آرائه وقد تعامل وفق الممكن له لا ما يرغب فيه وكان الجانب الروسي يدرك ذلك وقد تعامل مع العراق وفق ادراكه، كما نرى ان روسيا قد جعلت من القضية العراقية محل مساومة وابتزاز لتعزيز مصالحها ولسنا هنا لتقييم المواقف الاخلاقية من عدمها فالمصالح الوطنية تتجاوز المبادئ والاخلاق، وقد اوردنا في متن البحث العديد من المواقف الروسية التي تصب في هذا الاتجاه، ونعتقد ان العراق حرص على علاقته بروسيا ليس من منطلق تاريخي بل لقراءة جيدة لعلاقة الدول الاعضاء في مجلس الامن مع الولايات المتحدة وقد تفردت روسيا من خلال طبيعة علاقتها بالولايات المتحدة وعمقها بانها الاقرب الى تحقيق مصالحها في العراق لذا فان اختيار روسيا لم يكن لدوافع تاريخية او لتقاربهم حول طبيعة علاقتهما بالولايات المتحدة. لهذا فلا غرابة ان تكون روسيا لها حصة الاسد في العقود الموقعة مع العراق بموجب اتفاقية النفط مقابل الغذاء.

المصادر

اولا .الكتب

١ـ د. إبراهيم عرفات، إعادة التعريف الإقليمي في رابطة الدول المستقلة وآثارها على النظام الإقليمي العربي، من ندوة الوطن العربي وكومنولث الدول المستقلة، معهد البحوث والدراسات العربية، دار الهلال، حزيران .١٩٩٤

٢ـ د. احمد سوسة، حضارة وادي الرافدين بين السامين والسومرين، دار الحرية للطباعة، بغداد .١٩٨٠

٣ـ احمد عطا الله، القاموس السياسي، .١٩٦٨

٤ـ اديت وائي وايف بيزوز، العراق دراسة في علاقته الخارجية وتطوراته الداخلية (١٩٢٥ـ١٩٧٥) ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، الجزء الاول، بيروت، الدار العربية للموسوعات، .١٩٨٩

٥ـ الكسندر اداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم محمد التكريتي، البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، الجزء الثاني .١٩٨٩

٦ـ باقر ياسين، تاريخ العنف الدموي في العراق، بدون دار للطبع (استنساخ) .١٩٩٩

٧ـ بوندا رينسكي، سياستان ازاء العالم العربي، دار التقدم، موسكو، .١٩٧٥

٨ـ جوزيف ستكلتز، العولمة ومساوئها، ترجمة فالح عبد القادر، بيت الحكمة، الطبعة الاولى ٢٠٠٣، بغداد.

٩ـ حامد ربيع، امن الخليج العربي وصراع القوى الكبرى، الندوة الدبلوماسية الثانية في وزارة الخارجية، الامارات، .١٩٨٠

١٠ـ د. حميدة سميسم، (روسيا والموقف من العراق في ام المعارك) العرب والقوى العظمى / العرب وروسيا. بيت الحكمة اذار .١٩٩٨

١١ـ خالد محمد القاسمي، الخليج العربي في السياسة الدولية، الامارات، دار الشباب للنشر والترجمة، ١٩٨٦.

١٢ـ خليل ابراهيم حسين، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩، الجزء الاول، بغداد .٢٠٠٠
١٣ـ خير الدين عبد الرحمن، القوى الفاعلة في القرن الحادي والعشرين، دمشق دار الجليل للنشر والتوزيع .١٩٩٦
١٤ـ الدستور الروسي.
١٥ـ روي مركريدس، مناهج السياسة الخارجية، بيروت .١٩٦١
١٦ـ روبرت باريلسكي، امن الخليج في القرن الحادي والعشرين، مركز الامارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية .١٩٩٨
١٧ـ رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بدون تاريخ الطبع.
١٨ـ ريتشارد نيكسون، ما وراء السلام، ترجمة مالك عباس، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان .١٩٩٥
١٩ـ زبغينو بريجنسكي، الفوضى، الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين، ترجمة مالك فاضل، عمان الاردن، الاهلية للنشر والتوزيع .١٩٩٨
٢٠ـ سمعان بطرس فرج الله، العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين، الجزء الاول، بيروت، ١٩٧٤.
٢١ـ سمير عبد الكريم، اضواء على الحركة الشيوعية في العراق، دار المرصاد، الجزء الأول، .١٩٧٩
٢٢ـ سميع عبد الفتاح، انهاير الامبراطورية السوفيتية نحو نظام عالمي جديد احادي القطب، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان .١٩٩٦
٢٣ـ سيف الدين عبد القادر، اهم احداث العالم المعاصر، بغداد، .١٩٧١
٢٤ـ د. صادق الأسود، الرأي العام ظاهرة اجتماعية وقوة سياسية، بغداد، دار الكتب العلمية والنشر، ١٩٩١.
٢٥ـ د. صالح الخثلان، المحدد الثقافي لعلاقات الوطن العربي بجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، بحث في تاثير الثقافة السياسية على العلاقات بين الدول العربية والجمهوريات الاسلامية وروسيا، من ندوة لوطن العربي وكمنولث الدول المستقلة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، حزيران، .١٩٩٤
٢٦ـ عبد الاله بلقزيز، حرب الخايج والنظام الدولي الجديد، دار الطليعة، بيروت، تموز .١٩٩٣
٢٧ـ د. عبد القادر محمد فهمي (روسيا الاتحادية والوطن العربي دراسة مقارنة للسلوك السياسي

السوفيتي. الروسي تجاه الوطن العربي) العرب والقوى العظمى / العرب وروسيا. بيت الحكمة اذار ١٩٩٨.

٢٨ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية الجزء السادس والتاسع، بيروت .١٩٨٧

٢٩ـ د. عماد عبد اللطيف سالم، الازمة الروسية، تحليل في ضوء معطيات الاقتصاد السياسي، السنة الثانية، بحث غير منشور لبيت الحكمة بغداد .١٩٩٨

٣٠ـ د. علي محمد المياح، (السياسة الروسية والموقع الجغرافي العربي) العرب والقوى العظمى، .١٩٩٨

٣١ـ د. غازي فيصل حسين (السياسة الخارجية الروسية تجاه المشرق العربي بين الفعالية والانكفاء) العرب والقوى العظمى / العرب وروسيا بيت الحكمة اذار .١٩٩٨

٣٢ـ د. غانم محمد صالح (روسيا والخليج العربي) العرب والقوى العظمى / العرب وروسيا. بيت الحكمة اذار .١٩٩٨

٣٣ـ فؤاد العشا، النظام العالمي الجديد، عالم بخمسة رؤوس، سوريا، دار الجماهير للنشر والتوزيع ايلول ١٩٩٤.

٣٤ـ لينا لسنيك. ايلين بلان، من سيهزم يلتسين. صراع مع غورباتشوف والشيوعيون، منشورات عويدات، باريس، .١٩٩٣

٣٥ـ لستر ثرو، المتناطحون، ترجمة محمد فريد، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستيراتيجية، ١٩٩٥.

٣٦ـ د. محمد نصر مهنا، السوفيت وقضية فلسطين. دار المعارف، القاهرة .١٩٨٠

٣٧ـ د. محمد مظفر الادهمي، التاريخ الحديث والمعاصر للوطن العربي. يوغسلافيا .١٩٨٢

٣٨ـ محمود الدرة، الحرب العراقية البريطانية ١٩٤١، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، بيروت ١٩٦٩.

٣٩ـ محمود عزيز شكري، الاحلاف والتكتلاف في السياسة العالمية، الكويت، .١٩٧٨

٤٠ـ مصطفى الحمارنة، العرب في الإستراتيجيات العالمية، الناشر ـ مركز الدراسات الإستراتيجية ـ الجامعة الأردنية.

٤١ـ ملفين جودمان، موسكو والشرق الاوسط خلال التسعينات، في امتطاء النمر، تحدي الشرق الاوسط بعد الحرب الباردة، تحرير فيي مار ووليم لويس، ترجمة عبد جمعة الحاج، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستيراتيجية، .١٩٩٦

٤٢ـ ميخائيل غورباتشوف، البيريسترويكا تفكير جديد لبلادنا وللعالم، ترجمة حمدي عبد الجواد، القاهرة، ١٩٨٨.

٤٣ـ نورهان الشيخ، صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية الروسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت .١٩٩٨

٤٤ـ د. نجيب الارمنازي، السياسة الدولية واشهر رجالها، القسم الاول، دمشق، .١٩٥٠

٤٥ـ هيلين كارير دانكوس، السياسة السوفيتية في الشرق الاوسط، ١٩٥٥ـ١٩٧٥، دار الكلمة الطيبة، بيروت، .١٩٨٣

٤٦ـ هاكمادة جاجيكي، العلاقات الروسية اليابانية، اعداد رانيا سعد توفيق، اصدار مركز دراسات الاهرام، كانون اول .١٩٩٧

٤٧ـ والتر لاكور، الاتحاد السوفيتي والشرق الاوسط، تعريب لجنة من الاساتذة الجامعيين، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، .١٩٥٩

٤٨ـ د. وميض جمال عمر نظمي، الدكتور شفيق عبد الرزاق، الدكتور غانم محمد صالح، التطور السياسي المعاصر في العراق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ١٩٨٢.

ثانياً: الرسائل والاطاريح

٤٩ـ احمد حسين شحيل، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى جامعة بغداد، العلوم السياسية .٢٠٠٠

٥٠ـ احمد نوري النعيمي، تركيا وحلف شمال الاطلسي، اطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة القاهرة، القاهرة .١٩٧٩

٥١ـ سعد صادق حسون، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٦٨-١٩٨٠، رسالة ماجستير، جامعة بغداد ١٩٩٣.

٥٢ـ عبد المناف شكري جاسم، العلاقة العراقية السوفيتية، ١٩٤٤ ـ شباط ١٩٦٣، رسالة ماجستير منشورة، مطبعة جميل، الطبعة الثانية، بغداد ١٩٨٠ صفحة .٨١

٥٣ـ لمى مضر الامارة، سياسة روسيا الاتحادية اتجاه دول الخليج العربي، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة النهرين، .١٩٩٩

٥٤ـ محمد جميل ابراهيم، العلاقات العراقية الروسية في عقد التسعينات، أطروحة دكتوراه، مصدر سابق، ٢٠٠٢.

٥٥ـ مظفر نذير الطالب، السياسة الخارجية السوفيتية في الوطن العربي، ١٩٥٣ـ١٩٦٧ اطروحة ماجستير، بغداد غير منشورة، كانون الثاني .١٩٨٢
٥٦ـ مناف النداوي، العلاقات العراقية السوفيتية ١٩٥٨-١٩٦٣، ورسالة ماجستير، جامعة بغداد.

ثالثاً: المجلات والدوريات

٥٧ـ د. إبارهيم عرفات، روسيا والناتو، قراءة فس مدلولات اللائحة التأسيسية، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية بالاهرام، العدد ١٢٩، السنة الثالثة والثلاثون، تموز ١٩٩٧.
٥٨ـ احمد الخميسي، يلتسين يحقق أسوء انتصار والجيش يحسم الصراع، مجلة اليسار، حزب التجمع الوطني التقدمي والوحدوي، العدد الخامس والأربعون تشرين ثان .١٩٩٣
٥٩ـ د. امال شلاش، الازمة الروسية تحليل في ضوء معطيات الاقتصاد السياسي، مجلة الحكمة، شباط ١٩٩٨.
٦٠ـ أماني محمود، تجربة دول اوربا الشرقية، مجلة السياسية الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية، بالاهرام، العدد ٨٩، صفحة ٩١-١٠٠.
٦١ـ ان دي تينجي، ظهور روسيا على الساحة الدولية، اعداد سوسن حسين، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٠٩، تموز .١٩٩٢
٦٢ـ ب فردريك، ج مدفيديف، ن باختوفر، روسيا في حالة تشنج، اعداد سوسن حسين، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية، السنة التاسعة والعشرون، العدد ١١٣، تموز ١٩٩٣، صفحة .٢٩٩
٦٣ـ جوزيف سماحة، ازمة الخليج. واشنطن ترفض الحل الممكن وتسعى الى الحرب، مجلة اليوم السابع، السنة السابعة، ايلول .١٩٩٠
٦٤ـ د. حامد ربيع، حرب الخليج والتفاعلات الدولية، مجلة الامن القومي، السنة الثامنة، العدد ٤، ١٩٨٦.
٦٥ـ خالد محمود الكومي، جيرنوفسكي بين السياسة الروسية والدولية، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية بالاهرام، السنة الثلاثون، العدد ١١٦، نيسان .١٩٩٤
٦٦ـ خليل الجنداوي، موسكو تبدا رحلة العودة الى المنطقة العربية، مجلة السياسة الدولية، مركز دراسات الاهرام، العدد ١٢٧، اذارا .١٩٩٨

٦٧ـ رضا محمد هلال، مستقبل التعاون الفرنسي الروسي الالماني، مجلة السياسة الدولية مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية بالاهرام، السنة الرابعة والثلاثون، العدد ١٣٣ تموز .١٩٩٨
٦٨ـ د. سارة مندلسون، تعاون عالي المستوى بين العسكريين الروس والامريكيين، مجلة الحكمة، شباط ٢٠٠٢، العدد .٢٣
٦٩ـ شارلي كروس ومارتينا اوبروتوفا، الفصل الجديد في العلاقات الاريكية الروسية، الفرص والتحديات، عرض هبه سمير، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٧، كانون ثان ١٩٩٧، صفحة .١٦٣
٧٠ـ عبد الكريم حمودي، الصراع الدولي على اسيا الوسطى، مجلة قضايا دولية، العدد ٣٠٤، تشرين اول ١٩٩٥.
٧١ـ عبد الكريم حمودي، اعتراف العراق بالكويت وارتباطه بتخفيف العقوبات، مجلة قضايا دولية، اسلام اباد، العدد ٢٥٦، السنة الخامسة، تشرين ثان ١٩٩٤ صفحة .١١
٧٢ـ عماد جاد، المقدمات السياسية للانقلاب في الاتحاد السوفيتي، مجلة السياسية الدولية، العدد ١٠٦، تشرين اول .١٩٩١
٧٣ـ علي الزكري، الشياشان والاختيار الصعب العودة الى الحضيرة موسكو ام حرب اهلية، مجلة قضايا دولية، السنة الخامسة، العدد ٢٤٤، ايلول .١٩٩٤
٧٤ـ فتحي حسون عطوة، الموقف السوفيتي وتاثير الوفاق الجديد، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٠٢ العربي، العدد، صفحة .٤٨
٧٥ـ فواز جرجيس، الصراع السياسي على السلطة في الاتحاد السوفيتي الى اين، مجلة المستقبل العربي، العدد، صفحة .٤٨
٧٦ـ كاظم هاشم نعمة، افاق العلاقات العراقية ـ السوفيتية، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة، العدد الاول، .١٩٩٢
٧٧ـ د. كمال مظهر، تطوير التعاون الأمريكي الروسي تتطلبه مصلحة الطرفين، مجلة الحكمة، العدد ٢٣، شباط .٢٠٠٢
٧٨ـ لطفي الخولي، الصراع على السلطة في روسيا الاتحادية، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية بالاهرام، السنة الثامنة والعشرون، العدد، ١٠٨، نيسان .١٩٩٢
٧٩ـ لوسينين ايونيد، روسيا والناتو، معظلة وتوسيع الناتو شرقا في السياسة الروسية والراي العام الروسي ١٩٩٢-١٩٩٧ مجلة دراسات، العدد ١٢، ٢٠٠٢، ترجمة عبد الوهاب القصاب.

٨٠ـ د. منعم صاحي العمار، العلاقات العراقية ـ الروسية والبحث عن نموذج واقعي لتأطير تفاعلاته، مجلة دراسات استيراتيجية، العدد الثالث، ١٩٩٧.

٨١ـ د. مازن الرمضاني، مجلة الامن القومي، العدد الاول، ١٩٩٠.

٨٢ـ د. مازن الرمضاني، العرب والاتحاد السوفيتي، المجلة العربية للعلوم السياسية، السنة الاولى، العدد الاول.

٨٣ـ د. محمد السيد سليم، العرب فيما بعد العصر السوفيتي، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، مركز دراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، السنة الثانية والعشرون العدد ١٠٨ نيسان ١٩٩٢.

٨٤ـ محمد سيد احمد، لماذا انهار الاتحاد السوفيتي، مجلة السياسية الدولية، مركز الدراسات الدولية والاستيراتيجية، باالهرام، السنة الثامنة والعشرون، العدد ١٠٨، نيسان ١٩٩٢.

٨٥ـ د. محمد السيد سليم، العرب فيما بعد العصر السوفيتي، مجلة السياسة الدولية مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية بالاهرام، السنة الثامنة والعشرون، العدد ١٠٨، نيسان ١٩٩٢، صفحة ١٤٩.

٨٦ـ محمد دياب، توسيع الناتو وحرب البلقان / أهداف إستراتيجية وجيوسياسية، مجلة شؤون الأوسط، العدد ٨٣، مايس ١٩٩٩.

٨٧ـ معتز محمد سلامة، العلاقات الامريكية الروسية وقمة فانكوفر، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، السنة التاسعة والعشرون، العدد ١١٣، تموز ١٩٩٣.

٨٨ـ معتز محمد سلامة، امن الكمنولث بين الدور الروسي ومصادر التهديد، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية، بالاهرام، السنة الواحدة والثلاثون، العدد ١١٩، ١٩٩٥، صفحة ٢١٧.

٨٩ـ معتز محمد سلامة، العلاقات الامريكية. الروسية وقمة فانكوفر، مجلة السياسة الدولية، العدد ١١٣، كانون ثان ١٩٩٣.

٩٠ـ نبيل شبيب، الانتخابات الروسية الشيوعيون عائدون... دون الشيوعية، مجلة قضايا دولية، اسلام اباد، معهد الدراسات الدولية، السنة السابعة، العدد ٣١٣، كانون الثاني.

٩١ـ نبيه الاصفهاني، السياسة الخارجية الروسية في مرحلة التحول الديمقراطي، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية بالاهرام، السنة الخامسة والثلاثون، العدد ١٣٦، نيسان ١٩٩٩.

٩٢ـ د. وليد الشريف، الاتحاد السوفيتي ومنطقة الخليج العربي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الخامس، كانون الثاني، ١٩٧٦.

٩٣ـ مجلة قضايا دولية، خلافات بين الرئيس والبرلمان حول الانسحاب من الشيشان، اسلام اباد، العدد ٦٢ كانون اول ١٩٩٦.

٩٤ـ معهد الدراسات السياسية، مجلة قضايا دولية، يلتسين يحذر من حرب اهلية اذا فاز الشيوعيون بالانتخابات، اسلام اباد، السنة السادسة، العدد ٣١٢، كانون اول.

٩٥ـ معهد الدراسات السياسية، مجلة قضايا دولية، ما الذي بقى من الإصلاحات الروسية، السنة الخامسة، العدد ٢١٤، شباط ١٩٩٤.

٩٦ـ مجلة الحدث، محاولات روسيا للعودة الى الشرق الاوسط، مكرز الدراسات التركية، السنة الاولى، العدد ١٠، كانون الاول ١٩٩٤، صفحة ٤٩ـ ٥٠

٩٧ـ مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستيراتيجية بالاهرام، السنة الثالثة والعشرون، العدد ٨٩، تموز ١٩٨٧ صفحة ٧٢ـ ١٨٠

٩٨ـ العلاقات الروسية الهندية مرحلة الاعلان الاستراتيجي، ترجمة ستار جبار الدليمي، محطات استيراتيجية، العدد ٦٧، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية.

٩٩ـ مجلة الوطن العربي، العدد ٨٩٥ في ٢٩/ ٤/ ١٩٩٤.

١٠٠ـ مجلة آفاق عربية، العدد ٩، أيار ١٩٧٦ (ملف عن الحرب العراقية البريطانية)

رابعا . الصحف ووكالات الانباء

١٠١ـ جريدة الراي الكويتية ف ي٩/ ١١/ ١٩٨٥.

١٠٢ـ جريدة العرب العالمية، العدد ٥٧٧٤، ٧/ ١٠/ ١٩٩٩.

١٠٣ـ جريدة الحياة، العدد ١٢٤٧٨ في ٢٩/ ٤/ ١٩٩٧.

١٠٤ـ جريدة العرب العالمية، العدد ٥٧١٢، ٢١/ ٩/ ١٩٩٩.

١٠٥ـ عن جريدة الشرق الاوسط، العدد ٧٤٣٢ في ٤/ ٤/ ١٩٩٩.

١٠٦ـ جريدة الأهرام، ١٩/ ٤/ ١٩٩٤.

١٠٧ـ نقلا عن صحيفة الشرق الاوسط اللندنية من موقع الصحيفة على شبكة الانترنيت، ٢٦/ ١٠/ ١٩٩٣.

١٠٨ـ صحيفة الراي الاردنية العدد ٩٠٠٠ في ١٦/ ٤/ ١٩٩٥.

١٠٩ـ صحيفة الراي الاردنية، العدد ٨٨١٧ في ١٢/ ١٠/ ١٩٩٤.
١١٠ـ صحيفة الراي الاردنية، العدد ٨٨٤٩ في ١٣/ ١١/ ١٩٩٤.
١١١ـ صحيفة الشعب الصينية في ٢١/ ٢/ ٢٠٠٢.
١١٢ـ صحيفة الحياة في ٢/ ٨/ ٢٠٠٠.
١١٣ـ وكالة الانباء الفرنسية.
١١٤ـ وكالة رويتر للانباء.

خامسا: اوراق ودراسات

١١٥ـ د. ضاري رشيد الياسين، العلاقات الامريكية الروسية في ضوء فوز بوتين بالرئاسة الروسية، اوراق امريكية، مركز الدراسات الدولية، العدد ٤٠، حزيران ٢٠٠٠.
١١٦ـ نزار اسماعيل عبد اللطيف الحيالي، تقييم العلاقات الروسيةـالامريكية، اوراق امريكية، مركز الدراسات الدولية، العدد ٥٧ كانون اول ٢٠٠٠.

سادساً: مواقع المصادر على شبكة الانترنيت

١١٧ـ د. ابراهيم زعير، العولمة.. امركة العالم او صهينته، صحيفة الاتحاد الاماراتية، في ١/ ٨/ ٢٠٠٠. ***www.ithaad.net***
١١٨ـ احمد شفيق، بانهيار الاتحاد السوفيتي انهارت صادرات روسيا الى العرب، مجلة بيان الاربعاء ***www.albayan.com***
١١٩ـ احمد سعد الدين، الحرب الروسية اليابانية. ***www.al٣ez.net***
١٢٠ـ اشواق عباس، الملف النفطي العراقي، الحوار المتمدن، العدد ١٠٩٨ في ٣/ ٢/ ٢٠٠٥. ***www.rezgar.com***
١٢١ـ اشرف البربري، العالم على ابواب سباق التسلح امريكي روسي جديد، مجلة الجزيرة العدد ١٠٧ في ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٤، من موقع على شبكة الانترنيت. ***www.aljazirahmagazien.com***
١٢٢ـ د. بيوار خنسي، الحزام النفطي في كردستان.
١٢٣ـ د. جمال حسيبن، هل تغيرت بوصلة موسكو تجاه صدام، ***www.azaman.com***
١٢٤ـ د. جمال حسين، خلفيات المداولة الروسية الامريكية قبل الوصول الى مجلس الام، صحيفة الزمان، عدد ١٤٥٣ في ١٥/ ٣/ ٢٠٠٣. ***www.azaman.com***

١٢٥ـ د. حمزة زوبع، الشيشانيون... الحرية او الموت... ***www.chehenonline.com***

١٢٦ـ د. حمزة زوبع، مستقبل الشيشان، ***www.islamonline.net***

١٢٧ـ شيرين حامد فهمي، مركز الامارات للدراسات والبحوث، ١٢/ ٢/ ٢٠٠١.

www.ecssr.ac.ae

١٢٨ـ وكالة الانباء الروسية نوفوستي، روسيا احصائيات . وقائع، ٢٤/ ١٢/ ٢٠٠٤.

www.riau.ru

١٢٩ـ من يخوض الانتخابات الروسية؟ تحقيق على موقع ***bbc***، ٢٤/ ٣/ ٢٠٠٠.

www.bbc.com

١٣٠ـ د. عاطف معتمد عبد الحميد، انقلاب اسيا الوسطى ارادة الشعوب وارادة واشنطن،

www.aljazeerah.net

١٣١ـ عبد القادر عبد الهادي، تعادل الشيوعيون وانصار يلتسين في انتخابات روسيا، ٢١/ ١٢/ .١٩٩٩

١٣٢ـ اللواء الدكتور علي محمد رجب، ملامح الانفاق العسكري العالمي تجارة السلاح، مجلة الحرس الوطني، عدد ٢٧٣ في ١/ ٢/ ٢٠٠٥. ***www.alwatan.com***

١٣٣ـ من يخوض الانتخابات الروسية؟ مصدر سابق. ***www.bbc.com***

١٣٤ـ التجمع الاقتصادي العربي الروسي، من موقعه على شبكة الانترنيت. ***www.ru٤arab.ru***

١٣٥ـ روسيا حقائق ووقائع، من موقع على شبكة الانترنيت. ***www.ru٤arab.ru***

١٣٦ـ جريدة نيزافيسيمايا جازيت، فحوى الخطاب للرئيس الروسي، ٢٩/ ١٠/ ١٩٩١.

www.novayagazeta.ru

١٣٧ـ هيرمان بيرتشنير والان بيرمان، مصدر سابق. ***www.interfax.news.com***

١٣٨ـ نشرة اخبار هولندا للاسبوع ٢٠٣٤. ٢٦/٨/٢٠٠٣ موقع على شبكة الانترنيت ***www.anbn.iraqal.com***

١٣٩ـ ***www.alitijahalakhar.com***

١٤٠ـ فلاديمير بولشكوف، هل يمكن لروسيا ان تخرج من المديونية،

www.interfax.news.com

١٤١ـ التقرير الاستيراتيجي العربي لعام ١٩٩٨، صفحة ١١٤. ***www.ahram.org.eg***

١٤٢ـ وكالة الانباء الروسية نوفوستي، ***www.riau.ru***

١٤٣ـ د. عاطف معتمد عبد الحميد، المقاومة الشيشانية... روعة النجاح ام رقصة الطائر الجريح، ١٢٨/ ٨/ ٢٠٠٣.. ***www.islamonline.net***

١٤٤ـ هشام السيد، روسيا ضرب الشيشان مقابل ضرب العراق. ***www.aljazeerah.net***

١٤٥ـ صلاح الدين الجورشي، الراي العام العربي والاسلامي خارج الدوائر الرسمية.

www.alwaha.com

١٤٦ـ ضرب الشيشان يرفع شعبية بوتين، من موقع الانترنيت، ٨/ ١٠/ ١٩٩٩.

www.bbc.com

١٤٧ـ قضايا الخليج، مركز الدراسات الاستيراتيجية والمستقبلية / جامعة الكويت،

www.islamdir.com

١٤٨ـ غسان ابو حمد، شيطان روسيا الجديد، من موقع على شبكة الانترنيت.-***www.al-jazirah.com***

١٤٩ـ محمد زين العبادين محمد، النظام العالمي الجديد والشرخ في العلاقات عبر الاطلسي، من موقع على شبكة الانترنيت. ***www.arabicebook.com***

١٥٠ـ د. سحر المجالي، جزر الكوريل وتطور العلاقات اليابانية الروسية الجديدة، موقع البيان على شبكة الانترنيت، ١٠/ ٥/ ١٩٩٨. ***www.albayan.com***

١٥١ـ هادي شادي، نافذة من موسكو، جزر الكوريل من جديد، ***www.alwatan.com***

١٥٢ـ نقلا عن وكالة انتر فاكس الروسية في ٣/ ٩/ ٢٠٠٠. ***www.interfax-news.com***

١٥٣ـ محمد ابراهيم الدسوقي، مجلة العالم، العدد ١٢٥، ١٥/ ٥/ ٢٠٠٠ ***www.alaalam.com***

١٥٤ـ من حديث بوتين في احد المؤتمرات الصحفية ***www.masrawy.com***

١٥٥ـ أطلس العراق، ***www.raadsk.com***

١٥٦ـ مساحة العراق ***www.arabsawa.com***

١٥٧ـ ارض الرافدين ***www.menfn.com***

١٥٨ـ د. مجيد الهيتي، مساهمة في النقاش حول نفطنا. ***www.althakafaaljadeda.com***

١٥٩ـ نقلا عن صحيفة ازفيستيا، ٢١/ ٦/ ١٩٩٣. ***www.izvestiya.ru***

١٦٠ـ خير الله سعيد، الحوار المتدن، العدد ٣٧٨في ٢٦/ ١/ ٢٠٠٣.

tamman@qaqarinclub.ru

١٦١ـ المم المتحدة ***www.un.org***

١٦٢ـ نبيل شبيب، خدعة تخفيف الحصار، ١٩/ ٩/ ٢٠٠٠.

www.albayan-magazine.com

١٦٣ـ التعاون الاقتصادي بين موسكو وبغداد... الغنم ما بعد التغيير. ***www.albayan.co.ae***

١٦٤ـ الشركة على شبكة الانترنيت. ***www.mirros.ru***

١٦٥ـ ***www.ans-russia-iraq-trade***

١٦٦ـ صحيفة البيان، نقلا عن وكالة انباء انترفاكس الروسية، في ٢١/ ٤/ ٢٠٠٠.

www.interfax.news.com

١٦٧ـ نقلا عن ***bbc*** في ٢٤/ ٣/ ٢٠٠٣. ***www.bbc.com***

١٦٨ـ عن ***bbc***، نقلا عن احد اعضاء المجلس الوطني العراقي، ١٨/ ١٢/ ١٩٩٩. ***www.bbc.com***

١٦٩ـ خير الله سعيد، موسكو، الحوار المتمدن، العدد ٣٧٨ في ٢٦/ ١/ ٢٠٠٣.

www.rezgar.com

١٧٠ـ تغير الموقف الروسي تجاه العراق ***iraqhurr*** على شبكة انترنيت. ***www.iraqhurr.co***

١٧١ـ د. عاطف معتمد عبد الحمين، روسيا ودول البلطيق تصفية الحسابات القديمة، ١٠/ ١٢/ ٢٠٠٢. ***www.islamonlin.com***

١٧٢ـ شورش خالد سعيد، مجلة الاتحاد، ***www.erdem.org***

سابعاً: نشرات وتقارير

١٧٣ـ الدار العربية للدراسات والنشر والترجمة، نشرة تقديرات الاستيراتيجية، رحيل يلتسين واشكاليات ومشاهد التغيير في القيادة الروسية.

١٧٤ـ تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٣، برنامج الامم المتحدة الانمائي، بيروت، مركز الدراسات الوحدة العربية، ١٩٩٣.

١٧٥ـ تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٦ / روسيا الاتحادية.

١٧٦ـ التقرير الإستراتيجي العربي لعام ١٩٩٦.

١٧٧ـ التقرير الاستيراتيجي العربي لعام ١٩٩٧.

١٧٨ـ لوسنين ايونيد، روسيا والناتو معضلة وتوسيع الناتو شرقا في السياسة الروسية والراي العام

الروسي ١٩٩٢. ١٩٩٧ التقرير النهائي، ترجمة عبد الوهاب القصاب، ٢٠٠٢.

ثامنا ـ دراسات

١٧٩ـ ستيفن بلانك، دراسات عالمية، رؤية استيراتيجية عامة للاوضاع العالمية، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستيراتيجية، العدد .١٣

١٨٠ـ فيتالي نعومكن، الدور الروسي المتنامي في اسواق النفط والغاز / الاهداف الاستيراتيجية وخيارات السياسة المستقبلية، ورقة عمل مقدمة الى المؤتمر السنوي التاسع للطاقة المنعقد في الامارات العربية المتحدة، تحقيق علي الزكري. تشير البيانات ان روسيا تتقدم الدول من حيث الاحتياط الغير المؤكد والثانية بالاحتياط المؤكد، للمزيد انظر ***Oil&Gas Jurnal. U.S. Goological survey. Britannica.***

١٨١ـ موقف روسيا الاتحادية من حلف الاطلسي، ترجمة د. شكري محمود نجم، توسيع الاطار الجغرافي لحلف الاطلسي الواقع والتوقعات مركز دراسات وبحوث الوطن العربي، الجامعة المستنصرية، العدد ٢١، اذار .١٩٩٩

١٨٢ـ العلاقت الروسيةـالهندية، مرحتل الاعلان الاستيراتيجي، ترجمة ستار جبار الدليمي، محطات استيراتيجية، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، العدد ٦٧، ٢٠٠١.

ثامنا ـ قنوات التلفزيون

١٨٣ـ برنامج عن الانتخابات الاكرانية من قناة العربية الفضائية بتاريخ ٢٦/ ١١/ .٢٠٠٤

١٨٤ـ قناة دبي الفضائية في تقرير عن سلاح النووي السوفيتي.

١٨٥ـ تلفزيون بغداد في نيسان من عام ١٩٩٥.